جامعة آل البيت

كلية الآداب والعلوم الأنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة ماجستير بعنوان

تَرَسُلُ أبي القَاسِمِ عَبْدِ العَزِيزِ بنِ يُوسُف الكَاتِبِ

دراسةٌ موضوعيةٌ و فنيّةٌ

The lettrs Abi al Qasim Abdul Aziz Bin Yuosif al Katib

Artistic،Athematic

إعداد الطالب

مؤنس عباس عبد الرحيم العاني

الرقم الجامعي

١٣٢٠٣١٠١٠٣٥

بإشراف الأستاذ الدكتور

مها عبد القادر مبيضين

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية

٢٠١٥م–١٤٣٧هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

[النمل : ٢٨ – ٣١]

تفويـــــض

أنا: الطالــب **مؤنس عباس عبد الرحيم العاني**، أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبــات، أو المؤسسات، أو الهيئــات أوالأشخاص عند طلــبهم حســب التــعليمات النـافذة في الجامعة .

التوقيع:

التاريخ: ...../..../ ٢٠١٥.

الإقرار

أنا الطالب : مؤنس عباس عبد الرحيم الرقم الجامعي : ١٣٢٠٣٠١٠٣٥

التخصص: اللغة العربية الكلية: الآداب والعلوم الإنسانية

أقر بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه حيث قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

(تَرَسُلُ أبي القَاسِم عَبْدِ العَزِيزِ بنِ يُوسُفِ الكَاتِبِ دراسةٌ موضوعيةٌ وفنيّةٌ)

وذلك بما ينسجم مع الأمانة المُتعارف عليها في كتابة الرسائل العلمية، كما أنني أعلن أن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أي أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة في ما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العملية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج من بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب..... التاريخ ...../...../٢٠١٥

قرار لجنة المناقشة

تَرَسُلُ أبي القَاسِمِ عَبْدِ العَزِيزِ بنِ يُوسُفِ الكَاتِبِ دراسةٌ موضوعيةٌ وفنيّةٌ

The lettrs Abi al Qasim Abdul Aziz Bin Yuosif al Katib

Artistic،Athematic

إعداد الطالب

مؤنس عباس عبد الرحيم العاني

١٣٢٠٣٠١٠٣٥

إشراف الدكتورة

مها عبد القادر مبيضين

أعضاء اللجنة المناقشة

ت	الاسم	التوقيع
١		
٢		
٣		
٤		

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية نوقشت وأوصى بإجازتها يوم .....،الموافق :...../...../٢٠١٥

الإهداء

إلى ديني ، الذي أفخر بالانتساب إليه

إلى نبيي محمد (صلى الله عليه وسلم) بَرُ الأمانِ وشاطئُ السلام

إلى أمتي التي تَئنُ وتشتكي الجراح والآلام

إلى كل مهجرٍ ومشردٍ وحرٍ ومظلومٍ تَحت وقعِ اللئام

إلى من له فضلٌ عليَّ بعد الله تعالى "والدي "العزيز المعطاء

إلى النور الذي استضيء به ورمز العطاء "والدتي" براً ووفاءً

إلى زوجتي وأولادي مكمن الحب ورمز السخاء

إلى كل من كان سنداً لي في السراء والضراء "إخوتي" الأحبة

إلى من كانوا إخوةً لي في العسر واليسر "أصحابي "الكرام

إلى هذا الصرح العلمي جامعة آل البيت أهدي هذا الجهد المتواضع بكل فخر واعتزاز

الشكر والتقدير

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾

إبراهيم : ٧

أرى من الواجب علي، بعد الانتهاء من كتابة هذه الرسالة أن أتوجه إلى الله العلي القدير أولاً بالشكر والفضل على نعمه التي لا تحصى ولا تعد، وإلى نبينا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وأزواجه ومن سار على سنته، فما عرف البلاغة ذو بيانٍ إذا لم يتخذك له كتابا .

وأتقدم بالشكر إلى المملكة الأردنية الهاشمية ملكاً وحكومةً وشعباً، لما قدمته وتقدمه في جميع المجالات وخاصة المجال العلمي.

كما لا يسعني وأنا أنهي رسالتي هذه، إلا أن أتقدم بخالص شكري وعظيم تقديري لاستاذتي المشرفة الدكتورة (مها عبد القادرمبيضين) لما أحاطتني به من رعاية علمها وظليل فهمها وانشراح صدرها، والذي كان بملاحظاتها السديدة وتوجيهاتها القيمة الرشيدة عظيم الأثر في إخراج هذه الرسالة بالشكل الذي هي عليه، والشكر موصول لعطوفة الأستاذ الدكتور محمد محمود الدروبي نائب رئيس جامعة آل البيت والذي تفضل مشكوراً بمناقشة رسالتي، كما أشكر الدكتورة بثينة سلمان القضاة استاذة البلاغة في جامعة آل البيت، والدكتورة خولة خليل شخاترة أستاذة الأدب العباسي في جامعة جدارا في المملكة الأردنية الهاشمية، واللتان تفضلتا بقبول مناقشة رسالتي، كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى الكوادر في جامعة آل البيت جميعاً

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من ساندني وآزرني ومد لي يد العون وأخص منهم أبي وأمي وإخوتي وإلى أصدقائي في الغربة وإلى أصحابي جميعاً لكم مني كل والاحترام، وأخص بالذكر الأخ باسم حمود النجدي، وعماد عباس العاني، وأحمد عبدالله مجيد، وإلى كل من تجشم عناء السفر في هذا اليوم لحضور مناقشتي.

الباحث

قائمة المحتويات

الموضوع	
الاية القرانية	ب
التفويض	ج
إقرار والتزام	د
قرار لجنة المناقشة	هـ
الإهداء	و
الشكر والتقدير	ز
قائمة المحتويات	ح+ط
ملخص الدراسة باللغة العربية	ك
المقدمة	١-٣
التمهيد المحور الأول الترسل لغة واصطلاحاً	٤-٦
النشأة والتطور إلى عهد بني بويه	٦-١٥
المحور الثاني عبد العزيز بن يوسف الكاتب الشيرازي، نسبه، وكنيته، ولقبه.	١٦-٢٦
الفصل الأول : الدراسة الموضوعية	٢٧-٧٧
المبحث الأول : الرسائل الديوانية	٢٨-٤٩
كتب الفتوح	٣٠
كتب العهود	٣٨
كتب الأمان	٤٣
كتب الهدنه	٤٥
المبحث الثاني: الرسائل الشخصية	٥٠-٧٧
المطلب الأول : الرسائل الاخوانية	٥٢

كتب التهاني	٥٤
كتب التعزية	٥٨
كتب الشكر	٦٢
كتب الشفاعة	٦٥
المطلب الثاني الرسائل الأدبية وقيمتها الفنية	٦٧-٧٧
كتب المجاملات والتقريظ	٦٧
كتب الوجد والشوق	٧٠
كتب الشكوى والاستعطاف	٧٢
الفصل الثاني : الدراسة الفنية	٧٨-١٢٢
المبحث الأول : التركيب	٧٨-٩١
المطلب الأول البناء الخارجي	٧٨-٨٦
المطلب الثاني اللغة والأسلوب	٨٧-٩٥
المبحث الثاني البديع / السجع ،الجناس ، التكرار،الطباق والمقابلة ، التقسيم	٩٦-١٠٦
المبحث الثالث: الدلالة والتصوير	١٠٧-١٢٢
المطلب الأول: الدلالة	١٠٧
المطلب الثاني: التصوير	١١٤
الخاتمة والنتائج	١٢٣
الملخص باللغة الانجليزية	١٢٥
المصادروالمراجع	١٢٦

الملخص الرسالة

تَرَسُلُ أبي القَاسِمِ عَبْدِ العَزِيزِ بنِ يُوسُفِ الكَاتِبِ دراسةٌ موضوعيةٌ وفنيّةٌ

إعداد الطالب/ مؤنس عباس عبد الرحيم العاني

إشراف الدكتورة/ مها عبد القادر مبيضين

تناولت في هذه الدراسة" الترسل عند أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف الملقب بالشيرازي"، والذي عاش في مُدة البوييهين، وكان كاتباً لديهم حتى وفاته سنة ٣٨٨هـ.

وقد اشتملت الدراسة على تمهيد وفصلين، تناول التمهيد الترسل لغة واصطلاحاً، وكذلك نشأة الترسل وتطوره، من العصر الجاهلي إلى عصر الشيرازي، أما المحور الثاني، فتناول حياة الكاتب وعلاقته بعلماء عصره، وفي الفصل الأول، تناولت الدراسة الرسائل عند الشيرازي وأنواعها من كتب فتوح وعهود وآمان وهدنة، وتسمى هذه بالرسائل الديوانية، أما الرسائل الشخصية فقد اشتملت على الرسائل الأخوانية والأدبية وأقسام كلٍ منهما، أما الفصل الثاني، فتناولت الدراسة الجانب الفني لرسائل الشيرازي، من حيث التركيب، والبلاغة، والدلالة، والتصوير، وقد توصلت الدراسة إلى أن ما كتبه الشيرازي في ديوانياته مهم جداً، وذلك لتوثيقة حقبة زمنية بينت لنا أحداث ما جرى في الدولة العباسية، ولا سيما في رسائله الديوانية، هذا بالإضافة إلى أن الشيرازي قد أمسى لسان عضد الدولة في حربه وسلمه وترحله، وسفيره إلى الأقاليم، كما تنوعت أغراض الرسائل عند الشيرازي، فقد بلغت مبلغاً كبيراً حتى أنها فاقت على الشعر، وتبرز الدراسة أنماط الصورة الفنية القائمة على التشبيه والاستعارة والكناية، وعلاقتها بثقافة الكاتب، واتصالها بفنون البديع، واقتباسه من القران الكريم، والحديث الشريف، وتضمين رسائله من الشعر العربي والأمثال ، مما جعل من القيمة الموضوعية والفنية لتلك الرسائل ما هو جدير بالدرس والبحث

والله الموفق

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

حظي النتاج الأدبي للقرنين الثالث والرابع الهجريين لدى المتلقين اهتماماً كبيراً، فهبَّ الدارسون والباحثون مستقصين الثراء الإبداعي لمنجزات الشعراء والأدباء، إذ وجدوا فيه ما يحفزهم إلى البحث والوقوف على عملية الخلق الفني في عصرٍ كان من أزهى عصور العربية ازدهاراً وحضارة وأغناها ثقافة وتطوراً، إذ انصهرت فيه الحضارات وآتت أكلها إبداعاً في المجالات كافة.

وبما أن العرب أهل لغة وأدب، يظهر ذلك من اشتهارهم بالشعر لا سيما المعلقات، وتحدي القرآن لهم بأن يأتوا بمثله ، فقد تميز أدباء العصر العباسي بما قدموه من مشاركة فعّالة في الحضارة الإنسانية، لذا كان شغفي بالاطلاع على أدب هذا العصر شافعاً لي في البحث عن موضوع أُرضي به طموحي وأحقق ما أصبو إليه، فوجدت ضالتي فيما اقترحه عليّ الأخ الدكتور (ياسر الفواز) من موضوعاً فرعياً شكل اتجاهاً نثرياً بارزاً في هذين القرنين وهو (الترسل عند عبد العزيز بن يوسف الشيرازي / دراسة موضوعية فنية)، وقد زاد من إصراري حين عرضت موضوعي على الدكتور (محمد محمود الدروبي)، وقد شجعني على أن أكتب في هذا الموضوع، وبعد أن استقر عنوان الموضوع واستوى على سوقه أشرفت على هذا الموضوع مشكروة الدكتورة (مها مبيضين) من توجيهات، وكانت لها اليد الطولى في الارشاد والنصح جعلتني أتجاوز الكثير من الصعاب .

ولم أقف على رسالة اكاديمية، في حدود علمي، درست الترسل عند هذا الكاتب، وهذا ما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع.

وتكمن أهمية الترسل بوصفه وسيلة حضارية، تطور في العصر العباسي كثيراً لسد حاجة من حاجات المجتمع في التواصل، أضف إلى ذلك أنها وسيلة من الوسائل التي كانت من مقتضيات ذلك العصر ومتطلباته، بل هي الوسيلة الأولى والفاعلة في الأعلام الحربي ولاسيما في الحقبة التي كان البويهيون هم أصحاب السلطة فيها، حيث كانت تلك المرحلة مليئة بالأحداث، والصراعات، والتطورات، فتنوعت الكتب كثيراً، وكانت موازيةً في الشهرة للرسائل الشعرية ، والأغراض الشعرية كذلك .

وشاع الترسل كثيراً في تلك الحقبة، ولاسيما عند كاتبنا، الذي كان من حذاقه معلياً من أهدافه، وموضوعاته، وأغراضه إذ تفنن بطريقة عرضه وتنويعه فشمل معظم الحاجات الاجتماعية ، فتبادلها مع الأدباء ، وأرسلها إلى غيره من غير الأدباء، وقد شكل ظاهرة أدبية مهمة دفعتني إلى الاستقصاء والتفتيش في المصادر الأدبية والتاريخية وغيرها من المظان التي اشتملت على بعض الرسائل من كتب ومجلات وبحوث ذات صلة بالبحث .

ولكي تحقق الدراسة مقاصدها، فلابد لها أن تنهض على خطة علمية تكون العمود الفقري الذي تتكيء عليه الدراسة لذا اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة .

جاء التمهيد على محورين : تضمن الأول : الكشف عن مدلول لفظة الترسل لغة واصطلاحاً، ونشأته وتطوره حتى نهاية العصر البويهي، أما المحور الثاني : فقد عُقِدَ للحديث عن نسبه وكنيته ولقبه، ومنزلته الأدبية والسياسية، وعن أخلاقه وعلاقته بالعلماء واخيراً كان الكلام منصباً عن وفاته.

وخصص الفصل الأول من الدراسة، للدراسة الموضوعية وقسم على مبحثين : الأول في الرسائل الديوانية وموضوعاتها التي توزعت بين الفتح والبيعة والصراع وغيرها، والمبحث الثاني تحدثت فيه الدراسة عن الرسائل الشخصية وتوزع على مطلبين الأول : كان في الرسائل الإخوانية ، وأبرز موضوعاتها التهنئة والتعزية وغيرها، والمطلب الثاني تحدثت فيه عن الرسائل الأدبية والتي كانت تعقد بين أديبين، وجاء الفصل الثاني للحديث عن الدراسة الفنية ليقع في ثلاثة مباحث : الأول: في التركيب، وجاء في مطلبين الأول: في البناء الخارجي، والثاني : في اللغة والأسلوب، وأما المبحث الثاني: فكان في البديع: وقد تناولت الدراسة فيه موضوعات عدة أهمها السجع، والتكرار، والجناس، والطباق والمقابلة، والتقسيم، وأما المبحث الثالث : فقد كان في مطلبين الأول في الدلالة والتوثيق والثاني: في الصورة لنقف على أهم روافدها من تشبيه واستعارة وكناية، واخيراً كانت لدينا وقفة في خاتمة البحث وثقنا فيها أبرز النتائج التي خلصت إليها الدراسة.

وعن مظان الدراسة: فكانت – والحمدُ لله – كثيرة ومتنوعة ؛ فهناك المصادر التاريخية التي اهتمت بشرح الأحداث والتعريف بالأعلام والأماكن والقبائل، كتاريخ الطبري ، والمُنتظم في تاريخ الملوك لابن الجوزي، وتجارب الأمم وتعاقب الهمم لمسكويه الذي ألفه وهو في البلاط البويهي .

وهناك المصادر الأدبية: التي عُنيت بالأدب البويهي كرسوم دار الخلافة لهلال بن محسن الصابي، واليتيمة للثعالبي وغيرها من المصادر .

وهناك المصادر النقدية القديمة والحديثة: فالقديمة كالبيان والتبين للجاحظ والعمدة في صناعة الشعر للقيرواني، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر .

والحديثة هي الكتب المعاصرة وهي كثيرة ومتنوعة في الأدب والنقد والبلاغة والنثر وكتب الصورة، وقد أثبتت في هوامش الفصول.

ولم تقتصر المظان على الكتب وحدها، إنَّما احتوت على بعض الرسائل الجامعية، والبحوث، والمقالات العلمية المنشورة في الدوريات، والمجلات العربية المحكمة، التي كانت فيها دراسات موضوعية وفنية ونفسية جادة، كما وجد فيها الباحث الصياغة الإسلوبية الحديثة مما ساعد في إظهار البحث بشكلٍ أفضلَ .

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الفني مُستعيناً بالمناهج الأخرى (كالنفسي، والاجتماعي، والتاريخي)، لبيان مواطن الفن لدى الكاتب والوقوف على مظاهر الإبداع والتميز في كتاباته .

وكما أود أن أشير إلى أن مرحلة البحث لا تخلو من الصعوبات ومعوقات واجهت الباحث من معاناة لما يحدث في بلدي العراق وما حل به من خراب ودمار كان سبباً في القضاء على ثرواته العلمية والأدبية والثقافية.

وأخيراً ما هذه إلا مشاركة في طريق البحث العلمي ابتغاؤنا من ورائها وجه الله تعالى، فإن أصبت فلله الحمد، وإن كانت الأخرى فأدعو الله أن يثيبنا جزاء المجتهد والله من وراء القصد.

الباحث

التمهيد

المبحث الأول: الترسل

أولاً : الترسل لغةً

تنوعت تعريفات الترسل اللغوية، فقد جاء في مقاييس اللغة، أنَّ الرسلُ: السير السهل، وناقةٌ رسلةٌ: لا تُكلّفُك سياقاً، وناقةٌ رَسَلةٌ أيضًا: لينةُ المفاصِلِ وشعر رسل إذا كان مسترسلاً، والرَّسلُ: ما أُرسِلَ من الغنم إلى الرعي والرَّسلُ: اللبنُ لأنه يترسَّلُ من الضَّرعِ[١].

وربما دلَّ هذ المعنى على التتابع، في القول والعمل، وتحقيق الغاية بلا عجالة، قيل : بعضه على إثر بعضٍ وترسَّل في قراءته : أتأُد فيها، ويقال ترسل الرجل في كلامه ومشيه إذا يعجل، وهو والترسل سواء[٢] .

وقد يعطي معنى الانبساط، والاستئناس، والطمأنينة إلى الإنسان، والثقة به فيما يحدثه، والتمهل، والتوقر، والتثبت، فقد جاء في الأثر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في كلامه ارسيل، أي ترتيل، وفي حديث عمر رض الله عنه إذا أذنت فترسل أي تأن ولا تعجل[٣].

أما الرسالة، فكما ذكر أبو البقاء الكفوي في معجم الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية " أنَّها تحميل جملة من الكلام إلى المقصود بالدلالة وهو حد الصحيح، لما أن كل رسالة فيما بين الخلق هي الوساطة بين المرسل والمرسل إليه في إيصال الأخبار، والأحكام داخلة في هذا الحد .....ثم أطلقت الرسالة على العبارات المؤلفة والمعاني المدونة لما فيها من إيصال كلام المؤلف ومراده إلى المؤلف له وأصلها المجلة أي الصحيفة المشتملة على الكتب... والكتاب: هو الذي يشتمل على مسائل سواء كانت قليلة أو كثيرة في فن من الفنون"[٤].

أما المعاجم الحديثة، فإن كلمة رسل فيها تفصيل أكثر، منها (الرسالة) ما يرسل والخطاب وكتاب يشتمل على قليل من المسائل تكون في موضوع واحد وبحث مبتكر، ورسالة

---

(١) القزويني أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) ،**معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩ م باب (رسل) ج٢، ص ٣٩٢.

(٢) ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم علي الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت (ط ٣) ١٩٩٤م، مادة (رسل).

(٣) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (رسل).

(٤) أبو البقاء الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني (ت١٠٩٤هـ) ، **كتاب الكليات**، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩هـ -١٩٨٩م، (فصل الراء) (ج١، ص٧٥٢).

الرسول ما أمر بتبليغه عن الله ودعوته الناس إلى ما أوحي إليه، ورسالة المصلح ما يتوخاه من وجوه الإصلاح[١].

يرى الباحث :

أولا- أن مفهوم الترسل أعم وأوسع من الرسائل، بينما الرسائل هي جزء من الترسل "إذ الترسل والمكاتبات أعظم كتابة الإنشاء وأعمَّها من حيث إنه لا يستغني عنها ملك ولا سوقة"[٢]، وإنها جاءت مكرورة لفعل الرسائل.

ثانياً - استعمال مصطلح (الترسل) ليتميز به صنف من الكتَّاب عن غيرهم، ولا يقال ذلك إلا فيمن تكرر فعله من الرسائل.

ثالثاً - إن مصطلح الترسل لا يطلق على كتابة الرسالة فحسب، بل يقصد به مطلق التلفظ بين متباعدين سواء كانت كتابة أم عبر رسول.

ثانياً: اصطلاحاً.

تواصل بين طرفين متباعدين في المكان دون المواجه، وهو عند ابن وهب " كلام يرسل به من بعيد، فاشتق له اسم الترسل، والرسالة من ذلك"[٣]، وجاء الجرجاني في تعريف الرسالة "هي المجلة المشتملة على قليل من المسائل التي تكون من نوع واحد، والمجلة هي صحيفة يكون فيها الحكم"[٤] ويطلق على فن الرسائل "بالمكاتبات "[٥]، وقد فضلها بعضهم على الشعر فقالوا :" هي أبسط من الشعر مقالاً، وأفسح مجالاً، وان كان أربابها أقل عدداً فإنهم أشرف محلاً ومُحتداً"[٦].

---

(١) مصطفى إبراهيم، الزيات أحمد، عبد القادر حامد، النجار محمد، **المعجم الوسيط**، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة (د، ت) ج١، ص٣٤٤.

(٢) القلقشندي، أبو العباس احمد (ت٨٢١هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الأنشاء**، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٣٤٠هـ- ١٩٢٢م، ج١، ص٥٣.

(٣) أبن وهب الكاتب، أبو الحسين بن إبراهيم بن سليمان (٣٣٧هـ) ، **البرهان في وجوه البيان**، تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، ط(١)، ١٩٦٧م، جامعة بغداد، العراق ص١٩١.

(٤) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٣٧١هـ)، **تعريفات الجرجاني** ضبطه وصححه جماعة من العلماء بأشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٩٨٣م، ج١، ص١١٠.

(٥) الشنطي محمد صالح، **فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه**، دار الأندلس، حائل، ط(٥)،٢٠٠١م، ص١٧٣.

(٦) ابن حمدون: أبو المعالي، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢هـ) ،**التذكرة الحمدونية**، تحقيق: إحسان عباس، بكر عباس، دار صادر، بيروت، (ط١)، ١٩٩٦م، (ج٦،ص٣١٤).

وعرفه محمد التنوجي هو" فن كتابي قديم، يراعى المرسل إليه، والموضوع الذي يكتبهُ له، ويفضل أن يكون الأسلوب واضحاَ، قصير الجمل، قصير المادة الكتابية"[١].

والترسل صناعة من الكتابة لها أهميتها، فقد أصبحت مهنة يتنافس عليها الناس في الوصول إلى أعلى المراتب، فالذين يعملون في ميدان الترسل يجب أن لا تنقصهم المهارة ولا الثقافة، التي يمتلكها كل كاتب كرصيد معرفي يستعين به على عمله الرسمي في الكتابة .

وفي هذا المعنى يورد القلقشندي الكتابة بمعنى الصناعة فيقول "بأنها صناعة روحانية تظهر بآلة جثمانية دالة على المراد بتوسط نظمها، ومعنى الروحانية فيها بالألفاظ التي يتخيلها الكاتب في أوهامه، ويصور من ضم بعضها إلى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه، والجثمانية بالخط الذي يخطه القلم وتقيد به تلك الصورة، وتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة"[٢].

ويختلف تعريف عبد العزيز عتيق عن غيره فيقول هو: " قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سبباً وتكون كتابتها بعبارة بليغة، وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة ومعان طريفة "[٣].

وليس المطلوب فقط معرفة أحوال المرسل إليه والأسلوب السهل بل يجب مراعاة معرفة أحوال الكاتب والمكتوب إليه من حيث المعرفة الأدبية، والمصطلحات الملائمة[٤]، لكل طائفة، وهو الذي يتغير مع كل عصر.

ثالثاً : النشأة والتطور إلى بنـــي بويـــه

الترسل من الفنون النثرية ذات الأهمية البالغة في المجتمعات العربية على مر العصور، والمتأمل في الحضارة العربية قد يرى ما أنتجته من رسائل على تنوع أشكالها وموضوعاتها،

([١]) التنوجي، محمد، **المعجم المفصل بالأدب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م (ج١، ص٦٩١).

([٢]) القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الأنشاء** (ج١، ص٥١).

([٣]) عبد العزيزعتيق، **الأدب العربي في الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، ط(٢)، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ص٤٤٨.

([٤]) الملائمة : تنزيل الألفاظ والمعاني على قدر الكاتب والمكتوب إليه، فلا تعطى خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس خسيس الكلام، على أنها تجعل الرسالة وتعبيرها مستعذبة الأوضاع حسنة الارتباط، ينظر الهاشمي: السيد أحمد، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، دار بن حزم، بيروت، ط(١) ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م، ص٣٤.

وسأبين تطور هذا الفن ابتداء من العصر الجاهلي وصولاً إلى العصر العباسي الثاني أي القرن الرابع الهجري.

١- العصر الجاهلي

إن أدب الرسائل أدب قديم جداً يصعب تحديد البدايات له، إذا ما بحثنا عن نص موثوق في العصر الجاهلي؛ والسبب يرجع في ذلك إلى ندرة أو انعدام أدوات الكتابة، حيث لم تكن شائعة آنذاك من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يكونوا يهتمون بما نسميه حفظ الوثائق "لأن أصحابها لم يكونوا يحتفظون بها طويلاً بل كانوا يمحونها أو يغسلونها عمداً لاستعمالها مرة أخرى أو يهملونها بمجرد زوال الحاجة إليها "[١].

والرسائل عُرِفَت في البيئات التي عرفت الكتابة في العصر الجاهلي، ومن أقدم أنواعها الرسائل السياسية، والتي كان يتخذها الملوك والأمراء وسيلة للاتصال والتفاهم فيما بينهم، ويستعينون بها في سلمهم وحربهم، وكانت في بادئ أمرها تنتقل شفاهاً، فينقلها الرُسُل كما يُلقنها أسيادهم بالحرف الواحد دون زيادة أو نقصان ويقومون بإيصالها إلى أصحابها.

وفي الجاهلية كانت الرسائل منتشرة غير أنها لم تكن تكتب في أغلب الأحيان وهذا ما أدى إلى نسيانها وضياعها، وربما اعتمادهم بالدرجة الأولى "في ترسُلِهم على المشافهة"[٢] كان سبباً رئيساً في فقدانها، وهذا مما جعل شوقي ضيف ينفي معرفة العرب بالرسائل الأدبية ويقصرها على الكتابة في الأغراض التجارية والسياسية، وليس في أيدينا وثائق صحيحة تدل على أن الجاهليين عرفوا الرسائل الأدبية وتداولها، وليس معنى ذلك أنهم لم يعرفوا الكتابة، ألا أنهم لم يستعملوها بسبب قلة توفر أدوات الكتابة، والتي جعلتهم لا يستخدمونها في الأغراض الأدبية النثرية، ومن ثم استخدموها فقط في الأغراض السياسية التجارية[٣].

وفي الغالب كانت هذه الرسائل سياسية، أما التجارية فكانت لا تحمل صبغة فنية بمعنى الرسائل، فهي على الأغلب كانت عقوداً تجارية ومعاهدات وأحلاف، أما الكتابة الفنية "يتفقون على عدم وصول أية كتابة فنية جاهلية حقيقية إلينا، وعلى الشك في الرسائل القليلة التي تبلغ

---

(١) المقداد، محمود، **تاريخ الترسل الفني عند العرب في الجاهلية**، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط(١) **١٤١٣هـ - ١٩٩٣م**، ص٢٠١.

(٢) صفوت، أحمد زكي، **جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهية**، دار المطبوعات العربية، القاهر، (ط١) ١٣٥٠هـ - ١٩٣٧م (ج١، ص٩).

(٣) ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي**، دار المعارف، القاهرة، ط ٢٢، ص ١٢٨،(د، ت).

العشر"[1]، وعند مطالعتنا لكتب التاريخ والأدب نجد أنه لم يصلنا من الرسائل سوى النزر اليسير الذي لا يكاد يتجاوز عدد الأصابع، ومنها كتاب عدي بن زيد الأيادي إلى أخيه أُبي[2]، ورسالة عمر بن هند إلى عامله بالبحرين المعروفة بصحيفة المتلمس[3]، وكتاب المنذر الأكبر إلى انوشروان[4]، ورسالة النعمان بن المنذر إلى كسرى[5].

ويرى الباحث أن فن الترسل في الأدب العربي اتصفت رسائله في العصر الجاهلي بالإيجاز والبساطة، وتكاد أن تكون قريبة إلى الوصايا في التعبير دون صنعة لفظية، وهذا ما أثبته محمود مقداد في ما أخذه على منهجية أحمد زكي صفوت في جمهرة الرسائل في العصر الجاهلي، ولم يسلم له غير ست رسائل يمكن أن تقبل هذا الاسم أو هي من صلب أدب الترسل[6].

والشك يحوم حول هذه الرسائل، وقد تجاوز فريق هذا الشك لينفي معرفة عرب الجاهلية لهذا الفن، ويقول مصطفى صادق الرافعي:" لم تتناول الرواية من المنثور غير الخطب، لأن الرسائل لم تكن في الجاهلية، ولا كان يصنعه الإسلاميون منها مما متعلق في غرض من أغراض الرواية، إلا عند الاخبارين المؤرخين، ولهذا لم يكن الوضع في المنثور إلا على الخطباء"[7].

وذهب محمود المقداد إلى أن النشأة الحقيقية لكتابة الرسائل أو لأدب الترسُّل، إنما بدأت فعلاً مع بداية الهجرة النبوية، ومنذ ذلك التاريخ أخذ أدب الترسُّل يزدهر ازدهاراً متعاظماً لا نظير له في أي نوع أدبي نثري أخر[8].

وأرى أنَّه لا صحة لما ذهب إليه الرافعي، فالرسائل كانت موجودة تدلنا على ذلك الرسائل السياسية قبل وبعد الإسلام ،وهذا ما أثبته محمود المقداد وهو يتحدث عن ندرتها، وما صحيفة المتلمس ورسائل النبي إلا خير دليل على ذلك.

---

(1) نصار، حسين، **نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط(١)، ٢٠٠٢م، ص٣٣.
(2) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، **تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك**، دار التراث، بيروت ط(٢)، ١٩٦٧م، (ج٢، ص١٥).
(3) النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني (ت٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان (د، ت) (ج١، ص١٥).
(4) الأصفهاني ،أبو فرج علي بن الحسين بن أحمد بن الهيثم المرواني (ت٣٥٦هـ) ،**الأغاني** ، تحقيق: سمير جابر ، دار الفكر، بيروت، ط(٢)،ج ٢، ص١١٣.
(5) ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، **العقد الفريد**، شرحه وظبطه وصححه وعنون موظوعاته: أحمد امين، وأحمد الزين، وإبراهيم الابياري، دار الكتب العربي، بيروت، ط (١)، ١٩٨٣م، (ج٢، ص ١٠-١١).
(6) ينظر:المقداد، محمود ، **تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية**، ص٢١٤.
(7) الرافعي، مصطفى صادق، (ت١٣٥٦هـ) **تاريخ آداب العرب**، دار الكتب العربي، **لبنان**، (ط٤) ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م (ج١،ص٣٦٩).
(8) المقداد محمود، **تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام**، دار الفكر لمعاصر، بيروت، ط(١)، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص٧٢.

٢- عـصر الـنبـوة والخلفـاء الراشـدين

وبعد بزوغ فجر النبوة ومع إقامة أول حكومة إسلامية تقوم على مبادئ الدين الإسلامي وتهدف إلى نشر الإسلام بين الناس في المدينة المنورة، ينظم الرسول الحياة المدنية، وما يترتب من عهود متمثلة في الصحيفة التي عقدها مع اليهود بصفته ﷺ رئيساً للجماعة الإسلامية من المهاجرين والأنصار، ولما كان نشوء الدولة يستلزم علاقات وروابط داخلية لا يمكن التعبير عنها إلا بالرسائل، فقد رافق إنشاءها نظام المراسلات وقد كان النواة الأولى لديوان الرسائل.

لقد راسل النبي ﷺ كبار ملوك العالم وأُمراءه يدعوهم إلى اتباعه والأيمان برسالته، فأرسل إلى كسرى فارس، وإلى هرقل إمبراطور الروم، وإلى ملك الحبشة، وإلى المقوقس حاكم مصر، وكانت رسائله ﷺ تمثل كتب دعوة إلى الدخول في هذا الدين، وكانت رسائل سلمية لم تحو أي تهديد، أو وعيد ومنها رسالته إلى هرقل ونصها " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن إثم الأكَارين عليك"[١].

وكل الكتابات التي كانت في الجاهلية وفي الإسلام لم يكن من هدفها أن تنحى منحى أسلوبياً أو جمالياً، بل كانت موجزة على قدر المعاني المُرادة، ووظيفة الكاتب لم تعد أن تكون أقرب إلى وظيفة الناسخ وحينئذ كانت أشبه بالاستملاء، فهي لا تتعدى أن تكون حاجة إدارية ولم تكن فناً مقصوداً.

فقد تميزت تلك الرسائل بأنها موجزة في الغالب، وتفتح بالبسملة، وبعدها عبارة من محمد رسول الله إلى فلان ثم يُوتى بالسلام للمسلم، والسلام على من اتبع الهدى لغير المسلم، ثم عرض الموضوع، والخاتمة تأتي بالسلام، ومن الواضح أن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يعنى في هذه الرسائل "التحبيرالفني، بل يؤدي غرضاً سياسياً في صورة موجزة، وكذلك كان شأنه في كتبه التي كان يرسلها إلى أمراء العرب"[٢].

ونظراً لما مرت به الأمه الإسلامية في تلك المرحلة من ملاحم، وبطولات، وفتوح، وفتن، فإن الرسائل السياسية هي التي كانت غالبة على بقية الأنواع النثرية، وكانت الكتب تدور بين النصح والدعوة والهداية والتحذير، وقد استمرت الرسائل على هذا المنوال في خلافة أبي بكر"

---

(١) المقصود بالأكارين هم اتباع هرقل، ينظر: ابن الأثير، عز الدين بن الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٢٠هـ) ، **الكامل في التاريخ**، ت : خليل مأمون شيما ، دار الكتاب العربي ، بيروت ٢٠٠٢م (ج٢، ص ٢١٢).

(٢) ضيف، شوقي، **الفن ومذهبة في النثر العربي**، دار المعارف، القاهرة، ط(١٣)، ج١، ص٩٧ (د، ت).

رضي الله عنه "، ومن بعده من الخلفاء امتداد للمكاتبات النبوية، وربما كان عدم خروجهم عن الطور الذي كتبه الرسول ﷺ والأستنان بسنته جعلها تأخذ الطابع نفسه في مرحلة تأسيسها.

غير أن الأحداث السياسية جعلت الرسائل تتجه إلى موضوعات جديدة، غير التي عرفناها في بداية الدعوة، تتعلق بالتهديد والوعيد لمن ارتدَ من القبائل في جزيرة العرب، أوفي أيفاء الخليفة بكتاب يذكر فيه أحداث الغزوة، أو نتائج الحملة التي قادها أو حتى في محاسبة الولاة والأمراء على أعمالهم.

حتى إذا ما تولى أبو بكر الصديق "رضي الله عنه " الخلافة وظهر أمر المرتدّين كتب إلى القبائل المرتدة، ينذرهم عاقبة فعلهم ومنه "وإني أوصيكم بتقوى الله وحظّكم ونصيبكم من الله...وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقرَّ بالإسلام وعمل به، اغتراراً بالله وجهالةً بأمره....وإني أنفذت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان.. فمن استجاب له وأقرَّ وكفَّ وعمل صالحا قُبِل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك "[1].

وعند مجيء سيدنا عمر بن الخطاب "رضي الله عنه " وتم فتح بلدان كثيرة في خلافته وكان يراسل القادة والأمراء ويكتب العهود والمواثيق[2]، ومن خير ما أُثر عنه من رسائل إلى أبي موسى الأشعري واليه على البصرة ومنها " بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنّ القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أُدلي إليك، فأنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس في مجلسك ووجهك، حتى لا يطمع شريفٌ في حيفك، ولا يخاف ضعيفً من جورك ....."[3]، ولم تستقل شخصية الكاتب والتحرر من الطابع السياسي، على الرغم من إنشاء الدواوين في زمن عمر رضي الله عنه في الأمصار التي فُتِحت لأنها لا تزال تكتب بأمر من الخلفاء أو الأمراء أو قواد الجيش على الرغم من تعيين كتّاب في تلك البلدان.

---

(1) الطَّبري، تاريخ الطبري تاريخ الملوك والرسل، (ج٣ ص٢٥٠ــ٢٥١).
(2) ينظر: ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي**، دار المعارف، القاهرة، ط (١١)، ص١٣٢
(3) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، **البيان والتبين**، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط(١)، ١٩٦٨ م ، (ج١،ص ٢٣٧).

٣- العصر الأموي

وعندما آل الحكم إلى بني أمية وأراد معاوية بن أبي سفيان "رضي الله عنه" أن يطور شؤون الدولة الإسلامية في العصر الأموي نشطت الكتابة نشاطاً ملحوظاً إلا أن الكتابة الإنشائية لم تتغير ولم يزل أمر المكاتبات في الدولة الأموية جارياً على سنن السَلف، إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك، فجود القراطيس، وجلل الخطوط وفخم المكاتبات[١] .

ومنذ بداية العصر الأموي ظهر كتاب محترفون، وتنافسوا في إظهار البراعة والفصاحة، لينالوا رضى الخليفة، خصوصاً أن شخصية الكاتب قد بدأت تستقل شيئا فشيئا، مما جعلها خطوة هامة في تطوير كتابة الرسائل.

وظهرت الدواوين وصار الكتَّاب ذوي تخصصات مختلفة أكثر مما كانوا عليه فمنهم كاتب الرسائل "ويكتب إلى الملوك والعمال" وكاتب الشرطة " ويكتب التقارير عما يقع من أحوال القواد والديات وغيرها " و"كاتب الخراج " ويدون حساب الخراج "، وكاتب القاضي ويكتب الشروط والأحكام، وينشيء معاوية رضي الله عنه ديوان الرسائل الذي يصب في دراستنا، ويكون كهيئة مشرفة على تحرير رسائل الخليفة وأوامره وعقوده ووصاياه إلى موظفيه في الأمصار الإسلامية والبلدان الخارجية التي لها علاقة بالدولة الأموية[٢].

لقد تطور فن الترسل في هذا العصر على يد الموالي المثقفين بثقافة تتركز على العلوم العربية والدينية في زمن أبي العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك (١٠٥- ١٢٥هـ) يقول ابو هلال الصابيء"وقرأت في آواخر كتب عبد الملك ابن مروان، وكتب سالم مولى أمير المؤمنين"[٣] وهذا يعني أن سالماً هو الذي تولى إنشاء الرسالة.

ثم تلميذه عبد الحميد الكاتب[٤]، الذي حمل سيف الترسل، ونزل إلى مكانة مرموقة وقد برزت شخصيتهم الأدبية، إذ غدت صناعة الإنشاء على أيديهما حرفة عظيمة، وأصبحت لها قيمتها الأدبية والفنية التي تفوق أهميتها السياسية[١].

---

(١) **ينظر: القلقشندي**، صبح الأعشى، (ج٦، ص٣٧٨).
(٢) ينظر: الصلابي علي محمد، **معاوية بن أبي سفيان شخصيته وعصره**، دار الأندلس، القاهرة،ط(١)، ٢٠٠٨، ص٢٤٦.
(٣) الحراني، هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ (ت ٤٤٨هـ)، **رسوم دار الخلافة**، تحقيق: ميخائيل عواد، دار الرائد العربي – بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص١٢٤
(٤) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد وهو من الموالي فارسي من أصل غير عربي قيل أن جده من سبي القادسية أنظم على عامر بن لؤي بالخلف والمولاة وانتسب إليها ، أديب وكاتب بليغ قتل مع مروان بن محمد آخر ملوك =

ويقول الثعالبي جملة تناقلها الأدباء والدارسون عبر الأجيال الأدبية المختلفة وهذه الجملة تقول "بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد"[٢]، ورد الأستاذ أنيس المقدسي على ذلك "أن ظهور عبد الحميد لم يحول النثر العربي فجأة من حال إلى حال، بل أن هذا الكاتب إنما أقر طريقة التبسط والازدواج وطبع فن الرسائل بها، فأخذ الموجز البسيط، والمتبسط المزدوج"[٣].

ويرى الباحث أن القبول بأمر التأسيس من قبل عبد الحميد غير حقيقي، لكن الريادة تكون له بعد أن أرسى قواعد الكتابة، ووضع أصولها فهو امتداد لمن سبقهم، وتجمعت فيه تجاربهم، لأن من الصعب إن يكون فن الرسائل وصل دفعة واحدة على يد مولى من الموالي ليبدع فيه هذا الإبداع ونتجاهل هذا الفن لأكثر من (١٣٢) سنة وذلك بسبب التطور الذي رافق الحياة الإسلامية في أفاقها السياسية، والاجتماعية، والدينية، لذا كانت الرسائل وسيلة مهمة لنشر الدين الإسلامي، ودعامة أساسية لتنظيم علاقات المجتمع، ولكن هذه المقولة تعني قواعد الكتابة التي تجعل من الرسائل أنها متميزة أدبيا..

وقد أكد الأستاذ محمود المقداد هذه الحقيقة بقوله: "مع أن الحقيقة واضحة جلية كضوء النهار ذلك لأن اللغة العربية، التي استوعبت الوحي الإلهي على رقيه وبلاغته وسمو بيانه، لا يمكن أن تنتظر أحداً من الموالي أو المستعربة حتى يؤسس لها نثرها، الفني اذ أن هؤلاء أنفسهم كانوا عيالاً على بلاغة المتقدمين "[٤].

لقد تميز عبد الحميد في ترسله بالإطالة التي لم تكن معروفة عند العرب وهم أهل إيجاز، وعني بتجويد عباراته وبنائها بناءً رصيناً، إضافة إلى ما بدأه في رسالته من استهلال باسم الله وتعظيمه وتمجيده، والصلاة على نبيه الكريم ﷺ، وانتخاب الألفاظ والسجع الغير المتكلف، فرسالته التي كتبها على لسان مروان إلى ابنه عبدالله حين وجهه لمحاربة الخوارج، وفيهم الضحاك وأصحابه الذين انتهكوا حرمة الإسلام، وعاثوا في الأرض فساداً ومنها " أما بعد، فان أمير المؤمنين عندما تحزَم إلى عدو الله الجِلف الجافي، والأعرابي المتسكع في حيرة الجهالة، وظلم الفتنة ... وانتهكوا حرمة الإسلام استخفافاً، وبدلوا نعم الله كفراً، واستحلوا دماء أهل سلمه جهلاً

= بني امية، ينظر: كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١) ١٤١٤هـ -١٩٩٣م،ج٢، ص٦٧.

(١) ينظر: السباعي بيومي بيك، **تاريخ الأدب العربي**،١٩٥٢م، (ج ٣، ص١٩٣).

(٢) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، شرح وتحقيق : مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣، (ط١) ١٩٨٣م، ص١٨٣.

(٣) المقدسي، أنيس، **تطورالأساليب النثرية في الأدب العربي**، دارالعلم للملايين، بيروت، ط(٨) ١٩٨٩م ص١٤٠.

(٤) ينظر المقداد، محمود، **تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية**، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ط(١) ١٩٩٣م، ص٦٩.

أحب أن يعهد إليك في لطائف أمورك... بحيث اصطنعك الله لولاية العهد، مختصا لك بذلك دون لُحمتك وبني أبيك "[1].

ويرى شوقي ضيف أن السبب في تطور الرسائل في العصر الأموي يرجع إلى أمرين الأول : أن كثيراً ممن كانوا يكتبونها يعدون في الذروة من الفصاحة، والبيان لهذا العصر أمثال زياد والحجاج...الخ.

وأما الثاني : فقيام ديوان الرسائل، وظهور طبقة من الكتَّاب المحترفين في هذا الديوان، لا في دواوين الخلفاء وحدهم، بل في دواوين الولاة أيضاً، وكان قادة الجيوش يتخذون كتاباً لهم، ليراسلوا عنهم من يريدون مراسلته[2].

٤ - العصر العباسي

وبعد دخول العصر العباسي أخذت الرقاع بالتوسع في مشارق الأرض ومغاربها بعد دخولها الإسلام، ونظراً إلى تلك التوسعات، زادت الحاجة إلى الكتَّاب والأدباء، لتلبية متطلبات الحياة الحضارية والثقافية التي شهدها العصر آنذاك، فأصبحت الكتابة ذات مكانة رفيعة، وأصبح ديوان الرسائل أهم الدواوين في الدولة.

لقد أصبح فن الرسائل من أهم فنون النثر العباسي شأناً وأكثرها ثراء، ومن يريد أن يدخل ديوان الرسائل يمتحن امتحاناً عسيراً "حتى غدا ديوان العرب الذي يجد فيه الدارس مظاهر دالة على حياتهم الاجتماعية والسياسية والعقلية والأدبية"[3]، ينضاف إلى ذلك التطور والتجديد حيث اقترنت بغايات بلاغية فنية تختلف من كاتب إلى آخر.

أما في القرنين الثالث والرابع الهجريين، فبدأ الضعف يدب في دولة بني العباس بسبب، سوء تصرف خليفة، أو طمع وزير، أو اختلاف مذاهب وأياً كانت الأسباب فقد أصبح هناك إمارات وأقاليم كانت سبباً رئيساً في ازدهار أدب الترسل.

وتطورت الرسائل تطوراً كبيراً في هذا العصر، حتى بلغت مستوى رفيعاً في البلاغة، وأصبح "كتَّاب الملوك عيونهم الناظرة، وآذانهم الصاغية، وألسنتهم الناطقة، والكتابةُ أشرفُ

([1]) القلقشندي، **صبح الأعشى**، (ج١٠، ص١٩٨).
([2]) ينظر: ضيف، شوقي ، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، (ج١، ص١٠٢-١٠٣).
([3]) الدروبي، محمد محمود، **الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، دار الفكر للطباعة، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص٦.

مراتب الدنيا بعد الخلافة، وهي صناعة جليلة تحتاج إلى آلات كثيرة"[١]، ولقد أشتهر العصر العباسي بالعديد من الكُتَّاب[٢]، وكان أشهرهم كاتب موسى الهادي "إبراهيم بن ذكوان" [٣]، و" الفضل بن ربيع "[٤]، كاتب هارون الرشيد، وكاتب الأمين وكاتب المأمون "الفضل بن سهل "[٥].

وبظهور حركة التأليف والترجمة تنشط الرسائل وظهر مبدعون كثيرون في ميدان النثر الفني متأثرين بما تُرجمَ ونُقلَ، ففي مطلع هذا العصر لمع الجاحظ (٢٥٥هـ) وترك أسلوبه بصمات واضحة على العديد ممن جاء بعده، ومن ابرز الذين تأثروا به وحاولوا أن ينهجوا نهجه (ابن العميد)، ولتمكنه في فن الأنشاء لقب بالجاحظ الثاني والصاحب بن عباد، وبديع الزمان الهمذاني(٣٩٨هـ) وكان فلتة في زمانه في مجال النثر، وصاحب مقامات مشهورة وأول من استوى على يديه هذا الفن في اللغة العربية[٦].

ويرى شوقي ضيف أن الثقافات الدخيلة التي نقلت إلى العربية، وسَّعت طاقاتها، بما اكتسبت من المعاني العقلية والفلسفية، فقد أصبح النثر العربي نثر ثقافات متشعبة تمدها روافد كبيرة من إيران والهند واليونان، وليس ذلك فحسب، بل أخذت تدخل في هذا النثر طرائق النظر الأجنبية، وأساليب الأجانب في تفكيرهم، والذي لا ريب فيه أيضاً أنه قام على هذا العمل نخبة من رجال الفكر الذين يحسنون اللغتين المنقول والمنقول عنها، والمنقول إليها، فإذا هم يستخدمون أسلوباً مولداً جديداً يحتفظون فيه للعربية بصورتها النحوية والتركيبية[٧].

وخلاصة القول إن العرب في الجاهلية قد عرفوا الكتابة، بنسبة محدودة تساعدهم على قضاء حوائجهم وكانت محصورة بين عدد من الأشخاص المعدودين، ولا ترتقي إلى النصوص الأدبية، وليست كالكتابة الفنية، وربما اقتضت الحاجة السياسية والتجارية إلى ذلك والسبب يعود

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، ج٣،ص١٧٩.

(٢) الجهيشاري، أبو عبدالله محمد بن عبدوس(ت٣٣١هـ)، **كتاب الوزراءوالكتاب**، تحقيق: مصطفى السقا، وأبراهيم البياري، وعلي محمد البجاوي، مطبعة مصطفى البياني الحلبي وأولاده، دمشق ط(٣)، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م، ص٣٣٢.

(٣) إبراهيم بن ذكوان الحراني الأعور صاحب طاق الحران ببغداد من الجانب الغربي، أبن العديم كمال الدين عمر أبن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠)هـ ، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (ج٨، ص٣٦١٠).

(٤) الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبدالله بن أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان "رضي الله عنه " كان من رجال الدهر رأياً وحزماً ودهاءً، ورياسةً ينظر: الصَّفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر، دار الأحياء، بيروت،٢٠٠٠م (ج٢٤، ص ٢٩).

(٥) الفضل بن سهل وهو بن سهل بن إبراهيم بن العباس أبو العباس السرخسي أسلم على يد المأمون ووزر له يلقب بذي الرياستين لأنه تقلد الوزارو والسيف، ينظر بن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان** ، تحقيق: أحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط(١) ١٩٧١م، ج٤، ص٤١.

(٦) ينظر: ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**، دار المعارف، القاهرة، (د،ت)ص١٣.

(٧) ينظر: ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في النثر العربي** (ج١، ص١٢٤).

في ذلك إلى قلة أدوات الكتابة، وضياع الكثير من النتاجات الأدبية، وإلا يستحيل القول إن الكيانات السياسية التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية لا توجد بينها معاهدات وتحالفات، خصوصاً ما يؤمِّن الطرق التجارية على أقل تقدير.

ومعلوم في الإسلام كيف حرص النبي(ﷺ) على تعليم أصحابه الكتابة، وما فداء أسرى بدر وكتَّاب الوحي إلا خيرُ مثال على ذلك، ومن ثَمَّ تبعهُ الخلفاء الراشدون(رضي الله عنهم) في كتاباتهم، فهم لم يخرجوا عن الإطار الرسمي الذي رسمه لهم الرسول ﷺ واقتدوا بسنته، إلا أن التوسع الذي شهدته الأمة الإسلامية في زمن الفتوحات بعد القضاء على حروب الردة زادت الحاجة إلى كتابة الدواوين، ومنها ديوان الرسائل، وقد أخذ المسلمون العرب فكرة كتابة الدواوين والرسائل من الفرس الذين زينوا رسائلهم بالصنعة الفنية، أما الرسائل عند العرب فكانت بلغة واضحة وسهلة وهذا ما تتطلبه تلك المرحلة..

وعند مجيئنا إلى العصر الأموي يبدو أن الترسل قد ازدهر كباقي الفنون الأخرى، حيث وجِدَت مساحةٌ واسعةً في العمل، وذلك بسبب تزايد حدة الصراعات وخروج الكثير من الفرق الإسلامية على أنظمة الحكم، وظهور الحياة العقلية والجدلية لانتزاع دفة الحكم وتأييد الآخر فيما يحتاج من أدلة وبراهين.

وعند مجيء الخلافة العباسية وظهور دولة بني بويه ارتقى شأن الرسائل أكثر مما كان عليه في السابق، فقد اتّخذ الخلفاء، والأمراء، والقادة، كتاباً لهم، كُلٌ له كاتب، حتى نسائهم اتخذنَ كُتاباً، وبذلك نشطت الكتابة نشاطاً واسعاً فأصبحت تطلب من العديد من أصحاب الأقلام يحدوهم إلى ذلك ما تدرّهَ هذه الحرفة من أموال وأرزاق، حتى وجدنا الكتَّاب أنفسهم هم الوزراء ولهم صلاحيات واسعة من التنظيم الإداري، وقد يُصبح الكاتب وزيراً يُدير شؤون الدولة ويسوس أمراءها، فأصبح لا يعتلي ديوان الإنشاء في دولة بني بويه إلا وزير أو من هم بدرجة وزير، كما سمّاهم الثعالبي بقوله:" كتّاب يجرون مجرى الوزراء"[1]، ومنهم عبد العزيز بن يوسف الشيرازي الذي شهدت رسائله مختلف الأغراض والتي عُولجت شعراً في السابق، وسنرى ذلك في الفصل الأول من الدراسة الموضوعية لرسائله الديوانية والشخصية، وما احتوت عليه من موضوعات كانت قديماً تأتي في أغراض شعرية بحته.

(1) الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، (ج٢، ص٣٦٩).

المحور الثاني: عبد العزيز بن يوسف الكاتب الشيرازي حياته وأعماله

أولاً: نسبه وكنيته ولقبه

هو عبد العزيز بن يوسف، وهذا ما جاء صحيحاً ومثبتاً في جميع المصادر التي ترجمت له، فيما يخص اسمهُ واسم أبيه، إلا أنَّ هناك إضافات على لقبه في بعض المصادر التاريخية منها الجكار[١]، والحكار[٢]، والحطان[٣]، والجرجاني[٤]، وقيل الشيرازي في الأعلام[٥]، ويكنى" بأبي القاسم "[٦].

ويقول محمد يونس عبد العال عن لقبه:" ليس لذلك كله دلالة ظاهرة أو معنى محدداً أو نسبة يمكن ردها إلى موضع من المواضع أو طائفة من الطوائف"[٧] فيُرجع هذه الألقاب بعضها إلى التصحيف والتحريف، ولا يعطي رأياً في نسبه إلى أي بلد ينتمي، ويكتفي بذكر لقب الشيرازي في المخطوط الذي تناوله بالتحقيق.

غير أن للثامري الذي أشار إلى جميع المصادر التاريخية وجمعَ كل نتاجاته الأدبية في تحقيق رسائله سنة ٢٠١٠، له رأي مغاير، فقد اعتمد لقب الشيرازي بقوله :" لكن الشيرازي يظهر على صفحة العنوان من المخطوط، وهي نسبة إلى شيراز أكبر مدن إقليم فارس المطل على الخليج العربي"[٨]، كذلك دل على ذلك خلال التحدث عما كتب عبد العزيز بن يوسف من رسائل بقوله "كتب الشيرازي"، لذا سنعتمد ما اعتمده الثامري في تحقيقه، وذلك لأن أغلب الرسائل كانت مضبوطة النص مع دلالات عناوينها وهذا لا يعني استبعاد تحقيق محمد يونس عبد العال .

---

(١) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (ج٩،ص١٤٤)، والصفدي، **الوافي بالوفيات** ، (ج ١٨، ص٥٦٦).
وجكر الجكيرة تصغير الجكرة : وهي اللجاجة وفي موضع أخر : اجكر الرجل إذا لج في البيع وقد جكر يجكر جكرا، وإذا أخذنا الحكار أي الحكر: ادخار الطعام للتربص وحكره، يحكره، حكراً : ظلمه وتنقصه وأساء معاشرته ينظر لسان العرب مادة (حكر،جكر).

(٢) الجوزي، جمال الدين أبو فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت : ٥٩٧هـ، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٩٩٢م، ج٧، ص٢٠٣

(٣) ابن كثير، عماد الدبن أبي الفداء إسماعيل الدمشقي القريشي (ت ٧٧٤ هـ) **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت (ج١١، ص٣٢٥).

(٤) البديعي، يوسف الدمشقي، (ت ١٠٧٣هـ)، **الصبح المنبئ في حثيثة المتنبي**، تحقيق: مصطفى السقا وزميله دارالمعارف، القاهرة، ١٩٣٨م، ص٤٢.

(٥) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت ١٣٩٦هـ)، **الأعلام**، دار العلم للملاين، لبنان ط(١٥)، ٢٠٠٢م ، (ج٤، ص٢٩) .

(٦) التّنُوخي، أبي علي الحسن بن علي (ت٣٨٤هـ)، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر بيروت،(ط٢) ١٩٩٥م، ج٥، ص٨٧

(٧) عبد العال، محمد يونس، **رسائل عبد العزيز بن يوسف**، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهر،ط(١)، ٢٠٠٩، ص١٤.

(٨) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، تحقيق إحسان ذنون الثامري، دار صادر، بيروت، ط(١) ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ١٣.

ويعد الشيرازي واحداً من أهم كتّاب العهد البويهي، الذي امتد حكمهم منذ عام (٣٣٤هـ، ٩٣٢م) وحتى (عام ٤٤٧هـ -١٠٥٥م) ويبدو أن أبا القاسم كان معروفاً قبل وصول البويهيين إلى السلطة، وهذا يدل على أن ولادته كانت قبل تولي الطائع لله الخلافة العباسية، فها هو يأمره بأن يكتب إلى ركن الدولة البويهي مباركاً دخول ولده عضد الدولة، مفوضاً إياه أمر العراق فيخاطب ركن الدولة قائلاً " فأنت وعضد الدولة كلأكما الله يد أمير المؤمنين فيما يأخذ ويذر وناظراه فيما يقرب ويبعد بكما افترش مهاد الملك بعد إنضاضه، ورفع منار الدين بعد انخفاضه فابشروا من الله تعالى بالحسنى، ان الله لا يضيع أجر المحسنين"[١].

وليس بين أيدينا من نعرف عن أصل أسرته، سوى أن أبا حيان التوحيدي يطعن في نسبه وعرضه بأمه ويحقِّر أباه، غير أن الزمان حالفه، وهو أهل لغير ذلك بقوله: "كانت أمّه مغنّية من أهل البيضاء، وأبوه من أسقط الناس، ونشأ مع أشكاله، وكان في مكتب الرّبضيّ على أحوال فاحشة، وورّق زماناً، ثم إنّ الزمان نوّه به، ونبّه عليه، ومثل هذا يكون، والأيام ظهور وبطون، وكما يسقط الفاضل إذا عانده الجدّ، كذلك يرتفع السّاقط إذا ساعده الجدّ"[٢].

وعلى ما يبدو أن علاقة الشيرازي مع أبي حيان التوحيدي كانت سيئة للغاية، ولا بد من وجود سبب رئيسي في التحامل عليه، ربما الموضوع فيه منافسه من خلال سقوط الفاضل وارتفاع الساقط وهذا ما سنحاول أن نبينه في موضع أخر من أخلاق الشيرازي.

وحين تقرأ في صفحات أبي القاسم هذا السياسي البارع والأديب المتقدم، فلا تعرف أعربي هو، أم فارسي، أم كردي؟ ولا تعرف مذهبه في الدين؟ إنما تعرفه من خلال الفكر المستنير المؤمن بالتعدد والتنوع في إطار حضاري.

ثانياً: منزلته الأدبية والسياسية.

يعد من أهم ثلاثة كتاب أفردهم الثعالبي من الذين يجرون مجرى الوزراء، والقارئ الذي لا يدقق حين يقرأ ترجمة الثعالبي لأبي القاسم يظن للوهلة الأولى أنه كاتب بسيط، لكنه حين يتابع قراءة ما اختاره الثعالبي من شعر أبي القاسم ونثره، يعرف فضل الأخير وسبقه، فقد وصفه الثعالبي قائلاً: "أحدُ صدورِالمشرق وفرسانِ المنطِق، وأفراد الكرم الكبار،الحِسَانِ الآثار،

---

(١) الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، (ج٢، ٣٦٩- ٣٧٠).
(٢) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد ابن العباس (٤١٤هـ)، **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط(١) بيروت، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م (ج١، ص٤٧٥)

والأخبار، وأعيان المدَّاحين المقدَّمينَ في الأدبِ ،والكتابة، والبراعةِ، والكفاية، وجميع أدواتِ الرياسة "[1].

كان الشيرازي كاتباً لعضد الدولة[2]، له مكانةٌ وحظوةٌ كبيرة عنده يحضرُ مجالسه ليكتب عنه، وبينهم علاقة قوية، حتى أنه كان يحضر أوقات أُنسه واحتفالاته[3]، وقد قرب عضد الدولة أبا القاسم من مجلسه، وقدَّر منزلته أحسن تقدير، فقلده ديوان رسائله، ومع تقلده الديوان طول أيامه معدوداً في وزرائه، وخواص ندمائه[4]، فقد زاده في الألقاب[5]، وكان يقوم بمهماتٍ رسمية في خدمة عضد الدولة[6] وينقلُ الرسائل والتعليمات إلى العمال والنواحي[7].

حظيَ الشيرازي بمكانةٍ مرموقةٍ عند عضد الدولة، الذي يعد من أقوى حكام بني بويه ولُقِب من قبل الطائع بعدة ألقاب ذكرها الشيرازي في إحدى رسائله بقوله:" رُسِمَ هذا اليوم لنا بعقد التاج والتَّلقيب بتاج الملة وقُرئ علينا بحضرته كتاب عُهدَ إلينا بإمارةِ الأمراء واللقب المجدد مضافا إلى اللقب المتقدم[8]" [9]، صاحب البطولة الأول في رسائله من خلال تصوير انتصاراته "وهو من الملوك الذين لا يقدح الثلم في سياستهم بحال، ولا يجد العيب في سيرتهم أدنى مجال"[10]، وله الفضل في الحفاظ على دولة بني بويه بعد صراعات كثيرة، فيمدحُ الشيرازي عضد الدولة فيما أخرجه الثعالبي في يتيمته من شعره فيقول: .

الله أكبرُ والإســـــلامُ قد سلمـــــا	وعاد شملُ العلا والمجدُ ملتئمـــا
وظلُّ مُلكُ بنـــــي العبـّـاس معتلياً	لما غدا بنُغاةِ الحـقَّ مدَّعـــــمـــا
بـــــــآل بُويــه أعلى الله رايـــتهُ	وشدّ من عُقَدٍ ما كان منفصِمـــا
سادوا الملوكَ وشادوا المجدَ وابتدروا	إلى ذرى أمدٍ نال السُّها شَمَـــَما

([1]) الثعالبي، **يتيمة الدهر في حاسن أهل العصر** (ج٢، ص٣٦٩)
([2]) ينظرابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (ج٧، ص٤٠٤)، الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك** (ج١٤، ص٢٨٩).
([3]) ينظر: التنوخي، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، (ج٤، ص٨٩- ص٩٧).
([4]) ينظر: الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** ، (ج٢ ، ص٢٦٩).
([5]) ينظر: الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص١٤.
([6]) ينظر: **الثعالبي يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، (ج٢ ، ص٤٤٩).
([7]) ينظر: الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص١١.
([8]) اللقب المتقدم :عضد الدولة، مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (٤٢١هـ)، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تحقيق: أبو القاسم إمامي الناشر، سروش، طهران، ط(٢) ٢٠٠٠، (ج٦، ص٢٣٤)
([9]) ينظر: الشيرازي، **رسائل الشيرازي** ص١٥.
([10]) **مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم** (ج٧، ص٦٩).

هُمُ قلادةُ عزَّ أنـــــتَ واســـــطةُ فيها، و كلُّ بما قد قلته عَلِمـــــا[1]

لم تحفل المصادر التاريخية أوالأدبية بذكر الشيرازي، مع أنَّه عمل مدة طويلة في ديوان الرسائل[2]، وكما ذكر أنَّه عمل في الخراج والارتفاع[3]، وهذا مما أحال دون شهرته كأبي الفضل بن العميد[4]، وأبي إسحاق الصابي[5]، والصاحب بن عباد[6]، والسبب في ذلك يرجع إلى "ضياع الكثير من أخبار هذا الأديب الكاتب، وضياع الكثير من نتاجه الأدبي"[7].

إنَّ ما كتبه الشيرازي حقق له منـزلة رفـيعة عند العباسيين والبويهيين، فكان له تدخلاً بشؤون الدولة والتأثير على أُمرائها[8]، بأسلوبه السهل المرسل الذي يصدر فيه عن موهبة وطبع، يذكرنا برقي فن الكتابة الديوانية فـي الفترة التي كان يعمل فيها كاتباً، وبرجاحة عقل كتّاب الدواوين وبعد نظرهم، وحصافة رأيهم وبافتنانهم فـي أساليب تعبيرهم، فقد كان" دقيق العبارة في كتابته، رصين الأسلوب، حسن الوصف، سواء كان ذلك في رسائله السياسية أم الاجتماعية"[9] .

ومما دلَ على منزلته السياسية فـي الرسالة التي خطها إلى ركن الدولة يقرن البلاغة بالإيجاز، لأن ما كتبه سيسلك سبيل البريد، فلا يطيل ولا يسترسل، ولا يقترب من المترادفات، وهذا ما لا يستخدمه حين يطلب منه عضد الدولة أن يكتب فـي وصف التقائه مع الخليفة الطائع لله فـي موضع يعرف بالجديدية قرب بغداد، فـيعكف أبو القاسم على تدبيج وصف اللقاء بزخرف القول، ويوفر لوصفه سائر فنون البلاغة والبديع دون إسراف، فـيقول عن عضد الدولة حين التقى الخليفة الطائع لله :"ولما ورد أمير المؤمنين النهروان، أنعم بالإذن لنا فـي تلقيه على الماء فامتثلناه

---

(1) الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، (ج٢، ص٣٨٠)

(2) ذكر محمد عبد العال يونس أنه كان يعمل كاتباً لعضد الدولة أيام المتنبي سنة ٣٥٤هـ، ينظر: **رسائل عبد العزيز بن يوسف**، ص١٦.

(3) الارتفاع :هو المبلغ المتحصل من جباية الزرع، أو مقدار ما يجتمع من خراج البلاد كل عام ينظر: المصدر نفسه، ص٥٥.

(4) هوأبو الفضل محمد بن الحسين، عماد ملك آل بويه ولد سنة (٣٠٠هـ) في مدينة قم بفارس، وزر لركن الدولة أكثرمن ثلاثين عاماً، ينظر الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، (ج٣، ص١٨٣)

(5) هو أبراهيم بن هلال هرون الصابي الحراني، أوحد العراق في البلاغة كان على دين الصابئة ولم يسلم بالرغم من مطالبة الكثير من الوزراء، ينظر: **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** (ج٢، ص٢٨٧ – ٢٨٨)

(6) هوأبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد الطّالقاني الأصفهاني ،(ولد ٣٢٦ هـ) توفي قبل الشيرازي بثلاث أعوام ٣٨٥ ينظر: ابن كثير **البداية والنهاية** ،ج١١، ص٣١٤، وعباد بن الصاحب ، **المختار من رسائل كافي الكفاة**، تحقيق: إحسان ذنون الثامري، منشورات جامعة العلوم الإسلامية،عمان ، ط(١) ،٢٠١٤ مقدمة التحقيق (هـ، و).

(7) الحسن، غانم جواد رضا، **الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ٢٠١١، ص١٦٩.

(8) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص١٢.

(9)حماد، محمد محمود محمد، **فن الرسائل النثرية في القرن الرابع الهجري**، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإسكندرية، كلية الآداب سنة١٩٨٠م، ص٢٧٥.

وتقبلناه، وتلقانا من عوائد كرمه، ونفحات شيمه، والمخائل[١] الواعدة بجميل آرائه، وعواطف إنمائه، ورعاية ما كنفنا يمنه، وطلائع الآمال تشرف عليه، وثغر الإسلام يبتسم إليه، فعزم علينا بالانقلاب معه على ضروب من التشريف، لا مورد بعدها في جلال، ولا موقف وراءها لمذهب في جمال، واجتلت الأعين من محاسن ذلك المنظر، وتهادت الألسن من مناقب ذلك المشهد، ما بهر بصر الناظر، وعاد شمل الإسلام مجموعاً، ورواق العز ممدوداً، وصلاح الدهماء مأمولاً، ونور الدين والدنيا مرقوباً "[٢].

ثالثاً: أخـــلاقــه.

كثرت الاتهامات في حق الشيرازي فيذكر التنوخي عدم استحقاقه للمنزلة الأدبية التي تقدمها في عضد الدولة بقوله: ".....واعتقد في كمال عقله ورزانة نبله، ورجحان فضله، فناط به أزمة عقده وحله، واعتمد إليه في أمر ملكه كله، وكان نفاق الحاشية، يغطي عواره، ويستره، وألسن الخدم والأتباع لعضد الدولة، تمدحه وتشكره - إلى قوله - وهو يتبجح بدعوى العقل، وهو أجهل من باقل خال عن الفضائل"[٣].

إلا أن الباحث يرى غير ذلك فكيف لشخص كالشيرازي، يتولى منصب رئيس الديوان، ويكتب للأمراء بأروع ما سطر قلمه في أغلب الرسائل سواء أكانت من الرسائل الطويلة، أم المتوسطة، أم الصغيرة بأنواعها الرسمية أو الاجتماعية، أن يصفه القاضي التنوخي بعدم رجحان عقله وقلة فضائله، ونجد في ترسله أجود الأساليب الأدبية.

وليس أدل على ذلك أكثرمن قول محمود غناوي الزهيري عن اختيار الكتاب في عصر بني بويه: أحسنوا صنعاً باختيارهم أكفاء الوزراء والكتاب لإدارة دولتهم، فقد امتاز هؤلاء الوزراء كابن العميد، والصاحب بن العباد والوزير المهلبي وسابور وغيرهم بالقدرة الإدارية والحربية والبلاغية، فهيأوا لنهضة علمية وأدبية ازدهرت في مراكز المدن والاقاليم[٤].

إن طبيعة المرحلة التي وصل إليها الشيرازي من منزلةٍ عند عضد الدولة، جعلته يحتاط من منافسيه حتى أنه استعمل النفاق السياسي بما يشابه زماننا في الوقت الحاضر، والسبب في ذلك ما كانت تدره الكتابة السلطانية من أموال على القائمين بها، وهذا مما أغضب عضد الدولة عليه

---

(١) المخائل: جمع مخائلة، أي: المخيلة، ينظر: الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت ٣٩١هـ)، **الصحاح**، تحقيق:علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ج ٤/ ١٤٧١.
(٢) الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، (ج٢، ص ٣٧١).
(٣) التنوخي، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة** ، (ج٥، ص٨٥).
(٤) الزهيري، محمود غناوي، **الأدب في ظل بني بويه**، دار أسامة، عمان، (ط ١) ٢٠١٠م، ص١٦٩.

وذكره له بعد أن حاول إبعاد أبو محمد الحرنباوي[١] فقال عضد الدولة له:" لا جزاك الله خيراً، الآن علمت أنّك لا تعتمد حالة ترضي الله تعالى، ولا تتبنّى مكرمة، ولا تحفظ مروءة، ولا تحرس أمانة، ولا يخرج فكرك عنك، ولا صمتك، إلّا في مال تجتذبه، وإقطاع لنفسك تثّمره، وتجعلني بابا من أبواب معاشك، وجهة من جهات أرباحك، تبعد من ينفعني، وتقرّب من ينفعك"[٢].

لم ينفرد التنوخي فيما ذكرنا عن عبد العزيز فقد انهال التوحيدي عليه بالشتائم مرةً تلو الأخرى في الليلة الثامنة والثلاثين في(الإمتاع والمؤانسة) بقوله : "وجرى ليلة بحضرة الوزير أعلى الله كلمته، وأدام غبطته، ووالى نعمته، أحقّ من دعي له، وأشرف من بوهي به، وأكمل من شوهد في عصره، حديث ابن يوسف وما هو عليه من غثاثته ورثاثته، وعيارته وخساسته"[٣].

ويقول الزهيري عن التوحيدي: "كان دائم الشكوى والتذمر من الفقر والجوع وجور الزمان"[٤]، على عكس الطبقة العليا من الوزراء والكتاب العاملين في دواوين الدولة الذين كانوا مترفين في القصور، وهذا أحد أسباب تحامل أبي حيان التوحيدي على الكتَّاب المعاصرين له ومنهم الشيرازي، بينما يرى محمد يونس عبد العال أن هذا التحامل والحقد مبني على أمرين.

١- إن هذا البغض ناتج عن منافسة أبي القاسم لابن سعدان، لأن التوحيدي من المعجبين والمهتمين بأخبار ابن سعدان الذي استوزر لصمصام الدولة سنة ٣٧٣هـ ثم قتله سنة ٣٧٥هـ.
٢- لو صحت تلك العيوب لما استبقاه عضد الدولة ولما ظل أبناؤه يولونه مرة بعد أخرى فضلا أن عضد الدولة لم يكن بالذي تنطلي عليه الحيل والدسائس، ويقبل أن يكون ألعوبة في أيدي من يعملون معه[٥].

وقد ذهب زكي مبارك[٦] إلى أنَّه رجل كريم النفس عندما شفع للصابي حين حاول عضد الدولة أن يقتله بعد أن أمره بتأليف كتاب في أخبار بني بويه ولما دخل عليه أصدقاؤه السجن

---

(١) من الأشخاص الذين تم اصطحابهم مع عضد الدولة من بغداد إلى همذان وكان ذا دراية ، وفضل، وعقل، ورزانة، ونبل ، ينظر: التنوخي، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة** (ج٥ ، ص٨٥)
(٢) التنوخي، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة** ، (ج٥، ص٨٨).
(٣) التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، (ج١، ص٤٧٣).
(٤) الزهيري، **الأدب في ظل بني بويه**، ص٦٣.
(٥) ينظر: عبد العال، **رسائل عبد العزيز بن يوسف** ، ص٢٦.
(٦) مبارك، **النثر الفني في القرن الرابع الهجري**، (ج٢، ص٧١٨).

وسألوه عما يفعل قال "أباطيل أنمقها، وأكاذيب ألفقها "[1] فغضب عضد الدولة وأمر أن يلقى به تحت أقدام الفِيَلَة لولا شفاعة الشيرازي ومن معه آنذاك.

ومما يبدو أن ما ذهب إليه زكي مبارك يظهر تعاطفه مع الشيرازي في مسالة أخلاقه، لأن الأخير كان حريصاً على تحقيق غايته من خلال مرؤوسيه باستخدام المكر والخديعة، ويحاول الوصول إلى مبتغاة بأي طريقة كانت، فهو من الذين برعوا في حوك الفتن وتدبير الدسائس، وهذا ما حدث عندما تولى الوزارة لصمصام الدولة بعد وفاة عضد الدولة.

وبعد وفاة عضد الدولة ظهرت خيانة الشيرازي ونفاقه السياسي حين تظاهر بالوفاء لولده من بعده، فحين حدث خلاف بين أبناء عضد الدولة سنة ٣٧٣هـ، وبعد خروج شرف الدولة على صمصام الدولة في المنازعة على الملك، كان صمصام الدولة معه أبو منصور بن أبي الحسن وهو خال ولد أبى القاسم عبد العزيز بن يوسف، فلمّا علم عبد العزيز بهروبه من الليل خاف أن يسعى أبو عبد الله بن سعدان إلى صمصام الدولة ويوغر صدره عليه وينسب هروبه إليه فرأى أن يسبقه لكي يبرئ ساحته قبل أن ينتهز عدوّه الفرصة[2].

إن المنافسة أمر طبيعي يحدث في مؤسسات الدولة خاصة المناصب الديوانية التي تجلب المال لأصحابها، هذا الذي كان يعاني منه الشيرازي، حيث حاول التشبث بأي طريقة كانت من أجل الوصول إلى أعلى مراتب الديوان، حتى لو تطلب الأمر التنازل عن أقربائه كما فعل مع خاله وإنكاره ما فعل من خيانة لصمصام الدولة، مع إنكار ما كان من مودة وإخاء بين الشيرازي وبين ابن سعدان، عندما مدح الشيرازي لصمصام الدولة أبا الحسن أحمد بن محمد بن برمويه للحصول على وظيفة الكتابة عند والدة صمصام الدولة وقال له:" هذا أبو الحسن ابن برمويه رجل قد خدم عضد الدولة وهو أسلم خبيّة وأطهر أمانة وأليق خدمة للحرم لأنه كان خصياً "[3]، والمراد من ذلك إبعاد ابن سعدان ووالده من منصب الوزارة .

إلا إن السحر انقلب على الساحر فهذا ابن برمويه أصبح المفوض الأول بالوزارة وجعل من عبد العزيز نائبه، وهذا ما أثار حفيظته مما جعله يطلب من والدة صمصام أن تكون الرتبة له، ولفض النزاع تشير والدة صمصام على الأمير أن تُشْركهما في الوزارة "وجلسا جميعا في دست

([1]) الثعالبي، **يتمية الدهرفي محاسن أهل العصر**، (ج٢ ، ص ٢٩١)

([2]) ينظر: مسكويه **تجارب الأمم وتعاقب الهمم** ،(ج٧ ص١٢١)، وينظر: خلوف، عماد عبد الكريم أحمد، **ضعف المجتمع الإسلامي في ظل الحلافة العباسية أيام السلطنة البويهية ٣٣٧هـ - ٤٤٧هـ**، رسالة دكتوراه ٢٠١٢، جامعة اليرموك، ص ١٦٦ وما بعدها.

([3]) مسكويه، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم** (ص١٢٩)

واحد، دست الوزارة المنصوب"[1] وعلى الرغم من شدة مبالغة الأحداث والأخبار عن الشيرازي، إلا أنها كانت مؤشراً على مدى الصراعات بين الوزراء أثناء هذه الفترة .

رابعاً: علاقتــه بالــعلماء.

استمر أبو القاسم كاتباً إلى أن توفي عضُد الدولة سنة(٣٧٢هـ)[2]، فتقلد الوزارة بعده لأولاده، صمصام الدولة، وبهاء الدولة سنة(٣٨١هـ)[3]، وللأسباب التي ذكرها الباحث سابقاً لم يستمر في الكتابة طويلاً، بل فقد مكانته السياسية، ولم يجد الباحث له ذكراً في المصادر حتى وفاته سنة(٣٨٨هـ)[4].

وجرت بينه وبين الصاحب إسماعيل بن عباد مُراسلات وصل عددها إلى ست رسائل دلَّت على ذلك عناوينها[5]، وهي في موضوعات التشويق، والمديح، والعتاب، والتهنئة، والاستشفاع، بالإضافة إلى الأخبار السياسية، بينما كتب الصاحب بن عباد للشيرازي رسالة واحدة جاءت في دمية القصر وفيها "تساؤلات كما ظهر معتداً بنفسه يعاتبه معاتبة الند للند"[6].

وفيها كتب الشيرازي للصاحب قائلاً: "ذهبتَ عن مودّتي ذهاباً أساء ظنّي فلِمَ؟ واستحللتَ محرّماً من الهجران فبِمَ؟ وزدتَ في شدّة الشوقِ والقطيعة فإلامَ؟، وأعطيتَ الجفاء أوفى حظوظِه فهل تُقلعُ؟ وإن خرجتُ عليكَ فيما أتيتَ فما تَصنعُ؟ إن رأيتَ أنْ تواصَلني بعدها فعلتَ إن شاء الله عز وجل"[7].

وقد رأى محمد يونس عبد العال في علاقة الصاحب بن عباد بالشيرازي علاقة رسمية قائمة على التحفظ، وما تمليه الواجبات السياسية، ويبدو أن الصاحب كان يكتب ما يبديه له عقله فهو الذي "لا ترد له كلمة ولا رأي"[8]، بينما الشيرازي يمثل لسان عضد الدولة في سلطانياته، ولا يستطيع الخروج عن أغلب مضامينها.

---

(١) مسكويه، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم** (ج٧، ص١٢٩).
(٢) الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، (ج ٢، ص٢٦٩).
(٣) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تحقيق: مفيد قميحة وجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ط (١) (ج ٢٦، ص١٣٦).
(٤) ينظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (ج٥، ص٥٠١)، وينظر: الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص١٣.
(٥) ينظر: الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٥٤، ص٧٠، ص٩٧، ص١٢٤، ص ١٤٤، ص ١٥٠.
(٦) عبد العال، **رسائل عبد العزيز بن يوسف**، ص٣٥.
(٧) الباخرزي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الطيب، **دمية القصر وعصرة أهل العصر**، تحقيق: محمد التونجي ، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣، (ج ١، ص٤٦).
(٨) الصاحب بن عباد، **المختار من رسائل الصاحب بن العباد**، (و)

ونظراً لمنزلة الصاحب الذي يُعدَّ من أخطر وزراء عصره، وهو أول من لُقِّب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب ابن العميد، أو لأنه كان يصحب الأمير البويهي[١]، الذي استوزره، وليست شهرة ابن عبّاد الحقيقة في السياسة وإنما في الأدب[٢]، فقد حظي من الأمراء بالاحترام والتقدير، مما جعل الشيرازي وغيره يتشفع به لنيل الرغبات، ومنها عندما كتب له الشيرازي في التشفع لأحد الأشخاص "كتابي ولكلِّ ذِي حِظَّ من عناية مَولاي مورودٌ موقوفٌ عليه، ..... وأنا أرغب إليه في أن يضاعف له ما كان منحه من رأيه وفرط إيجابه، ويُضيف ما يجبُ لهُ بالشُّكر وذمام الوُدِّ إلى ما يجبُ لهُ بحُكم الاستشفاع بي، وخصوص الحالِ معي، ويفسح لي مثواهُ في ذرى عنايته وظلِّ إحسانه، حتَّى تلتئم أسبابُهُ، وتستقيم أحوالُهُ، ويبلغ غاية الأمل في صلاح الشَّأن، واستقامة أمور المعاش"[٣].

أما علاقته مع الصابي فكانت تقوم على تبادل الرسائل الإخوانية، فقد تضمنت "المودة المشتركة والثناء وإبداء الأعجاب والتقدير"[٤]، غير أن الصابي كان يكثر الشكوى ويطلب العون، وقد عاتب الشيرازي عتابا رقيقاً على انصرافه عنه، وعندما غضب عضد الدولة عليه وحاول قتله أدركه الشيرازي وتشفع له، واكتفى عضد الدولة بالقبض عليه ومصادرة أمواله فبقي في الاعتقال بضع سنين.

ومما دل على تلك العلاقة ما ساقه العسكري فيما كتبه أبو إسحاق الصابي إلى الشيرازي يهنأه بقدوم العيد ورد فيها " أطال الله بقاء مولاي الأستاذ وأسعده بنيروزه الوارد عليه وأعاده ألف عام إليه وجعله فيه وفي أيامه كلها معافياً سالماً فائزاً غانماً مسروراً محبوراً محروساً موفوراً مختوماً....."[٥].

وقد أعْجب الشيرازي ببلاغة الصابئ فهو"يثني على كلامه وبيانه"[٦] في ذلك بقوله "علمت كيف تنظم فرق البلاغة، وترتقي طرق الخطابة، وتتراءى الأشخاص البيان، وتتمايل أعطاف الحسن والإحسان وقرأت لفظاً جلياً، حوى معنى خفياً، وكلاماً قريباً رمى غرضاً بعيداً وفصولاً متباينة، كساها الائتلاف صور المشاكلة، ومنحها الامتزاج صيغة المضارعة ولحمة

---

(١) مؤيد الدولة ينظر: الصاحب، **المختار من رسائل كافي الكفاة الصاحب بن** عباد ، (و)
(٢) ينظر: الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، (ج٢، ص٣٥٥)، وينظر: الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك**، (ج١٤، ص٢٧٠).
(٣) الشيرازي، **رسائل الشيرازي** ص١٢٤.
(٤) عبد العال، **رسائل عبد العزيز بن يُوسف** ص٢٧.
(٥) العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران، **ديون المعاني**، الناشر دار الجيل، بيروت (ج١، ص٩٩).
(٦) عبد العال، **رسائل عبد العزيز بن يُوسف**، ص٣٣.

الموافقة، فصارت لدلالة الأولى منها على الثاني، وتعلق العجز بالهادي، فيها أولاد أرحام مبرورة، وذوات قربى موصولة، تتعاطف عيونها وتتناصف أبكارها "[١].

ومدحَ أبو إسحاق الصابئ الشيرازي بقوله من الطويل:

أبو القاسم العزيز بن يوســـــف عليهِ من العـــــلياء عـينٌ تراقُبه

رَوى ورَعى لما رَوى قَولَ قائلٍ وشِبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاعَ صاحبُه [٢]

وكذلك فعل الشيرازي فمدح الصابي بأبيات ذكرها صاحب اليتيمة من الطويل :

وُقيت أبا إسحاق من حافظٍ عهداً وراعٍ لَمِن يمنى قَوَّمَتـــــــه ودَّا

ومـــــنفردٍ بالمَـــــكرُماتِ تألفتَ عليه المعالي فاستقلَّ بها مـــــجددا

بَلَوت أخلّاء الزمانِ فكلُّـــــــهم سواءٌ فلا ذمَّاً منحتُ ولا حمـــــدا [٣]

وكتب الشيرازي إلى أبي الفتح بن العميد ثلاث كتب جميعها تدل على الاحترام والخدمة إلى أبي الفتح، ويرعى فيها مرتبة المخاطب، كونه وزر لركن الدولة وبعده مؤيد الدولة وجميع تدابير السيف والقلم[٤]، وقد اصطبغت الرسالة الأولى بصبغة رسمية وهو يتحدث عن العرب العُقيليَّة في بغداد ومما ورد فيها " ....وقد وقفنا على ما ذكره أخوانَا من أمر الأعرابيَّ الوارد من مدينة السلام وما تَحمَّله عن جماعةٍ من العَرَبِ العُقيلية...."[٥]، والثانية جاءت فيها معاني الاستزارة والدعوة إلى المواصلة والكشف عن علاقة اجتماعية عميقة بطابع وجداني بأبي الفتح قال فيها "..... وأنا الآن أعُودُ إلى عادتي في خِدمَتِه، واستعمال عهدي من رأيه بمواصلة حضرته... "[٦]، والآخر جواب يهنئه فيه باللقب وفيها " وصل كتابُ سيدنا الأستاذ الجليل ذي الكفايتين مُوشحاً بذكر النعمة التي تجددت له بلباس ما كان مولانا الملك – أطال الله بقاءه – اختاره له من اللقب"[٧].

وكذلك حظي بعلاقة جيدة بالشريف الرضي وكان بينهم موَّدةٌ وصداقةٌ ومُكاتبات، وهومن الذين شهدوا له بالفصاحة ؛ لذلك كان الشريفُ ممن رثاه بقصيدةٍ طويلةٍ منها:

---

(١) الثعالبي، **يتمية الدهرفي محاسن أهل العصر**، (ج٢، ص٣٧٧-٣٧٨).
(٢) أنظر: المصدر نفسه، (ج٢، ص ٣٢٦).
(٣) أنظر: المصدرنفسه، (ج٢، ص ٣٧٨).
(٤) أنظر: المصدر نفسه (ج٣،ص٢١٥)
(٥) أنظر: الشيرازي، رسائل الشيرازي، ص٨٥.
(٦) أنظر: المصدر نفسه، ص ١٠٩.
(٧) أنظر : المصدرنفسه، ص١٣٢.

إنَّ إبنَ يُوسُفَ عُرِّيت أنقاضهُ وثَوى بمنزلةِ المَكلَّ المُظلـــــعِ

ما للزمان يلذُ طعمَ مصائبـــي فكأنه يظمى ليشرب أدمـــــــع

أبكيك يا عبد العزيزِ بخطَّـــــةٍ تُعمي مطالِعُها وخَطبٍ مُضلِعِ

إني أرى في المجدِ بعدك ثُلمةً تبقى وخرقاً ما له من مرقـــعِ

إنَّ الفصاحةَ ذللت لك عُنــقها فأخذتَ منها بالعنان الأطـــوعِ[1]

لقد خلفَ الشيرازي نثراً جيداً غزيراً يذكره الثعالبي في اليتيمة[2]، إضافة إلى ما تم إنجازه من تحقيق مجموعة رسائله بعد أن تعاقب على تحقيقها كل من محمد يونس عبد العال سنة ٢٠٠٩، و إحسان ذنون الثامري٢٠١٠، وقد تم اعتماد النسختين المحققتين في هذه الدراسة، ولأسباب منها ما يتعلق بإعطاء إشارات كاملة لأغلب الكلمات المبهمة، هذا ما وجده الباحث عند محمد يونس عبدالعال، أما تحقيق الثامري فقد تم الاستفادة منه في ضبط النص مع توضيح أغلب عناوين الرسائل، لأن الثاني كان ضليعاً بالأمور التاريخية، وهذا ما افتقدناه في تحقيق الأول، ولو أتفق الاثنان على الاشتراك بتحقيقهم لخرجوا لنا بنسخةٍ تكاد تكون على مستوى عال من الدقة، وهذا لا يعني أن الدراسة تنال من تحقيقهم، بل على العكس من ذلك، فإن من أهم مبادى التحقيق هو الدراية بعلوم اللغة، وهذا ما وجد في التحقيق الأول، والوقوف والتعرف على الأحداث التاريخية، وهذا ما وجد في التحقيق الثاني.

([1]) الرضي، محمد ابن أبي أحمد الحسين الموسوي العلوي، **ديوان الشريف** شرح وتصحيح، أحمد عباس الأزهري، ط(١)، بيروت، لبنان، ج١، ص٤٨١.

([2]) يراجع الثعالبي ، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ص٣٦٩ وما بعدها لغاية، ص٢٨٣.

الفـــصـــل الأول

الـدراســـة الـــموضوعيـــة

١. المـــــبحث الأول: الرسائل الديوانية.

- **المطلب الأول: كتب الفتــح.**
- **المطلب الثاني: كتب العهود.**
- **المطلب الثالث: كتب الأمان.**
- **المطلب الرابع: كتب الهدنة.**

٢. المبـــحث الثاني: الرسائل الشخصية

- **المطلب الأول: الرسائل الإخوانية**
  - **١) التهاني**
  - **٢) التعازي**
  - **٣) الشكر**
  - **٤) الشفاعة**
- **المطلب الثاني: الرسائل الأدبية**
  - **١) المجاملات والتقريظ**
  - **٢) الوجد والشوق**
  - **٣) الشكوى والأستعطاف**

المبحث الأول

الرسائل الديوانية

توطئة

تقسم الرسائل إلى رسائل ديوانية وشخصية ولا يخفى أن المقصود بكلمة رسائل لا يقتصر على الرسائل الديوانية والإخوانية بل يشمل كل كتابة نثرية لا تبلغ أن تكون كتاباً، وقد تكون فقهاً أو نقداً أو علوماً أخرى، وهناك كُتباً أطلق عليها رسائل مع أنها أكبر من أن تكون كذلك، كرسالة الغفران للمعري وغيرها، ولعل سبب تسميتها هكذا موجهة إلى شخص يُخاطبه المؤلف، سواء أكان هذا الشخص حقيقةً أم متخيلاً، غير أن مصطلح الرسائل أصبح في عُرف الأدباء، والمؤرخين للأدب مقصوراً على الرسائل الديوانية والشخصية وهذا مدار بحثنا.

الرسائل الديوانية

هي التي تصدر عن الدواوين أو ترد إليها الخاصة بشؤون الدولة ومصالحها، تيسيراً للعمل، وتثبيتاً للنظام العام، ويغلب على هذا النوع الدقة، والسهولة في التعبير، والتقيد بالمصطلحات الحكومية والفنية، والمساواة في العبارة والبراءة من التهويل والتخييل، إذ كانت صورة لموضوعات وزارية وأفكاراً خاصة، ومع ذلك كانت في العصور الإسلامية الأولى مجالاً للبلاغة، وحُسن التقسيم والتعبير[١].

وهي من أهم المصادر التاريخية في توثيق الخبر التاريخي، لذلك كان يُطلق عليها القلقشندي بالوثائق والرسالة الديوانية الوثيقة، وإذا ما صح صدورها عن ديوان الإنشاء فيمكن أن تُعد بمثابة الحُكم الفيصل في صحة خبر المُؤرخ من عدمه[٢].

لذلك هي أشبه بقصيدة المدح التي ربما لا تُعبر عن الإحساس الصادق للشاعر ولا تصدر عن عاطفة جياشة، برغم جودة سبكها وبلاغة صياغتها، غير أنها دخلت الأدب من أوسع أبوابه لاعتبارات كثيرة، أهمها أن مُنشئيها هم صفوة الأدباء، فالخليفة وسلطانه لا يختارون لهذه المكانة إلا من برز في الأدب علماً، وفناً، وبلاغةً، وكاتب الرسائل الديوانية يتوقع أن لا يُنشئ إلا أدباً رفيعاً وبأسلوب بليغ.

---

(١) ينظر:الشايب، أحمد، **الأسلوب**، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ط (٨)،١٤١١هـ - ١٩٩٢م ، ص١١٣.
(٢) ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، (ج١، ص ١٣).

والرسائل الديوانية وحسب ما وصل إلينا أقدم تدوينا من الرسائل الإخوانية، حيث أنها من متطلبات الحكم، وتدبير أمور الدولة، وأقدم رسالة ديوانية تلك المعاهدة التي كتبها الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار واليهود[١]، لترتقي بعدها في العصر العباسي" والحقبة البويهية تحديداً " وليجري كُتابها مجرى الوزراء.

أصبحت الرسائل الديوانية جنساً مُستقلاً تابعاً للنثر الفني تستفيد من أساليبه المتجددة، وتقتبس من أخيلته، وصوره، ومعانيه، غيرَ أنَّها غدت أصلاً يُقاس عليه النثر، يقول آدم ميتز: " كانت كتابة الرسائل الديوانية مجالاً للتمرن على إظهار صور البلاغة وأساليبها، كما كانت مقياساً للعرف اللغوي العام"[٢].

ولا غرابة أن تكون لها هذه المنزلة وهذا الاهتمام ما دام منشؤوها هم رواد الأدب، وقادة البيان، ويقول الدكتور عايض الحارثي:" لم يحظ أي جنس نثري من عناية وكثرة مشتغلين ما حظيت به الرسائل الديوانية"[٣]، وللرسائل الديوانية ألوان مختلفة، وكان لها في القديم رسوم وقواعد، وقد فصَّل تلك الرسوم ابن المعتز في كتابه " البديع " منها براعة الاستهلال[٤]، ومراعاة مواقع الاستشهادات، وقد أرشد إلى وجود مقدمة تخدم الموضوع، إذ كانت في المقاصد الجليلة، أما الموضوعات العادية فلا ضرورة للمقدمات فيها[٥].

موضوعات الرسائل الديوانية

تعددت ألوان الرسائل الديوانية بتعدد أغراضها وموضوعاتها" كالعهد، والبيعة، والصراع، والفتوح، والجهاد، والمناسبات، والتهاني، والبشارة..."، وتشعّبت أغراضها إذ تُعدُ وسيلة الأعلام الأولى للدولة إنْ لم تكن الوحيدة في هذا المجال، فمنها الموضوعات الحربية، والسياسية، والمالية، والإدارية، و كانت تُعبر عن المناسبات الخاصة، والعامة، ومدارها خدمة الدولة، والدعاية لها، من إقناع، أو تهديد، أو إشادة، لذلك هي في الغالب تخاطب في الناس عقولهم ولا تُغفل عواطفهم.

---

(١) ينظر: زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، (ج١، ص٣١).
(٢) آدم ميتز، أبو رويده محمد عبد الهادي، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، دارالكتاب العربي، بيروت، ط(٥) (ج١، ص٤٤٥).
(٣) الحارثي سعد سعيد عايض ، **ديوان الأنشاء في القرن السادس الهجري** ، أطروحة دكتوراه ،المملكة العربية السعودية ،١٩٨٣م، ص١٠.
(٤) براعة الاستهلال: سماه ابن المعتز بحسن الابتداء، وهو أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة" أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز (ت : ٢٩٦هـ) **البديع**، دار الجيل، ط١، ١٩٩٠، ص٤١، وينظر: النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، (ج٧، ١١٠).
(٥) القلقشندي، **صبح الأعشى** ، (ج٦، ص٢٦٥).

لقد استخدم آل بويه أبرع الكُتَّاب في مناصب سيادية، ولإسباب كثيرة أهمها الصراعات والاضطرابات السياسية، وكان الكُتَّاب موجهين من قبل السلطة، فأوحوا إلى الكُتَّاب كل ما تُمليه سياستهم، من هذا يبدو للباحث أن هناك تناقضاً كبيراً في الرسائل الموجهة إلى الأمراء التي فيها السجايا الحسنة، وأمَّا التي كانت توجه إلى العمال فكانت كلها أوامر ونواهٍ، كما ونلاحظ تصوير الحياة بصورة مشرقة وغض الطرف عن الجانب السلبي فيها[١]، وهذ لا ينعكس على كل الكتَّاب، لذلك سوف نجد هذا التبجيل والإطراء في الكتب السياسية للشيرازي مصنفاً أهم موضوعاتها .

المطلب الأول: كتب الفتح.

الفتح :" افتتاح دار الحرب، وأن تفتح على من يستقرِئُك، وتحكم بين قومٍ يختصمون إليك"[٢] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ الأنفال : ١٩، وهو ضد الإغلاق، وبه سُميت الحَمْدُ فاتحة الكتاب"[٣]، والفتح بُشرى وتهنئةٌ الخليفة أو الوالي بالانتصارات الحربية[٤]، وكثيراً ما يرسل هذا النوع من الرسائل من أرض المعركة[٥].

والفتح من أهم موضوعات الرسائل الديوانية في القرن الرابع الهجري، وقد سبق الكتّابُ الشعراءَ في تقديم التهاني والإشادة بالمنتصرين؛ وبسبب تلك الصراعات التي خاضها البويهيون، من أجل فرض السلطة على الأقاليم الثائرة ضدهم أو التي يحاولون أن تكون من ضمن مملكتهم، وقد أنشغلت عقول الكتّاب بكتب الفتوح لتعظيم تلك الانتصارات في عقول الناس .

ومن القدماء من تحدث عن رسائل الفتوح، فالقلقشندي يرى أنها من أعظم المكاتبات خطراً، وأجلها قدراً، لاشتمال أغراضها على إنجاز وعد الله تعالى الذي وعد به أهل الطاعة في إظهار دينه على كل دين، وتوفير حظهم من التأييد والتمكين، وما يمر فيها من الأساليب المختلفة التي يشتمل هذا القانون عليها، والكاتب يحتاج إلى تصريف فكره فيها، وتهذيب معانيها، لأنها تتلى من فوق المنابر على أسماع السامعين وتجعله نصب عيون المتصفحين[٦].

---

(١) ينظر: الزهيري، **الأدب في ظل بني بويه** ، ص١٣٩.
(٢) الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد ت(١٧٠هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال، باب (الحاء ، والتاء، والفاء)،ج٣، ص١٩٤.
(٣) بن دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن، (ت ٣٢٠هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، (ط١)، ١٩٨٧، مادة، فتح .
(٤) ينظر: الحارثي، **ديوان الإنشاء في القرن السادس الهجري**، ص١٧٦.
(٥) ينظر: الخلف سالم بن عبدالله ،**نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة، ط(١)، ٢٠٠٣م، (ج١،٢٢٦).
(٦) ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، (ج٨، ص٢٧٧).

وثمة لون كان يكتب في إعلان البشرى بما تحقق من فتوح البلدان، والانتصار على الأعداء، والقضاء على الحركات المعادية، أو نحو ذلك مما يدخل المسرة إلى النفوس، ويبعث فيها الطمأنينة، وهذا اللون في الرسائل أقرب إلى قلوب الرعية، لأن الحديث فيها عن الانتصارات التي يحققها المسلمون محببة إلى النفوس[١].

ومما لا شك فيه أن رسائل الفتوح قد ازدادت في القرن الرابع الهجري زيادة ملحوظة، وأصبحت سنة متبعة بين الكتاب، حتى أنها تقترب في هذه السمة من الخطابة الدينية، التي تجري على هذه الطريقة من استخدام التحميدات والإكثار منها، وقد طالت في بعض الرسائل حتى صارت أشبه بخطبة دينية مستقلة، مما جعل بعض القدماء يجتزئون بالتحميداتِ عن مضمون الرسائل[٢].

ورسائل الفتوحات من الرسائل التي ترتبط بأحداث دقيقة لا يقتصر فيه الكتَّاب على الإخبار والتبشير بالفتوحات وحسب، بل يتممون به إنشاء حدث سياسي ما، وإظهاره بأفخم الصور وأقواها تأثيراً في النفوس، وقد يحتاج الكاتب إلى التغني بخصال فاعله، والتوسع الأدبي لكي يبرز الحدث.

ولذا يُعَد هذا الغرض من أهم أغراض الرسائل الديوانية في تلك الحقبة من الزمن، ومجالاً واسعاً لتسابق الأدباء والتعبيرعن نشوة النصر، وتصوير المعارك بأبلغ قول وأجمل أسلوب، فالنصرُ مثَّلَ لهم البقاء في السلطة والسيطرة على رقعة كبيرة في داخل الدولة الإسلامية، بل مثلَ لهم بعثاً جديداً لقوة الدولة وإحياءً للكرامة البويهية على وجه الخصوص.

ويلاحظ أن كُتبَ الفتح في رسائل الشيرازي كانت السمة الغالبة، بسبب كثرة الحروب التي كان عضد الدولة محورها وبطلها الرئيس حيث نسب إلى عضد الدولة قوله:" الدنيا أضيق من أن تسع ملكين"[٣]، بالإضافة إلى أن عضد الدولة كان يهوى أن تتحدث الناس بفتوحاته، وهو الذي أمر أبا إسحاق الصابي من أن يؤلف كتابا يتحدث فيه عن أخباره وأخبار دولته وانتصاراته كما مر بنا سابقاً، وقد نوه الصابي بكفاية الشيرازي وبراعته فيما كتبه من رسائل الفتوحات المتوالية[٤].

---

(١) الدروبي، محمد محمود، **الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ص٦٥.
(٢) عيسى، فوزي سعد، **فن الترسل في القرن الثالث الهجري**، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١م، ص٣٠.
(٣) الزمخشري، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي(ت٥٨٣هـ) ، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، تحقيق: سليم النعيمي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٩٨٠م، (ج٥، ص١٨٦).
(٤) ينظر: عبد العال، **رسائل عبد العزيز بن يوسف**، ص٢٨.

ومن خلال إحصائية دقيقة لرسائل الشيرازي نجد أن رسائل الفتوح تصل إلى ستة رسائل تحمل عبارة صريحة بكلمة (الفتح) موجهة إلى الناس عامة، لتقرأ على المنابر أو في المحافل وربما أشار عنوان الرسائل إلى المكان المقصود بالفتح، بالإضافة إلى ذلك كتب الصرعات سواء كانت داخلية أو خارجية، لذا سوف ندرج أغلب الرسائل التي تتحدث عن فتوحات بني بويه مع أعدائهم ضمن كتب الفتوحات، وهي تشكل نسبةً كبيرةً من ديوانياته.

(أ)- الكتاب المنشأ بفتح البصرة .

يتحدث في تلك الرسالة عن فتح عضد الدولة للبصرة، بعد انهزام عز الدولة بختيار، إلى نواحيها، على الرغم من وصية معز الدولة والد (بختيار) بفرض تقديم الطاعة لابن عمه عضد الدولة لأنه أكبر منه سناً، وأقوم بأمور السياسة[١]، إلا أن بختيار رفض هذه الوصية وبدأ بمعاداته، وربما كان سبب الصراع سوء سياسة بختيار حيث "اشتغل باللهو واللعب وعشرة النساء والمغنين والسكر الدائم"[٢]، وهذ ما يفسد الأمراء وترك الرعية دون عناية بحقوقهم.

وتندرج تلك الأحداث سنة (٣٦٦) هـ، التي ذكرها مسكويه في تجارب الأمم وتعاقب الهمم في تلك السنة، من تحرك عضد الدولة نحو العراق حيث أرسل جيشاً إلى البصرة لإخضاعها، لكن الشيرازي لم يشر إلى هذا التاريخ في رسالته فقط اكتفى بذكر "كتابنا يوم كذا"[٣].

وقد بدأ الشيرازي رسالته بشكرالله سبحانه وتعالى في تحقيق الفتح والانتصار، وانهزام بختيار ورفاقه في مقدمة أشبه ما تكون خطبة، ويبتعد بتلك التشكرات عن التحميدات التي كانت تعتبر سمة أغلب الكتّاب الذين سبقوه، لأن الفتوحات تعد من الأمور الجليلة التي تضيف أشكالا من المهابة والقوة للدولة المنتصرة، ومما جاء فيه : "ولله – تعالى اسمُه – لدينا في إفادة الرَّغائب، واستِقادةِ المصاعب[٤]، ومتابعة الفتوح، واستذلالِ الخُطوب، نِعَمٌ ظاهَرَ بين آمادها[٥]، وأمدَّ

---

(١) ينظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (ج٧، ص٢٩٩).
(٢) ينظر: مسكويه، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم** (ج ٥،ص٣٥٣)، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** (ج٧، ص٢٢)، **الحضارة الإسلامية** (ج١، ص٦٠)
(٣) مسكويه، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، (ج٥، ص ٤٢٩)، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** (ج٧، ص٨١).
(٤) استقاد المصاعب أي: قيدها، واستقاد الحاكم: سأله أن يقيد القاتل بالقتيل، ينظر الرازي ،الصحاح، مادة :(قود).
(٥) امد: جمع آماد غاية أو مسافة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ آل عمران: ٣٠
معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة : آمد.

بالنَّصر راياتها، ومَدَّ في العزّة غاياتِها، حتى لا يتنَفَّسُ صبحٌ[١] إلا عن غاديةِ[٢] نُجح، ولا يغطِشُ ليلٌ[٣] إلا على سارية فتح، ولا يُشامُ برق[٤] إلا لمخِلية عزَّ، ولا يُزجَرُ طيرٌ إلا لقضية صُنع، أو مزيُّة يُمن"[٥].

ويمضي الشيرازي ليُجلَّ تلك السارية وحاملها عضد الدولة، وليمدحه بأسلوب المنتصر ويصور الأعداء المنهزمين مما جنت لهم أيديهم بقوله "ما عن للعيون، وقد استبعدته الهمات وقرب في النفوس وقد استبعدته العادات، وثابت مغانمه للأولياء عقباً على عقب وصابت مغارمه على الأعداء نكباً على نكب، وانتظم مزايا الفضل لمن سنَحَ له قاضياً فيه بعزَّة النّفر، ومساعدة القدر، وأحاط بقضايا العدل فيمن زُوي عنه راصداً له بذلَّة المثوى وسواء المنقلب[٦]، وذلك بما كسبت أيديهم وما الله بظلاَم للعبيد"[٧].

ويسترسل الكاتب في وصف أحداث المعركة وانهزام الجيش في واقعة الأهواز، بعد قتلهم، وأسر من بقى منهم، وغرق أخرون، وانهزام بختيار من الأهواز إلى البصرة وهو يتوقع أن تكون قلعة من قلاعه، وما يحيط به من السفلة من الناس والأخلاط ليذودوا عنه، وقد سيطر الخوف والفزع على قلوبهم، وملك اليأس عقولهم بقوله:"وكنا أعلمناك حال الواقعة بباب الأهواز[٨]، واقتسامها الناكثين بين قتل وأسر وغرق وحال طائفة جرعت كؤوس هذه الأقسام، وإن وإن زحزحت بها بقية أُكل عن ورد الحِمام، وقد كان بختيار أمّ في انهزامه نواحي البصرة وهو يعدها معقلا ويعتمدها موئلاً، ويُقدّرُ أنَّها تكون من مَنزِعَ انتعاشه، ومَرجع الفَلَّ من أوباشه، وورد الأُبُلَّةَ وقد تألَّفت عليه عُصبةُ استطار الوَهَل[٩] أفئدتَها ومَلَكَ اليأسُ دُونَ الأمَل أَعِنّتَها، وكانت لأستحسان ما تكلَّفته منه؛ اذ كُنَّا نَستَهجِنُ كلَ ما ضارع للتكّف والتصنّع، لاسيَّما من كُفيَ مؤونتيهما بما صُرِفَ مِن حُسن الظن، وقُصِر عليه من جميل الرَّأي، وينبغي أن تمكِن في نفسك

---

(١) من قوله تعالى ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾ التكوير: ١٨

(٢) الغادية: السحابة تنشأ صباحاً، جمعها غوادي، السَّراج محمد علي، **اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب والنحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل**، دار الفكر، دمشق، ط١،١٤٠٣هـ - ١٩٨٣، ص١٢٠.

(٣) أقتبس من قوله تعالى ﴿ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ ﴾ النازعات: ٢٩.

(٤) شمت البرق اشيمه شيماً، اذا رقبته تنظرُ أين يصوبُ، الشيم : جمع شيمة، ابن فارس ، **معجم مقاييس اللغة**، مادة : شيم

(٥) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٥.

(٦)قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٥٥ ﴾ الصافات: ٥٥

(٧) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٥

(٨) لم أجد هذه الوقعة فيما وقفت عليه من كتب التاريخ والأدب.

(٩) الوهل : الفزع، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وهل).

ما نُوجبه لك، ونؤثره فيك، وتواصل المُكاتبة، وتُثابرَ عليها، وتتصورَ ما نحنُ عليه من استئناسٍ بذكرك إن كتبتَ، وثقةٍ بك إن خففتَ وأغببتَ[1]، فرأيك "[2].

وقد امتازت هذه الرسالة بضبط الصياغة وإحكامها، وكان فيها شيء من الاقتباس من القران الكريم سواء كان اقتباساً متطابقاً في قوله " وليس الله بظلام للعبيد" مع قول الله عز وجل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾[3] ، أوفي بعض الإشارات التي يوردها من القران الكريم، وربما تدل على ثقافة الكاتب وقدرته على التصريف والقياس الذي استنتجه استنتاجاً في قوله: "حتى لا يتنفسُ الصبح إلا عن غادية نُجح أُخذَ من قوله تعالى:﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾[4].

(ب) - فتح جرجان وانهزامِ عسكرخُراسان.

تحدث الشيرازي في مقدمة الرسالة عن النِعَم التي أولاها الله سبحانه وتعالى بعد تحقيق الفتوحات والانتصارات لعضد الدولة، وهي تكاد تكون سمة اتخذها الشيرازي في أغلب رسائل الفتوح، إلا أن ترسله قد جاء في مقدمة هذه الرسالة بصبغة التهديد والوعيد، لمن يخلع الطاعة عنه فلسان الشيرازي يضد عنه ويقول "حتى لا يبقى خالعٌ في معصية إلاَّ والذُّلُّ يصحَبُه، ولا ناهضٌ بخُبث سريرةٍ إلاّ والحينُ ينذُبُ عمرَه والرّغمُ يركبُ أنفه حتى يجتمع الُمحقُّ والمبطل والنَّاظرُ والمعتبر"[5].

ويعرض الشيرازي في هذه الرسالة استيلاء عضد الدولة على بلاد جرجان وإجلاء صاحبها قابوس بن وشمكيرعنها[6]، بعد أن اتفق فخر الدولة وقابوس بن وشمكير- أمير جرجان وطبرستان- على عدواة عضد الدولة، فأرسل عضد الدولة إلى قابوس يبذل له الرغائب من البلاد والأموال والعهود ليسلم إليه أخاه فخر الدولة، فامتنع قابوس من ذلك ولم يجب إلى ذلك، فجهز

---

(1) غب، يغيب، من الغياب، غاب في الزيارة، زار في أوقات متباعدة، **معجم اللغة العربية المعاصرة**:مادة(غب)
(2) الشيرازي، رسائل الشيرازي، ص٥.
(3) سورة ال عمران: الآية ١٨٢.
(4) سورة التكوير: الآية ١٨
(5) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٣١.
(6) قابوس بن وشمكير بن زيار: هو شمس المعالي قابوس بن أبي طاهر وشمكير بن زيار الجيلي واحد من حكام جرجان وطبرستان حكم بعد وفاة ظهير الدولة بهستون (سنة٣٦٧هـ)، الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**،ج٤،ص٥٩، كاربل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، دارالمعارف، القاهرة ط(٥)،(د، ت)،(ج٢،ص١٢١).

عضد الدولة أخاه مؤيد الدولة وسيَّر معه العساكر، والأموال، والعدد إلى جرجان ، وبلغ الخبر قابوساً فسار إليه والتقيا بنواحي أستراباذ[١].

ومما يجب الإشارة إليه بعد وفاة ركن الدولة اتفاق فخر الدولة وقابوس بن وشمكير على عداوة أخيه عضُد الدولة في الباطن، وهذه أول فتنة بدت بين الإخوة أولاد ركن الدولة الثلاثة عضد الدولة، وفخر الدولة، ومؤيد الدولة[٢].

ومما جاء في تلك الرسالة "وكُنَّا أعلمناكَ حال المعروف بقابوسَ بن وَشمَكير، في الضَّلال الذي أحاط به، والكفران الذي أخَذَ بسمعه وبصره، حتى استبدل بعزّ الطَّاعة ذُلَّ العصيان، واعتاض من فُسحه المُضطرب ضيق حصار، وما كان مِنَّا في إنهاض العساكر المنصورَة، والآراء المشهورة نحوه، وما كان من مولاي مُؤيِّد الدَّولة أبي منصور بن رُكنِ الدَّولة في الإناخة بباب إستراباذ[٣]، بعد فتح طبرستان[٤]، وكان المخذُولُ أعدها عصمة من النوائب، واعتدَّ خنادقها عصرةً من المعاطِب[٥] "[٦].

ويستعرض الشيرازي قوة مؤيد الدولة حتى يُدخل الرهبة في نفوس مناوئيه، والرغبة في نفوس مواليه، وقد أطبق مؤيد الدولة الحصار على بن وشمكير بعد أن قَسَمَ الشيرازي في كتابه الجيش إلى القلب، والميمنة، والميسرة، وكأنه أحد قادة المعركة، ثم يصف جند العضد وأولياءه بأنهم جاءوا إلى أرض المعركة مستميتين دون أولادهم ونسائهم، الذين أشربوا العدو كأس المنون، إلى أن منح الله لهم النصر واستطاعوا أسر أكثر أقرباء قابوس بن وشمكير، وتوعد مؤيد الدولة قابوساً بعد أن فر من المعركة طالباً من الجند اقتفاء أثره والقبض عليه.

ومن ثم يختم بحمد الله سبحانه وتعالى على ما أولاهم من الفتح، وأعطاهم من النصر وأظهر قوة عضد الدولة وقائده مؤيد الدولة بقوله:" ثمّ الحمدُ لله جاعِلِ العِزّ شِعارَ اسمنا حيثُ

---

(١) ينظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (ج٧، ص٣٩٧).
(٢) ينظر:الأتابكي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (٨٧٤هـ) ، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد عبد القاهر حاتم، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة،١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م، (ج٤،ص١٣٩).
(٣) بلدة كبيرة مشهورة، من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان – ياقوت، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي البغدادي ،(ت ٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، دار الفكر، بيروت،(د، ت)،(ج١ص١٧٥).
(٤) بلدان واسعة يشملها هذا الاسم، ومنها دهستان، وجرجان، واستراباذ، وسارية وأمل وهي قصبتها، ينظر:المصدر نفســه، (ج٤، ص١٣).
(٥) العطب:الهلاك، والمعاطب المهالك ينظر، **الصحاح** : باب العين (ج٢، ص٢٠٣).
(٦) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٣١.

صدع، والظَّفرِ مَنارَ عَزمِنا أين طلَع، وإياهُ نسألُ تَهيئةَ النَّعمة وصلتها بحُسن الإمتاع والتَّوفيقَ للشكر الحامي لها من التَّحرمِ والانقطاع "[١].

(ج)- فتح شهرزور[٢].

كتبَ الشيرازي إلى عضد الدولة بفتح شهرزوز، حين أكثر بنو شيبان الغارات والفساد وأعجزوا الملوك وعمدوا – في سبيل ذلك – إلى مُصاهرات مع أكراد شهر زور والامتناع في أراضيهم الوعرة، فأمر عضد الدولة عسكره بالاستيلاء على شهرزور أولاً ثُم مُلاحقة بني شيبان.

وكذلك وصفت الرسائل الأحداث العسكرية بشأن المدن التي تم فتحها وصفاً دقيقاً، لما وقع من أحداث ففي رسالة تحدث فيها عن الصراع في شهرزور، وذلك سنة (٣٦٩) هـ سيَّر عضد الدولة جيشاً إلى بني شيبان، وكانوا قد أكثروا الغارات على البلاد، وعجز الملوك عن طلبهم، وكانت شهرزور ممتنعة على الملوك، وكان زعيمها الكردي عبدالله بن القاسم يُؤوي بها من أعراب بني شيبان، ولم يمنعه التحذير من التمادي في مساعدتهم فبعث عضد الدولة أبا القاسم الحاجب[٣] في عسكر كثيف يرغبهم في الطاعة فلما أبَى أوقع بهم الهزيمة[٤]، وقتل زعيمهم يقال له (ابن سندويه) وقطع رأسه ونصب على الجسر، وأعيد إلى شهرزور الأمن، بعد تحطيم سورها وطَمِّ خنادقها.

وقد أورد القاضي ابن مسكويه سبباً في تلك الموقعة، وعزاه إلى أن بنى شيبان كانوا مستعصين قد تعوّدوا النّهب، والغارة، والتلصص، وأعيت الحيلة في طلبهم، وذاك أنَّ لهم خيولاً يعوّلون عليها في الهرب إذا طلبوا، فكانت سراياهم تبلغ في الليلة الواحدة ثلاثين فرسخا وربما زادوا على ذلك فيُمسون بموضع ويُصبحون على هذه المسافة البعيدة، وكذلك يُصبحون في مكان ويمسون منه على مثل ذلك، ولا يصح للسلطان خبرهم ولا يتأتى له طلبهم[٥].

وكتب في تلك الواقعة:" نِعَمُ الله- تعالى جده- لدينا جاريةٌ أقساماً ثلاثةً : بَينَ ثاوٍ مُخيم، ومأمولٍ مُحقق، ومُستفادٍ غير مُحتسب، ولكلٍ عندنا حقٌ في الشكر والثناء، ويُنجزَ لنا ما وعد،

---

(١) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٣٢.
(٢) شهرزور: هي مدينة السلمانية حاليا تقع شمال العراق ينظر: الحموي، **معجم البلدان** (ج٣، ص ٣٧٥).
(٣) أبو القاسم سعد بن محمد الحاجب واحد من ابرز قادة عضد الدولة وهذا ما ذكره مسكويه سنة ٣٦٧هـ وهو يتقدم الجيش لملاقاة أعداء عضد الدولة ينظر: **تجارب الأمم وتعاقب الهمم** (ج٦،ص٤٢٨)
(٤) ينظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (ج٧، ص٣٦٨.
(٥) ينظر: مسكويه **تجارب الأمم وتعاقب الهمم** (ج٦، ص٤٤٧).

واستئمانهم دون حِمامها، والجَمام[1] لها على طولِ ما أُسريَ من العزائمِ نحوَها، ونُصِبَ من المكائدِ لها من سلطانٍ بعدَ سلطان، وحامٍ تلو حام، إلى حين إنقلبت جيوش معز الدولة وأعوانه آيسين، وعادت الآمالُ عن طُلابها حسرى ظُلعا[2]، منذ تمكن في نفوس أهلها وقاطنيها، وأنفُسِ مُحاوليها ومُجاوريها، أنها الحِمى الذي لا يُنال، واللقاحُ[3] الذي لا يُذال وصارت مَنزِعاً للضلال، ومألفاً للشُراد، ولم نزل نكاتبُ هبةَ الله بن القاسم بن سندويه[4] في بابهم وننهاه عن ايوائهم، ونذكره بالطاعة وغيرها، ونزجره عن المعصية وسوء مَغبتها، فلا يزدادُ إلا عمىً وضلالا، إلى أن أفنت تلك الشرذمة من الشيبانية صَوادِقُ الطلب وراضينَ منه بظاهرِ الولاء، والشقيُ الضال يُقدِرُ الإبقاء عليه إبقاءً له، والإملاء له [5] اقتداء منه [6] فأنهضنا أبا القاسم بن سعيد بن محمد الحاجب[7] نحوه في عسكرٍمن الديلم[8]، والجيل[9]، والأتراك، من الخارجين عن الدار، والسيفية[10]، والحمدانية[11]، والعرب، والأكراد، والزط[12]، وأمرناه بمواصلة الكتب والرسائل إلى ذلك الغاوي وحُرمِهِ ، مُعذراً ومُنذراً، ومُذكراً ومُحذراً، وإغماد السيف ما أستطاع والإجابة عن كُل موعظةٍ تأتيه، وذكرى تطبيه[13]، بما حكاه الله عن قوم ضلوا ضلاله وأشقوا شقاءه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[14]، جاهلاً بما تقدم هذه الآية من صنوف العبر، وتعقبها من ضروب الغير، ولما كان يوم كذا، زحف أبو القاسم الحاجب نحو الحصار مُستنجزاً عادة الله تعالى في لقاء أولئك الضُلال، وثار المخاذيلُ من

---

(1) الجمام : الراحة وترك تحمل التعب، ينظر المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت١٠٣١هـ) **التوقيف على مهمات التعاريف**، دار الفكر، بيروت (ط١)، ١٩٩٠ فصل الميم (ج١، ص١٢٩) .

(2) الضلع: العرج، اللسان: ٨/ ٢٤٣، مادة: ضلع.

(3) قوم لقاح: لم يدينوا للملوك ولم يُملكوا، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: (لقح).

(4) لم اجد له ترجمة، ولكن فيما يبدو أنه أحد الزعماء في السليمانية الذي يقوم بأيواء بني شيبان.

(5) الإملاء: الإمهال والتأخير والتطويل وإطالة العمر، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة : ملأ .

(6) الاقتداء : الإسراع، ابن منظور، **اللسان**، مادة (قدا).

(7) أحد قادة الجيش عضد الدولة جاءت أخبارة وهو يتقدم الجيش عضد الدولة: ينظر: مسكويه **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، ج٦، ص٤٢٨، وص٤٤٢.

(8) الديلم بن باسل بن ضبة بن أد بن طابخة بن اليأس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وتقع بلاد الديلم في جنوب غرب بحر قزوين، ينظر: النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ،(ج٢،ص٣٥٨)، ويُنظر: عمربن عبد الغني كحالة الدمشقي(ت : ١٤٠٨هـ) **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٩٩٤، (١ج، ص٤٠٠).

(9) الجيل: أهلُ إقليم جيلان، قرية من أهمال بغداد تحت المدائن ، **الحموي، معجم البلدان** (ج٢،ص١٥٠).

(10) السيفية : نسبة إلى سيف الدولة، ينظر: **الثعالبي يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، (ج١، ص٢٣٠) .

(11) الحمدانية : نسبة إلى الدولة الحمدانية في حلب والموصل : **سير أعلام النبلاء** :(ج ١٣،ص٤٥٠).

(12) الزط: هم السبايحة قوم من السند كانوا بالبصرة، **جمل من أنساب الأشراف**، للبَلاذري(ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٩٩٦، ٢/ ٢٢٨ .

(13) طباه ويطبوه ويطبيه : دعاه وصرفه عن رأيه : **ابن منظورلسان العرب** : مادة (طبي).

(14) سورة الزخرف :الآية ٢٣.

مجاثم خِزيهم على السور، يُدافعون ويُمانعون، ويُصابرون وقع السهام وحزالزوبينات[1]، والبلاءُ مُحيطٌ بهم، والشقاءُ مُنصبٌ عليهم، وقضيةُ الله بالسوءِ على أمثالهم من ذوي الشقاقِ والبغي حائطٌ بهم، ولم يزل الأولياء المنصورون يزيدون زحفاً إليهم، إلى أن عبروا الخندق وأحموا السور بصفوف كأنها (بُنيانٌ مَرْصوص)[2]، يهدمون ويثلمون ويتسورون، إلى أن غلبوا المخاذيل على مواقع أقدامهم، وانثالوا على البلد ظاهرين ظافرين لم يكلم منهم أحد ولم يرزأ[3]، إن شاء الله تعالى[4].

ملخص الكتاب:

١ - مقدمةٌ في الشكر والثناء لله " جلَّ وعلا ".

٢ - حُسن الظنِ بالله " جلَّ وعلا " بأن النصر حليفهم.

٣ - وصفٌ لحال " سندويه " وإنه لم يكن على قدر المسؤولية .

٤ - مدح وثناء ورفعة لجيش المؤمنين " جيش عضد الدولة " .

٥ - وصف القوة والمنعة التي يتمتع بها جيشه بأنهم" يهدمون، ويثلمون، ويتسورون"

٦ - وفي المقابل ينعت الأعداء " بالمخاذيل، والضُلال، والخزايا " .

٧ - وأنهم في موقع دفاعٍ لا هجوم " يُدافعون، يُمانعون، يُصابرون " .

٨ - وقد ساس سندويه قومه " بالنهب، والشر، والظلم " .

٩- وساس عضد الدولة من بعده الناس " بالعفو، والصفح، والعدل ".

١٠ - جيش المؤمنين يقابل جيش الكافرين.

١١- علو من شأن عضد الدولة، والتصغير من شأن سندويه .

١٢- مدح للأمير، وخاتمة بالحمدِ والشكر الله.

---

(١) يبدو أنها خناجرٌ قصيرة، قال المقدسي عن الديلم: " ولهم مجالس في السكك والأسواق مرتفعة، يجتمعون بها بأيديهم الزوبينات" وقال مسكويه "وفيه عدة طعنات بالزوبينات "مسكويه، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**:٤١٦،٦.

(٢) من قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ ﴾ سورة الصف: الآية (٤).

(٣) يرزأ تصيبه مصيبة، **معجم اللغة العربية المعاصرة** : ٢٢٨/٢.

(٤) الشيرازي ، **رسائل الشيرازي**، ص ٣٦.

جاءت رسائل الفتح لتمثل النسبة الكبيرة في رسائل الشيرازي فهو حين يكتب كأنَّه يعيش جو معركة يقودها قائد قوي محنك، فهو يستخدم أكثر من غرض في رساله الفتح، وهذا ما جعل رسائله تتميز بالوحدة الموضوعية، فبعد الفتح نلاحظه في رسائله الاسراع إلى الإصلاح، ومعاملة الأسرى، وإعطاء العهود، والأمان في البلدان التي فتحوها، وهذه الموضوعات بطبيعة الحال تحتاج إلى الإسهاب والتي كانت سمة مميزة من سماته في أغلب مكاتباته.

المطلب الثاني: كتب العهود.

العَهْدُ: الوَصِيَّةُ والتقَدُّمُ إلى صاحبك (بشيء) ومنه اشتُقَ العَهْدُ الذي يُكْتَبُ لِلْوُلاةِ ويُجْمَعُ على عُهودٍ، وقد عَهِدَ إليه يَعْهَدُ عَهْداً، والمُعَاهَدُ: الذِّمّيُّ لأَنَّهُ مُعَاهَدٌ ومُبايَعٌ على ما عليه من إعطاءِ الجِزيةِ والكفِّ عنه وهُمْ أَهْلُ العَهْدِ فإذا أسْلَمَ ذَهَبَ عنه اسمُ المُعاهَدِ ومنه اشتق العهد الذي يُكتب للولاة [١].

وجاء في محكم التنزيل قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾[٢]، وهو "كل ما عُوهِدَ اللَّهُ عليه وكلُّ ما بين العبادِ من المواثِيقِ فهو عَهْدٌ"[٣].

وفي الصحاح جاء العهد بمعنى: الوصية، والأمان، واليمين، والحفاظ[٤]، والعهد أن يعهد الخليفة بالأمر إلى من يختاره من بعده، من أبنائه وأقربائه وأعوانه فيكون ولي عهده في حياته، أو يكون ولي عهد لأمير مُولّى على بلد ما، حتى إذا مات الأمير يكون المُولّى أميراً بعده، فيكتب إليه الخليفة ليأخذ منه البيعة والعهد، فيسمى هذا الكتاب بكتاب البيعة، وبدوره يجيب الأمير الجديد للخليفة بكتاب عهد يعاهده فيه على السمع والطاعة في المنشط والمكره[٥].

وهذا النوع من الرسائل قديم في الأدب العربي، والأصل فيه كما يقول القلقشندي:ما روى عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- حينما قيل له عند موته : ألا تعهد ؟ فقال رضي الله عنه أأتحمل أمركم حيا وميتا[٦]، وأول عهد في السلام هو عهد أبي بكر لعمر" رضي الله عنهما"[٧].

---

(١)الفراهيدي، **كتاب العين**، (ج١، ص١٠٢).
(٢) سورة الأسراء: الآية ٣٤.
(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عهد).
(٤) **الصحاح**: مادة (عهد).
(٥) القلقشندي، **صبح الأعشى** ، (ج ٩،٣٤٩).
(٦) المصدر، نفسه، (ج٩، ص٣٤٩).
(٧) المصدر، نفسه، (ج٩، ص٣٥٩).

وتعتبر رسائل العهود من الرسائل الديوانية المهمة في حكم بويه، لما تضمنته من أوامر ونواه، كتبها الشيرازي على لسان عضد الدولة وكانت تختم باسمه فَقيل هَذَا مَا عهد عضد الدولة وتاج الْملَّة أَبُو شُجَاع بن ركن الدولة أبي عَليّ مولى أَمِير الْمُؤمنِينَ إِلَى فلَان متأولا فِي ذَلِك بِأَن جَمِيع الْأُمُور مَنُوط بتدبيره وداخل فِي تَقْلِيده[1]، بالإضافة إلى تعدد الولايات المنفصلة والتي يرغب عضد الدولة في ضمها إلى مملكته من خلال إعطاء العهود، لذا كانت هذه العهود تشكل مرحلة مهمة للبويهيين في توسيع مملكتهم فقيل .

وعلى الرغم من كثرة الحروب التي خاضها البويهيون لم تكن كتب العهود تحتل المرتبة الأولى في رسائل الشيرازي، ويرجع ذلك إلى جبروت سلطة البويهيين ومحاولة استباحة المدن هو الذي حال دون شهرة هذا النوع من الرسائل، فلم نجد إلا عهدين من تلك العهود كتبها الشيرازي لم يكونا عهدين ذا شأنٍ عسكري، بل غلب عليهما الطابع المدني، الأول: كتاب عهد إلى عابد بن عابدين[2]، حين قلد الخبر والبريد، والآخر لصاحاب عمّان[3]، لما أقام الخطبة وبذل الطاعة للملك .

وفي الرسالة الأولى كرر الشيرازي فعل من سبقه من كتّاب الرسائل الديوانية، فيما جرت عليه العادة من افتتاحها بلفظ (هذا ما عهد فلان إلى فلان) إلا أن الشيرازي لم يصرح بالأسماء إلا من خلال العنوان حيث جاء بالعهد إلى عابد بن عابدين، وهو أحد كبار رجال عضد الدولة حين تقلد الخبر والبريد .

ولم يستخدم الشيرازي التصريح الصريح في الأسماء، فقد اكتفى بالكنايات مما جاء فيه "هذا ما عَهِد فلانُ بنُ فلانٍ إلى فُلان بنِ فُلانٍ حين وَلّاه كذا، مُستخيراً لله تعالى في اختياره إيَّاه على حُكم الاختيار دون الاعتبار، وإيثارِه لهُ على مُوجب الرأي دون داعية الهوى، عَهِدَ إليه بادّراع تقوى الله، فأنَّها أحصنُ جُنن الأبرار من الكُفاة، وأوفى عِصَمِ الأخيار إلى النّجاة، وخيرُمعاد وخيرٌعُقباً وأن تكون أغلب الخِلال على مساعيه، وأوفى السِّهام الضّاربة في مباغيه: الصَّدقُ، فإنَّها منجاةٌ عن اختلاف الشُّبهة، ومجلاةٌ لرواكد الظُّلم، وأحسنُ ما يُنافسُ عليه أوُلوُ الُمروءات، تنزيهاً لأعراضِهم من خبائث الأعراق، وإيعاذاً لنفوسهم عن مساوئ الأخلاق وتحلياً بأكرم ما

([1]) ينظر: الحراني، **رسوم دار الخلافة**، ص١٢٥

([2])من كبارأعوان عضد الدولة تولى الخبر والبريد ينظرالثعالبي: **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**،(ج٤، ص٢٦٣)

([3]) المقصود به عمر بن نبهان الطائي أقام الدعوة إلى عضد الدولة، قتل من قبل الزنج ومعهم طوائف من الجند ينظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (ج٧، ص٣٤٨).

تعاطفت عليه القُلُوبُ، وأسلم ما تجلَّت عنهُ الغُيوب، وأكيس ما اعتمدت فيه أرياح المنعصين[1]، وأحزم ما تهادته ألسن المصطنَعين والمصطنِعين، وأجمع ما قامت به أسواق المتنفقين، وأشرف ما عرفت به آثار الصالحين، وهو الصَّراط المستقيم، والمنهاج القويم، والسَّنَنُ الأصيل، والمنزِلُ الأفيَح، والأصلُ الذي لا تَرِد عليه فروعُ الأعمال والأُسُّ الذي تُرفعُ به مباني الأثار.... "[2]

ويسترسل الكاتب دون مقدمات عن المعهود إليه، بعد أن عهد إليه بتقوى الله والإصلاح في الحكم، ثم يدخل في صلب الموضوع، ويخبر عن الصدق ومزاياه، فهي النجاة حين تتشابه عليك الأمور، وإزالة اللبس حين يتضح النور، ومنافسة في الحصول عليه من أهل الشيم، والمروءة عن مساوئ الأخلاق، وتكسب ثقة الناس، وهو الأصل الدال على فروع الخير، والأساس الذي تبنى عليه الأثار، به تحيا قلوب أصحابه وتكون قريبة من الله سبحانه وتعالى، وصاحبه مطاعاً في أهله مكتسباً ثقة الناس، بعكس الكذب الذي صاحبه تنفر منه الناس، ويرد إليه حديثه وتَقِل صحبته، ويمرض فلا يحسن لمن يسدي إليه نصيحة .

لقد بين الكاتب صفات الصادق، ثم علق عن سيئات الكاذب وكأنَّه يريد أن يعرّفه بتلك القاعدتين وأن تكون مبدأ له في ولايته، وعلمه فيهما سيدله على فروعهما، ويوصيه باتباع المحبوب من الرجال وتقريبهم، واجتناب الرجل المبغض القبيح...

وبعد أن أسهب الكاتب في رسالته، وأظهر فيها براعته الأدبية والبلاغية، كما أظهر اتساع ثقافته، ومعرفته في بناء قاعدتي الصدق والكذب، وما يُبنَى عليهما، يخاطب المعهود له بالرعاية ويقول له: "ولنا عندك وعليك عيون تسهر، وأنت راقد، وتكدح وأنت وادع، من حاسدٍ، لك على ما استفدته من رأينا، وناصح لنا فيما عرف من استرسالنا، والمضمار بيننا وبينك وبينهم الصدق، وقد افلح صاحبه وخاب مجانبه "[3].

وفي الكتاب الثاني عَهِد الملك – عضد الدولة – إلى عمر بن نبهان الطائي – صاحب عمّان – عند إقامة الخطبة، وقد جاءت الرسالة خالية من المقدمات المعروفة في العهود،(هذا ما عهد عليه ...)، فقد اقتدى بعادة الكتَّاب من قبله، فبعد تقديمهم للموجز لرسائلهم يلجون إلى الموضوع مباشرة دون إطناب، وعلى هذا النسق فعل الشيرازي في رسالته وذلك بتعريف من يدخل في عهدهم ستدخل النعمة عليه، كافلين السعادة له، وقد قدم ثناءً طويلاً إلى المعهود إليه، وذكر عدداً من مناقبه كالوفاء والخير بقوله " وأسعفناك بما التمسته من إقرارك على ولاية عمّان

([1]) نعص الشيء فأنتعص: حرّكه فتحرك ، ابن منظور، **لسان العرب** (نعص).
([2]) الشيرازي، **الرسائل الشيرازي**، ص ٦٢.
([3]) المصدر نفسه ، ص ٦٤.

محسنين من عهد أحكمته في الوفاء من العقد، ومؤثرين للخير الذي لم نستجدد من توخيه نعمة، ولم نرد في تحريه رغبة، إلا زاد سلطاننا تحصناً وقثوةً "[١].

ويمضي الكاتب ليأمره أن يتقي الله بما فوض إليه من ولاية عمّان، وأن يحافظ على الصلوات المفروضة، فإنها من أفضل شعائر المسلمين، وما يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى، وأن يقيم العدل وأن يستعينَ بمن يساعده على تحقيق العدل من الرجال، وأن يُزيل الباطل والظلم وأهله، ويفتح بابه وقلبه للناس، ويسمع آرائهم، ويحقق المساواة دون تفريق بينهم، وأن ينزل بنفسه إلى الجنود، والتجار، والمزارعين ، وأصحاب المهن، وعامة الناس، ويعاملهم بأحسن المعاملة، ويبعد عن الأيادي الفاسدة، ويتعقبهم بسيوفه حتى تأمن طرقهم من قطاعي الطرق في البر والبحر، ويتطهر جنده وخاصته من الحائزين والمنتفعين السراق فإن ذلك من أوضح البراهين على غناه عنهم، ويبدو أن الكاتب يحرض عامل الدولة، على استخدام النهج الأقوم في معاملة الرعية كي يكون مجلبة للقوة لعضد الدولة لا عليه.

ومنها "وأمرناك أمام ما فوضناه إليك، وعزمنا باتباعه عليك بتقوى الله، فإنها أقوى عصره وأوفى جنة وعصمة ....وأن تحافظ على الصوات المفروضات، فإنها من أخص شرائع الدين، وأفضل شعائر المسلمين .....وأن تفيض العدل وتنشر أعلامه، وتميط الجور وتبطل أحكامه، وتفتح للرعايا بابك، وتفسح لهم جنابك.....وان تسير في الأجناد والرعايا والمزارعين والتجار وأصحاب البضائع والمجهزين في البر والبحر وقاطني الجبال .....وأن توكل همك بتتبع آثار العائثين والمفسدين والخراب[٢] والقاطعين في البر والبحر، وتذكى عليهم عينك، وتنتضي[٣] لهم عزمك حتى تأمن السبل ويأمن سالكوها، وتتطهر أكناف عملك .وجوازها[٤] وأطرازها من الدعار[٥] ..... وأن تتناول الحقوق على وجوهها، وتتحلبها من طرق وجوبها .....وأن تحافظ في الدعوة على واجب الحق وتؤثر فيه معهود الرسم، وتجري على أقصد غرار وأقوم مثال في ارتهان عز الطاعة "[٦].

وختم العهد بالوفاء من جانبهم لما امتثل بالأوامر والتزم بها، وأوفى بتقديم الخدمة، وحافظ على تقديم الولاء والشكر والطاعة لأسياده، وقد ذكر التاريخ في نهاية الرسالة وهي على

---

(١) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص١١١.
(٢) جمع الخارِبُ :ويقال الخاربُ اللص ينظر: **ابن منظور، السان العرب**، مادة (خرب).
(٣) انْتَضى السيف من غِمْدِه، وانْتَضَلَه بمعنى واحد وتَنَضَّلْتُ الشيءَ إذا استخرجته. **لسان العرب**، مادة (نضل)
(٤) الأَجْواز : الأَوساط وجَوْز كل شيء وسطه، وفي حديث عليّ رضي الله عنه أَنه قام من جَوْز الليل يصلي جَوْزُهُ وسطه ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (جوز).
(٥) يقال: ورجلٌ دَاعِر خبيث مفسد، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (دعر).
(٦) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص١١١.

غير ما جرت به العادة في الرسائل الديوانية الأخرى، وكتب في شوال سنة تسع وخمسن وثلاثمائة .

المطلب الثالث: كتب الأمان.

"الأمْنُ : ضد الخوف والفعل منه : أمِنَ يأْمَنُ أمْناً "[1]، والأمانات جمع أمانة، في التنزيل العزيز قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤ ﴾[2]، والأمنُ المستجيرُ ليَأْمَنَ على نفسه[3]، ويقال استأمن إليه " استجاره، وطلب حمايته، ويقال استأمن الحربي استجار ودخل دار الإسلام مستأمنا وفلانا طلب منه الأمان وائتمنه"[4].

وعرَّفه محمد محمود الدروبي "عهد موثوق يضمن فيه صاحب السلطة حماية الخائفين وتأمينهم على أنفسهم وأهلهم وسائر أملاكهم"[5]. وقد ارتبط وجود رسائل الأمان مع رسائل الفتوح من خلال كتابة الأمانات إلى البلاد المفتوحة في أغلب الأحيان، لغرض طمأنة الناس وتسليم القادة بعد أن يأمنوا على حياتهم.

وقد كثرت الفتن والشغب أيام الدولة البويهية، حتى أننا نرى خروج الكثير من القادة والولاة عن إمارتهم، وقيامهم بالثورات والفتن، وأغلب تلك الفتن جوبهت بالبطش من قبل حكام بني بويه، وأنهم لم يكونوا يأمنون جانب الولاة والخلفاء بل يبقون خائفين، فيعمل هؤلاء الخلفاء والولاة على تقديم الأمان لهم، وهذا ما عمل على الإكثار من رسائل الأمان لدى معظم كتّاب الرسائل .

وتختلف كتب الأمان لدي الشيرازي عما كان يكتب سابقا من الأمانات الطويلة، حيث أن أغلب أمانات الشيرازي قد جاءت متدخلة مع الفتوحات، خصوصا عندما يتحقق الظفر لجيش عضدالدولة، وخلال التقصي عن كتب الأمان في العناوين الرئيسة لا نظفر الا بكتاب كتب من

([1])الفراهيدي، **كتاب العين** ، باب (النون والميم) ج٨، ص٣٨٨.
([2]) سورة قريش: الآية (٤)
([3]) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (أمن)
([4]) مصطفى إبراهيم، الزيات أحمد، عبد القادر حامد، النجار محمد، **معجم الوسيط**، ج١، ص٢٨.
([5]) الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص٤٧.

معلثايا[١]،عند انهزام أبي تغلب واستئمان أصحابه من تحت قلعة أردمشت[٢]، فهو يقع في صفحة واحدة .

ومن المرجح أن هذا الكتاب كُتبَ في (سنة ٣٦٨هـ)، مقارنة عما تحدث به مسكويه في تجارب الأمم عن أظلال المخذول والمقصود به (أبي تغلب) قرب ناحية الحسنية[٣]، وسلكَ أبو تغلب في هزيمته طريق الجزيرة فطلب عضد الدولة في أثره أبا حرب طغان الحاجب وأمره باتباعه ومناجزته[٤].

وقد منح أبوحرب الحاجب الأمان إلى أغلب القادة وهم كأبناء السيفي[٥]، ورائق[٦]، ومشرق[٧]، ومؤنس[٨]، وعامة السيفية، وأكثر الحمدانية، والعدد الكثير من الأتراك وغيرهم، ومما جاء في تلك الرسالة "كتابنا من معلثايا يوم الخميس في الساعة التي نزلناها غانمين ظافرين أقويا ظاهرين قد أجرانا الله فيه على عادته الحسنى في عز الأولياء، وذل الأعداء"[٩].

ولعل المتأمل للنص يلاحظ قوة مقدمة الرسالة فقد أكد على الجانب التوثيقي واعتنى به جيداً، حيث أعطى تاريخ هذا الكتاب في الساعة واليوم، وهو يكتب من أحد القلاع في نواحي الموصل، مركز الحمدانيين وأبي تغلب.

"وكنا قدمنا أمامنا جماعة من الأعراب والأكراد، فحين أظلوا المخذول في الموضع الذي كان آوى إليه من حدود الحسنية، هام على وجهه دانى الأجل منبت الأمل، يقدمه الذل، ويرهقه الخوف، وأنقطع عنه وجوه قواده وأعضاء مستأمنين إلينا، وهم نبا السيفي ورائق ومشرق ومونس عامة السيفية وأكثر الحمدانية والعدد الكثير من الأتراك وغيرهم، إلى أبي حرب الحاجب

---

(١) معلثايا: بلد له ذكر في الأخبار المتأخرة، قرب جزيرة ابن عمر من نواحي الموصل الحموي، **معجم البلدان**،(ج٤،ص٥٧٨).

(٢) أردشت: اسم قلعة حصينة، قرب جزيرة ابن عمر من نواحي الموصل على جبل الجودي، أعاد بناءها بعد أن خربها المعتضد – ناصر الدولة أبو تغلب أحمد بن حمدان، **الحموي**، **معجم البلدان** ، (ج١، ص١٩٩-٢٠٠)

(٣) بلد شرقي الموصل، الحموي، **معجم البلدان** (ج٢، ص٢٦٠).

(٤) ينظرمسكويه، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، (ج٦، ص٤٣٥)

(٥) لم اجد له ترجمة

(٦) لم اجد له ترجمة

(٧) لم اجد له ترجمة

(٨) ورد ذكر مؤنس الحمداني والأمان له ولمن معه من الحمدانية، ينظر: مسكويه، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، (ج٢،ص٣٨٨-٣٩٠)

(٩) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص١٦٢.

مستسهلين الطرق إليه، ووغل المخذول في جبال منيعة تؤديه إلى حدود الأرمن قاصداً طائفة من بقايا أصحابه بقيت لهم مدة في الشقوة تنتهي إلى الهلكة سريعاً، بأذن الله "[١].

ويختلف هذا الأمان عن بقية الأمانات التي كانت تكتب في العصر العباسي الأول مثل الأمان المشؤوم الذي أودى بحياة ابن المقفع، وما كان فيه من تغليظ وكثرة البراءات، ربما أن قوة المنتصر هي التي تفرض الشروط في هذه المرحلة، فنلاحظ أن الشيرازي يستأمن دون قيد أوشرط وهو يمثل المنتصر بقوله : مستسهلين الطرق إليه .

ولعل المتأمل في تلك الرسالة دخول الشيرازي في الغرض دون تقديم على العائدة التي كانت عند أغلب كتبه، من تضمين الشكر والحمد لله سبحانه وتعالى والإسهاب في المقدمة ويؤخر ذلك كله في الختام بقوله "ونحن نحمد الله على ما أولاناهُ في مطالبنا ومساعينا من العز والنصر وعودناه في مواقع رأينا، ومصارف عزماتنا من الفلج والنجح "[٢].

قراءة عامة.

١- الجانب السياسي والعسكري : وذلك بوصفه لقوة عسكره ومنعته وخوف المقابل وذله، وذكره لأصناف المستأمنين من " مؤنس، ورائق، ومشرق ".

٢- الجانب الجغرافي : فقد كان حريصاً على توثيق الحادثة من ناحية الجغرافية، وهذا ما نجده في قوله : " مُستسهلين الطُرق إليه، وَوَغَلَ المخذولُ في جبالٍ مَنيعةٍ تؤديه إلى حُدود الأرمن".

٣- الجانب الوصفي: إظهار قوة ومنعة البويهين، يقابله بيان خذلان العدو، من خلال الأوصاف التي بينها الكاتب في وصف قومه" غانمين ظافرين، أقوياءَ ظاهرين "،وفي وصف العدو"المخذول، داني الأجل، مُنبت ألأمل، يَقدُمهُ الذلُ، ويُرهقه الخوف، وانقطع عنه وُجوه قُوادهِ"

المطلب الرابع: كتب الهدنة:

هَادَنَهُ صالحه والاسم الهُدْنَةُ[٣]، ويقال للصلح بعد القتال والمُوادعة بين المسلمين والكفار وبين كل متحاربين هُدْنَةٌ، وفي الحَديث أَنَّ النبيّ ﷺ قال في الكوائنِ قبلَ الساعَةِ منها "هُدْنَةٌ تكونُ

---

(١) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص ١٦٢.
(٢) المصدر، نفسه، ص١٦٢.
(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، **مختار الصحاح**، ت محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، ط(١)، ١٤١٥ - ١٩٩٥م باب (هـ) (هـ، د، ن).

بَيْنَكُم وبين بني الأَصْفرِ فيَغْدِرُون بِكُمْ وتَسِيرُون إليهم في ثمانينَ غايةً تحت كلِّ غايَةٍ اثْنا عَشَر أَلْفاً"[١].

والأصل فيها أن يكتب بعد البسملة هذه هدنة استقرت بين السلطان فلان، والسلطان فلان هادن كل واحد منهما الآخر على الوفاء عليه[٢].

ويرى الدروبي أن موقف العباسيين من مهادنة الروم يتمثل في أمرين، أولاً : رفض حالة السلم والإصرار على بقاء المواجهة العسكرية مفتوحة بين الطرفين، وثانياً: قبول بعقد الهدنة تضمن حالة موقتة من الهدوء وفض النزاعات، وهذا الذي حدث في زمن حكم عضد الدولة ووثقه الشيرازي في كتاب الهدنة مع الروم[٣].

يقول عماد أحمد عبد الكريم: إن البويهيين كان أهتمامهم منصباً على تثبيت دعائم ملكهم الجديد في بغداد، بالسيطرة على مؤسسة الخلافة تارة، وتنصيب الخلفاء تارة أخرى، كما كانوا منشغلين بالصراع داخل البيت البويهي من أجل السلطة، مما أشغل الجند والعساكر عن محاربة الروم، فضلاً عن استهلاك خزينة الدولة بتلك الصراعات، لذلك كان البيزنطيون يستغلون مثل هذه الظروف لمهاجمة الثغور الإسلامية[٤].

وقد أخذ الصراع أشده بين الروم والمسلمين، ويعلق ابن الكثير على ما حصل من الروم في بلاد المسلمين بقوله "وكل هذا في ذمة ملوك الأرض، أهل الرفض – ويقصد بهم بني بويه – قد استحوذوا على البلاد وأظهروا فيها الفساد"[٥] بالإضافة إلى ما ذكره أبو شجاع في أخبار سنة (٣٧٢هـ) لما جرى بين عضد الدولة والروم[٦]، عندما حدث صراع داخلي في بلاد الروم بعد دخول "ورد الرومي"[٧] بلاد الإسلام، فاستعان بعض أطراف الصراع بعضد الدولة.

فالصراعات الداخلية هي التي فرضت نفسها على الطرفين، فلم يعد أحد منهم يحاول غزو الآخر، وكما كتب الشيرازي في الفتوح، والصرعات، والعهود، والأمان، فقد أجاد وأبدع

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غيا).
(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**،(ج١٤ ، ص٣٢).
(٣) الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ١٩٦.
(٤) ينظرخلوف، **ضعف المجتمع الإسلامي في ظل الخلافة العباسية أيام السلطنة البويهية**، ص١٧٠ - ١٧١
(٥) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** ، (ج ٧،ص ٣٧)
(٦) مسكويه، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم** (ج٦، ٢٣)
(٧) وردت أخباره سنة ٣٦٧هـ ومما جاء في تلك السنة ما ذكره مسكويه قائلاً:" ودخل أبو تغلب بلاد الروم قاصداً ملك الروم المعروف بورد الرومي، وهذا الرجل تملك على الروم، وكان ورد هذا قد صاهر أبا تغلب وواصله .." انظر ذيل **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، ص ٢٨، ٣٩ ، ١١١.

في كتب الهدنه، على الرغم أن هذا النوع من الكتب لم يذكر له غير كتاب واحد تحت هذا الموضع المهم من الديوانيات جاء بعنوان " الكتابُ المنشأُ بذكر الهُدنه معَ الروم " .

"كتابنا، ولسنا نَتَحدّثُ عن نِعَم الله عندنا بِحُسنى عادة، أو ننتهي بالذّكرِ والشكرِ لها إلى مُنتهى غايَة، إلا وما يُنعِمُ علينا به عَقبيَها من تمنية المعتاد، وتهيئة المُراد، وحسن التوفيق لدواعي الازدياد، أولى بالحديث، وأجدر بالحمد، وأخصُّ بالثناء، فمنه تعالى الابتداءُ بالنّعمة، وبتطوُّلِه الهداية للشكر، ومن كرمة التفضل بالمزيد، له الحمد أولاً وآخراً، أو لهُ المنُّ بادئاً عائداً

وقد علم النَّاس ما كان المتملَّك للرِّوم يواصل به كتباً ورسلاً، منذ افتتحنا أقاصي الموصل، واحتطنا – بمعونة الله – بالبلاد المتاخمة للرِّوم، من الإكبار لأمرنا، والتَّعظيم لما عظم الله من قدرنا، والتّطامُن لما أعزه الله من دينه بنا، ونطقه بلسان الحق بمكاننا، خاطباً للهدنة إلينا، وباذلاً للفدية على حُكمنا، على أن نكُفَّ عن بلادهم، ونُمسك عما انثغر لنا من أطرافِهم، ونصون ما ولِيناهُ من أعمالهم .

وكنا أخرجنا محمد بن عبدالله بن شهرام[1]، مع رسولٍ كان ورد لهم برسائل دارت معانيها على الإجابة إلى ما خطبوه، والإسعاف بما التمسوه، على شرائط أكّدناها، وفرائض للدين أقمناها، ولم تزل كُتُبُه، منذ وطئ أرض الرُّوم وإلى أن حلَّ البلاط واردةً حضرتنا بما كان يتلقَّى به من صنوف الأجبية، ونوع الجميل والإجلال من الصغير والكبير؛ اغتباطاً للهدنة، واستمتاعاً بالأمنة، وفكاكاً لما كان ملكهم من دواعي الهيبة والرهبة.

وورد كتابه الآن من الجزيرة[2] بانكفائه مُنجحاً في كلِّ ما سعى له وقرره مما كان أُمر به، وذكر جملاً من ذلك تُغني عن الشرح، وتُبني عما تفضل الله به من إذكاء نور الحق، وإعلاء يد الدين، وإظهاره على الدين كله ولو كره المشركون، وهي وقوع الهدنه عشر سنين، وجرى أمر الفدية على ما فيه خلاص المسلمين، وما أقاموه لنا من الدعوة بالبلاط، وسمونا فيه بملك الإسلام شاهانشاه، وأصحبوه من هدايا إلى حضرتنا جليلة المقدار: من الثياب الملكية المشتمل عددها على المائتين، والمصاغات الذّهَب والفضة، والبزاة[3] البيض، والبغال الموصوفة.

([1]) من أخبار سنة (٣٧٢هـ) ورد جمل مشروحة بخط ابن شهرام دلت على دهاء وحزم وقوة رايه أرسل من قبل عضد الدولة لمفاوضة ملك الروم، ينظر:مسكويه، **ذيل تجارب الأمم وتعاقب الهمم (ج**٧ ، ص٤٠).

([2]) الجزيرة: تشتمل على ديار مضر وديار بكرمجاورة للشام ، وسميت بالجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، وهما يقبلان من بلاد الروم وينحطان متسامتين حتى يلتقيا قرب البصرة، ثم يصبان في البحر - شط العرب حاليا – ينظر: الحموي، **معجم البلدان**، (ج٢، ص١٤٣).

([3]) البزاة: ضرب من الصقور وحدها البازي أنظر **ابن منظور، لسان العرب**، مادة (بزا).

والشهاري[1] الفُره، وما جرى هذا المجرى من ألطاف الروم، وورد في صحبته رسول كالوزير لهم وكل ذلك بطول الله، وفضله، وقوته، وحوله، وسعادة جد أمير المؤمنين، والوسائل الموجهة له عنده . ونحن نحمد الله على ما قسم لنا في أرضه، وأفادنا عوداً على بدءٍ من نعمه، وذخر لأيامنا من مأثر الاثار التي لم تجر بها عادة زمان، ولم يؤت مثلها ذو ملك ولا سلطان، امناً للدنيا، وعز للدين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[2].

طالعناك – ايدك الله – بهذه الموهبة التي لا تقاس بالمواهب، والجمال الذي لا يعادله جمال، نشكر الله على ما منح منهما ويسر، ونتحدث بنعمة الله فيهما على من غاب من المسلمين وحضر، والله نسأل أن يمتعنا بسابغ نعمائه، ويوفقنا للثناء بآلائه ويزيدنا من فضله وتفضله فيما نسر ونعلن، ونظهر ونبطن، إنه - عز وعلا - لا يرد سائلاً، ولا يخيب آملاً، له الحمد وله الشكر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾[3] " [4]

ملخص الكتاب

١- بدأها بمجموعة من التحميدات، والتشكرات، والثناءات " وأجدر بالحمد"، "وأخص بالثناء"، و " بتطوله الهدايا للشكر " .

٢- قوة الروم وملكهم لما كان له من دوعي "الرهبة والهيبة "رغبة الروم بالهدنة بعد افتتاح " أقاصي الموصل" .

٣- التعظيم للمسليمن بقبول الفدية على حكم الإسلام " وباذلاً للفدية على حُكمنا "

٤- تحديد شروط الهدنة من قبل المسلمين، وهي أن " نكف عن بلادهم" و "نمسك عما انثغر لنا من أطرافها " .

٥- إخراج من يهادنهم وهو "محمد بن عبدالله بن شهرام مع رسول الروم" في أرض الروم.

٦- بلغ سعي المهادن بعد ورود كتابه من الجزيرة "بانكفائه منجحا في كل ما سعى له وقرره" وإقامة الدعوة لهم.

([1]) الشهرية :(بالكَسْرِ : ضَرْبٌ من البَرَاذِينِ)، وهو بَيْنَ البِرْذَوْنِ والمُقْرِفِ من الخَيْلِ ينظر، الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٠٢٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، (د،ت) ، مادة((شهر).

([2]) سورة الحديد: من الآية (٢١)، وسورة الجمعة الآية (٤).

([3]) اخر سورة المائدة : أية (١٢٠)، هود : (١١)، الروم (٣٠)، الشورى (٤٢)، الحديد (٥٧)، التغابن (٦٤)، الملك(١).

([4]) الشيرازي ، **رسائل الشيرازي** : ص ٢٩.

٧- تقديم أنواع الهدايا "من الثياب الملكية " و " المصوغات من الذهب والفضة " و "البزة البيض" و"البغال المصوفة " و " الشهاري الفرة "

٨- كان في صحبة ابن شهرام وزير للروم .

٩- اختتام الرسالة بالعبارات الدينية وبآيةٍ من القرآن الكريم " وهو على كل شيء قدير ".

لقد استطاع الشيرازي من هذه الموضوعات الديوانية ، أن يؤرخ للدولة البويهية انتصاراتها من خلال كتب الفتوح، وما كتبه الشيرازي كان بمثابة وثائق حية عن تاريخ دولة بني بويه الحافل بالأحداث الفاصلة في الأمة الإسلامية، ولم يقتصر الأمر على كتب الفتح بل كذلك كانت كتب الأمان والعهود والهدن.

ويبدو أن هناك تنوع في موضوعات الرسائل الديوانية، مما يدل على أنَّ الكتابة قد بلغت مبلغاً كبيراً في هذه المرحلة، والدور الكبير الذي قامت به إزاء متطلبات الحكم العسكرية، والسياسية، وأرى أنها جارت الشعر، وذلك يعود إلى النفس التواقة إلى الكتابة في هذه الحقبة الزمنية.

ولم يكن الشيرازي في ديوانياته يميل إلى الغموض والتعقيد، وإنَّما جرى الشيرازي على تقليد من سبقه في التزام طريقة الكتابة في السهولة والوضوح، وحرص على الاقتباس من القرآن الكريم وتضمين هذه النوع من الرسائل الأخبار والأمثال والحكم ، كونها منشورات تقرأ من على المنابر لذلك كانت تحتاج إلى أدلة وبراهين.

ويرى الباحث أن الشيرازي استطاع من خلال الرسائل الديوانية الدفاع عن آل بويه باعتبارها الوسيلة الإعلامية الأولى للدولة، إن لم تكن الوحيدة في مخاطبة عقول الناس هذا من جانب، ومن جانب آخر ما تمليه عليه الواجبات السياسية بحسب موقعه من السلطة لذلك هي في الغالب كانت وسيلة لإخماد الحركات الثائرة .

المبحث الثاني.

الرسائل الشخصية

وضع الكتَّاب للرسائل الشخصية مقومات وسمات لمن يرسلون إليه، يقول إبراهيم بن محمد الشيباني: " اذا إحتجت إلى مُخاطبة الناسِ وأعيانهم أو أوساطهم أو سوقتهم، فخاطب على قدر أبهته وجلالته، وعلو مكانته، وانتباهته، وفطنته، ولكل طبقة من هذه الطبقات معدن ومذاهب، يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك "، واشترط في هذه الرسالة أن تحتوي على خمسة خواص هي : السذاجة " بعيداً عن التكلف "، والجلاء هو" الوضوح "، و الإيجاز "، والملائمة هي التناسب بين الكلام ، والطلاوة هي سلامة المعنى"[١].

وقد ذهب بعضهم إلى تسميتها بالرسائل الشخصية أو الذاتية، بمقابلة الديوانية أو الرسمية لسببين، أحدهما أن طرفي الاتصال فيهما (المرسل، والمرسل إليه) أوسع دائرةً من دائرة الإخوانية، والآخر أن السمة الفارقة فيها تقوم على البوح الذاتي أو الشخصي بين المترسلين عندما يتبادلان فيها الأخبارعن ذواتهم وشؤونهم وحياتهم الخاصة، والتعبير عن آرائهم ومواقفهم الشخصية، أو التصريح بالجانب الشخصي اتجاه بعض القضايا من حولهم، أو الإعراب عن مشاعرهم وعواطفهم خاصة في المناسبات الاجتماعية أو اللحظات التاريخية[٢].

وهي عند القلقشندي تضم: "التهاني، والتعازي، والملاطفة، والتهادي، والشفاعات، والعنايات، والاستزارة، واختطاب المودة، وافتتاح المكاتبة، وخطبة النساء، والاسترضاء، والاستعطاف، والاعتذار، والشكوى، واستماحة الحوائج، والشكر والعتاب، والعيادة، والسؤال عن حال المريض، والذم، والأخبار، والمداعبة"[٣].

وهناك قواسم مشتركة في بعض موضوعات الرسائل وأدبيتها باعتماد الكاتب في توظيف تلك الموضوعات، ففي الرسائل الديوانية (الرسمية)، والشخصية (غير الرسمية) نجد التهاني توظف في التهنئة بالفتوحات والانتصارات الإسلامية، بالنسبة للديوانية وكذلك التهنئة بمولد، أو حج بيت الله الحرام، أو خطبة النساء في الشخصية، أي أنَّها تشترك في موضوعات ديوانية واجتماعية وربما أن منزلة الكاتب وإلى من كتب له الدور الأكبر في تحديد نوعها.

---

(١) ينظر: ابن عبد ربه **العقد الفريد** (ج٤ ، ص١٨٠) ، النويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، (٧،١٨٥).
(٢) **النثر العربي القديم بين الشفاهية والكتابية** – فنونه – مدارسه – أعلامه ص ١٥٦.
(٣) القلقشندي، **صبح الأعشى**، (ج ٩، ص٥ وما بعدها).

أما في ما يخص الرسائل الشخصية من ناحية أدبية تكون أقرب إلى الأدب من الديوانية، لقوة عاطفتها وسعة خيالها الموجودين فيها، وكان لحرية التعبير في الرسائل الشخصية الأثر البالغ في هذه الأسباب، على غيرما موجود في الرسائل الديوانية من تقييد، لذا فإن الكاتب في الرسائل الشخصية يجد مساحة واسعة تجعله قدراته على الصياغة الإنشائية أسهل، لتصبح نصاً ادبياً راقياً في أسلوبه والفاظه ومعانيه وأفكاره .

ومما يستدل عن عمق أدبية الرسائل الشخصية من الديوانية، ما ذهب اليه غانم جواد رضا بقوله: " إن الرسائل الإخوانية أقرب إلى الفن والتعبير الإنشائي الأدبي الصافي من سواها من المكاتبات الأخرى، وبخاصة المكاتبات السلطانية (الديوانية)، فهي صدى النفس، ورجع الوجدان، ومنبثق العواطف الإنسانية، ومن هنا فقد أطلق الباحثون على كتّاب هذا اللون من الرسائل بالكتَّاب الأحرار"[١].

وقد طرأ تطور كبير وواضح على هذا اللون من الرسائل النثرية، يقول شوقي ضيف :" ولم تكن الرسائل السياسية وحدها هي التي يطّرد لها النمو والازدهار، بل شاركتها في ذلك الرسائل الاجتماعية أو الشخصية، لسبب بسيط، وهو أن من كانوا يكتبونها كانوا يعيشون في تلك الحقب التي أخذ البلغاء يهتمون فيها بتنميق أساليبهم، وإبداعها ضروبا من البيان والفصاحة"[٢].

وبذلك ذهب زكي مبارك مؤكداً على تطور الإخوانيات في القرن الرابع الهجري حيث يقول: " وقدم هذا الفن في العربية، لا يمنع أنه صار في القرن الرابع فناً قوياً، يخيل إلى القارئ أنه فن جديد، لكثرة ما جدَّ فيه من الصور والتعبير ...."[٣].

ومما يبدو للباحث أن من الغريب أن يعلل محمود غناوي أن سبب ازدهار الإخوانيات في هذا القرن يتصل اتصالاً وثيقاً بأخلاق الطبقة العليا ونزاعاتها[٤]، ربما المكاتبات الديوانية قد ازدهرت بسب حروب ونزعات البويهيين، وما يفرضه ذلك على الكتَّاب الرسميين، وخصوصاً أن المجتمع البويهي معروف بالتنافس بين كبار قادتهم ووزرائهم، وكتَّاب دواوينهم على المناصب، بالإضافة إلى الفساد المالي والإداري الذي كان يتمتع به أغلب أمراء بني بويه، هذا مما جعل الكتاب في هذا العصر يميلون إلى التملق إلى أسيادهم في التعامل مع الأحداث، والتأنق في الألفاظ ليسهل لهم البقاء في تلك المناصب والتكسب من خلالها، ولكن الكتابة الشخصية وإن

---

(١) ينظر: الحسن، **الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة**، ص ٢٦٤.
(٢) ضيف، **الفن ومذاهبه في النثر العربي** (ج١، ص١١١).
(٣) مبارك، **النثرالفني في القرن الرابع الهجري** (ج١، ص٢٠٠) .
(٤) الزهيري، **الأدب في ظل بني بويه**، ص٢٠٥.

تأثرت بالنزعات فهذا لا يعني أنها كانت سبباً رئيساً في ازدهارها، فعلى الرغم من شيوع مظاهر الصراع في المجتمع البويهي إلا أن الحياة الاجتماعية قد ازدهرت وتطورت كثيراً، وهذا التطور أثر بالكاتب وظهر هذا التاثر بشكل واضح على جل كتاباته لا سيما الإخوانية.

وقد جسدت المكاتبات الشخصية في هذ القرن عن كثير من الأمور والقضايا الاجتماعية التي عمت أرجاء المجتمع الإسلامي، وقد خاض الكتَّاب غمارها في هذا القرن، فهي لم تقتصر على المظاهر الاجتماعية وما يعبر به الكاتب من عواطف الناس في الرسائل المتبادلة بين الإخوان (الشخصية)، بل أخذ الكتاب يتبادلون الرسائل فيما بينهم ومع أقاربهم وأترابهم ومع أمرائهم وتنقسم الرسائل الشخصية إلى.

الرسائل الإخوانية :- هي التي تعالج موضوعات التهاني والتعازي والمناسبات ويختلف أُسلوبها باختلاف المناسبة فنجد الإطالة والإيجاز حسب اختلاف الموضوع .

الرسائل الأدبية:- هو ما كان مُتبادلاً بين الأدباء، ولا تخلو من بحث قضية أدبية أو الإشارة إلى قضيةٍ نقديةٍ أو علميةٍ وقد يكون هذا النوع مقصوراً على المشاعر الودية.

المطلب الاول : الرسائل الإخوانية

الرسائل الإخوانية: نوع مهم وشائع من أنواع الرسائل الأدبية، ويطلق هذا المصطلح الأدبي عادة على ما تم تبادله من رسائل نثرية أو شعريه بين الإخوان، والأقارب، والأصدقاء، في قضايا شخصية أو أمور اجتماعية مختلفة[١].

ولقد تناولها الباحثون بالبحث والدرس، فقاموا بتعريفها تعريفات لا تكاد تخرج عن إطار واحد في التعبيرعن عواطف الأشخاص ومشاعرهم، فعرفها شوقي ضيف هي:" التي تصدر عن عواطف الناس من رغبة ورهبة، ومديح وهجاء، وتهنئة، وعتاب، واعتذار، واستعطاف"[٢]، وعرفها محمود عبد الرحيم مصلح هي: " الرسائل المتبادلة في محيط العلاقات الشخصية، والتي ليست لها صفة رسمية، وتدور حول الصلات الاجتماعية والمشاعر الخاصة "[٣].

---

(١) الحسن، **الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري**، ص٢٦٣.
(٢) ضيف، **تاريخ الادب العربي العصر العباسي الأول**، ص٤٩١ .
(٣) صالح محمود عبد الرحيم، **فنون النثر في الادب العباسي**، دار جرير، عمان (ط٢) ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦م ص١٠٢.

ولقد نمت الرسائل الإخوانية نمواً واسعاً في هذا العصر، وأصبحت تُؤدى نثراً بعدما كانت تُؤدى شعراً وذلك حتى صدر العصر العباسي الأول، وبذلك زاحم النثر الشعر بل ربَّما فاقه، ويُرجع شوقي ضيف[1] ذلك إلى سببين:

الأول: ظهور طبقة ممتازة من الكتَّاب الذين يجيدون النثر ولاسيما كتَّاب الدواوين.

الثاني : مُرونة النثر ويُسر تعابيره وقدرته على تصوير المعاني بجميع تفريعاتها قُدرة لا تُتاح للشعر لارتباطه بقواعد موسيقية من وزن وقافية، وقد طوّعَ هؤلاء الكتَّاب الديوانيون أو السياسيون أساليب النثر ومرَّنوها على أن تحملَ كثيراً من المعاني الجديدة غير المألوفة .

لقد أظهر النثرُ طواعيةً التعبير عن العواطف التي لم تكُن تُتاح للشعراء، وبذلك أصبحت أداة تعبيرهم في هذا العصر لما فيه من يُسر، وفُسحةٍ في عرض بعض المعاني التي يُلمون بأغلب دقائقها مما لا يستطيع الشعر إداءه، وهذا ما سنجده في عرضنا لبعض ما توافر لدينا من نماذج عن رسائل الشيرازي.

ويقول محمد محمود الدروبي عن الإخوانيات في المظاهر الاجتماعية في العصر العباسي:" كانت التهنئات ترسخ علاقات التبادل في المسرات، وكانت التعازي تُوطدُ مشاعر الصداقة النبيلة في الأحزان، والهدايا تُفصح عن نماء العلاقة الروحية بين الأصدقاء، وأمَّا الدعوات فقد كانت جسراً يمتد في سبيل التقاء الصّحب والخلان، وأمّا العياداتُ فقد عبرت عن تلهف الأصدقاء إلى شفاء صديقهم وقيامه سليماً معافى، وأما العنايات، فقد راح الكتاب يدُبجونها إلى ذوي الشأن في الدولة "[2].

ومهما تعددت موضوعاتها فهي تندرج في مجموعتين[3].

الرسائل الإخوانية شبه الرسمية :- وهي تلك الرسائل التي تحتفظ بالبعد الاجتماعي بين الكاتب والمخاطب، أي تلك الرسائل التي يتبادلها الخليفة أو الأمير مع من دونه في المنزلة الاجتماعية وفي الأمور خاصة.

الرسائل الإخوانية الذاتية :- وهي التي تدور بين الأصدقاء من عتاب، وشوق، وعزاء، وما إلى ذلك من عواطف.

([1]) ينظر: ضيف، **العصر العباسي الأول**، ص٤٩١.
([2]) الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص٢١٣.
([3]) القيسي، فايز عبد النبي فلاح، **أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري**، دار البشير،عمان ط(١) ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص٢٧٩.

وقد راجت الإخوانيات في العصر البويهي رواجاً منقطع النظير لتوفر أسبابها ودواعيها، إذ اعتنى بها الأدباء عناية كبيرة فاكثروا من المراسلات الإخوانية شعراً ونثراً إلى حد الإسراف حتى إننا نجد من بينهم من اقتصرعلى الكتابة الإخوانية دون غيرها، ألا أن الشيرازي، ولكونه كاتب لسان عضد الدولة، أقل ما نجد عنده من الإخوانيات مقارنة مع سلطانياته وحملت أغراضاً متنوعة في التهنئة، والتعزية، والشفاعة، والشكر، والمدح، وربما يرجع ذلك إلى فقدان الكثير من نثر الشيرازي كما ذكرنا.

أولاً: كتب التهاني .

التهنئة خلاف التعزية تقول: " هنَّأه بالأمر والولاية تهنأةً، وتهنيئاً، وهنّأه، هنأً إذا قالَ له ليُهنئك "[١] والتهنئة من القضايا التي عالجها الأُدباء شعراً وسرعان ما انتقلت إلى النثر لتكون غرضاً مهماً فيه، يجدها الباحث تكتب في الرسائل الإخوانية في زواج أو حج أو انتصارٍ أو مولودٍ أو تهنئة وزير أو تولى منصب، أو العودة من السفر، أو بالشهور والمواسم والأعياد وغير ذلك من المناسبات .

وصفها صاحب الأعشى بقوله: "هي من الكتب التي تظهر فيها مقادير أفهام الكتَّاب، ومنازلهم من الصناعة ومواقعهم من البلاغة، وهي من ضرب الكتب الجليلة النفيسة، لما في التهنئة البليغة من الإفصاح بقدر النعمة، والإبانة عن موقع الموهبة وتضاعف السرور بالعطية"[٢].

وأمّا في حالة التهنئة بالنصر والتي تعد من الموضوعات الرئيسية للشيرازي، فيجنح فيها إلى تبسيط الكلام في شكر الله وتعظيم النصر، وذكر ما يتصف به الممدوح من عزم وإقدام وجلد، ووصف جيشه وعدته، والتهويل بذكر العدو، ووصف جمعه وعدده، وغير ذلك مما تقتضي عظمة النصر، وحال الممدوح وفي ذلك، ومنها ما كتبه الشيرازي إلى عضد الدولة يهنئه بالانتصار والقضاء على عز الدولة (بختيار) بقرب قصر الجص[٣]، وسيقف الباحث على تلك الرسالة كي يوضحَ التهنئة بالنصر بالإضافة إلى ما عرض فيه من عفو وعهد لعز الدولة (بختيار) في مقدمة الرسالة وما جرت عليه مكاتبات الشيرازي في هذ الجانب.

---

(١) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة (هنأ).
(٢) القلقشدي، **صبح الأعشى**، (ج ٩، ص٥).
(٣) قصرالجص: قصر عظيم قرب سامراء، بناه المعتصم للنزهة، وعنده قتل بختيار بن معز الدولة ،الحموي، **معجم البلدان**، (ج٤، ص٣٥٦).

"الكتاب المنشأ من قصر الجص"

وهو من الرسائل التي تناولت التهنئة بالنصر لعضد الدولة والظفر على الأعداء، وقد أوضح عماد عبد الكريم أحمد جانباً من تلك الملابسات، فبعد أن أخضع عضد الدولة البصرة لصالحه، أرسل إلى عز الدولة بختيار يدعوه للدخول في طاعته، وأن يختار الجهة التي يرغب فيها[١].

وقد أشار الشيرازي إلى هذا الأمر بقوله: " وقد عرفت – أيدك الله – حال بختيار الباغي الشّقيَّ فيما منَّا به عليه من روحه أولاً، ثمَّ عَقِيبَ الوقُعِة بالأهواز، وبعد استقرارنا ببغداذ[٢]، حاملين لما أباح من نفسه، حافظين لما أضاع بالعصيان من حقَّه، مقدَّرين فيه الانتباه لجهة الرَّأي فيما اعتمدناه من بسطٍ وقبض وإبرام ونقص وعقاب وصفح وإيقاع وكفَّ، وما كان ألزم نفسه في مصدره عن بغداد من وثائق وعُهُود وأيمانٍ لا تُقلُّها سماءٌ ولا أرض، بإخلاص الطَّاعة والقيام بشرائط الخدمة والصَّدر عن رأينا فيما أورد وأصدر.....، ومد أجنحة العفو على ما فرط من جريمته، وسبق من جريرته، ومعونته بما ينهضه نحو الشام من مال وعدة "[٣].

كما تحدث في تلك الرسالة عن خروج عز الدولة بختيار، قاصداً الشام بعد أن خُيرَ من قبل عضد الدولة في الجهة التي يرغب المسير إليها، وبصحبته حمدان بن ناصر الدولة الحمداني، الذي أغراه بالسيطرة على الموصل التي كان يحكمها اخوه أبو تغلب الحمداني، طمعاً في ملكها على الرغم من تعهده بعدم التعرض لها، ولما علم أبو تغلب بمسيرهما لحربه أرسل إلى عز الدولة بختيار يقترح عليه مساعدته في محاربة عضد الدولة، واسترجاع العراق منه، لقي هذا الاقتراح هوًى لدى عز الدولة بختيار رغم العهد الذي بينه وبين عضد الدولة ومما ورد فيها " فما كان بعد مسيره إلا كلا ولا، حتى أتتنا الأخبار بنزاعه إلى ما كان أملك به من شمية النكث، ونزوعه عن الطاعة استهانة بما التزمه لها من آلٍّ وعهد، وأسرع نحو الموصل[٤] يحسبها مرجع

---

(١) خلوف، **ضعف المجتمع الإسلامي في ظل الخلافة العباسية أيام السلطنة البويهية**، ص١٦.

(٢) الأصل بغداد، ولا يجوز بغذاذ وهذا يدل على عجمية الشيرازي لأنه ليس في كلام العرب كلمة فيها دال بعدها ذال وهذا مذهب أهل البصرة، ينظر: الحموي ،**معجم البلدان**، (ج١، ص٤٥٦).

(٣) عبد العال، **رسائل عبد العزيز بن يوسف الكاتب**، ص٢١٥، أعتمدت نص الرسالة من تحقيق: محمد يونس عبد العال لأنها تشرح تفاصيل أكثر وأدق، بينما الثامري يذكرعنوانها في شكر ظهير الدولة على تهنئتة ركن الدولة بالسلامة .

(٤) الموصل: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبرا وعظما وكثرة خلق وسعة رقعة تقع على نهر دجلة المعروفة بأرض الجزيرة، ياقوت الحموي، **معجم البلدان** (ج٥، ص٢٢٣).

فله[١]، ومرتع[٢]وهيه، فصادف من أبي تغلب نسيباً في سفه الرأي، ومباينة شبه الرجال، وتعاقدا على الوفاء بعد غدره بحمدان بن الحسن بن حمدان، ساء حديثهما، وكُثُر اللعن عليهما لها وجعلا يوريان لنا بظاهر جميل عن باطن مدخول"[٣].

ويمضي الكاتب ليخبرنا عن مسيرة أبي تغلب الحمداني بجيشه واجتمع مع عز الدولة بختيار فتحالفا على نصرة بعضهما، ولما وصل الخبر لعضد الدولة، انهض أبا الوفاء طاهر بن محمد بن علي[٤]، مع أبي القاسم الحاجب[٥] يتقدمون العساكر، جاعلين من دار السلام نقطة انطلاقهم، برايات أمير المؤمنين(عضد الدولة) حتى وصلوا إلى قرى قرب تكريت وأقاموا خيامهم "حتى وردنا مفرق طرقهم بين خصا[٦]، وعقر[٧] بجيل، وهما على طرف المفازة أخذين عليهم بالأرصاد وضاربين في أوجههم بالأسداد وعلم المخاذيل بما أظلَّهم من البلاء، فخاموا[٨] بمجاثمهم"[٩].

ويسترسل الكاتب ليتحدث عن التقاء الجيشين في موقعة الجص قرب سامراء، وألحق قادة عضد الدولة بهم هزيمةً مشينةً، أسفرت عن وقوع بختيار في الأسر، وهروب أبي تغلب محملاً بجراحه " وأجلت المعركة عن بختيار قد أراق الله من دمه ما أباحه ...وقد كان المكنى أبا تغلب على أهبة الهرب وسوء المنقلب على عادة سبقت بمثله عن تعارك الأبطال"[١٠].

وقد كتب الشيرازي التهنئة والبشرى بالنصر في نهاية الرسالة ، وهو غيرما كان يكتب به التهاني في الانتصارات، حيث تأتي التهنئة في المقدمة إلا أن الكاتب جعلها تكون خاتمة الرسالة بقوله "طلعناك بهذه البشرى لتحمد الله على ما منح منها، وسهل من سبلها وتتحدث فيها على المنابر وفي الأندية والمحاضر"[١١].

---

(١) الفَلّ: المنهزم والجميع الفُلول والفُلاّل ، الفراهيدي ، **العين** ، باب (اللام ، والفاء) ج٨، ص٣١٦.

(٢) مرتع الموضع المُخصب، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** مادة (رتع)، بينما جاءت في تحقيق الثامري مرقع رسائل الشيرازي، ص١٥٥.

(٣) عبد العال، **رسائل عبد العزيز بن يوسف**، ص٢١٦.

(٤) واحد من أهم قائدة عضد الدولة والذي كان يسيره على الأمصار لإخماد الثورات وردت أخبار في ذيل تجارب الأمم في أماكن متفرقة.

(٥) لم أجد على ترجمه له ولكن من خلال النص يعد واحداً من قادة عضد الدولة.

(٦) قرية كبيرة في طرف دجيل بنواحي تكريت بين حربى وتكريت، الحمودي، **معجم البلدان** (ج٢، ص٣٧٤).

(٧) قرية بين تكريت والموصل ينظر معجم البلدان (ج٤، ص١٣٦)

(٨) خام: جبن ونكص وتراجع، ابن منظور، **لسان العرب** (خيم).

(٩) عبد العال، **رسائل عبد العزيز بن يوسف الكاتب**، ص٢١٦.

(١٠) المصدر نفسه، ص٢١٧.

(١١) المصدر نفسه، ص٢١٧.

ونلمس في هذه الرسالة الإطالة والإسهاب، ويبدو أنهما كانتا لأهمية الموضوع الرئيسي لغرض إيصال المضمون، خصوصاً أنه تطرق إلى عدة مواضيع في رسالته، منها الفتح، والصراع، و العهد، و العفو، والصفح، عن ابن عمه عز الدولة ليختم بالتهنئة والبشرى والتحميد على ما منحهم الله لتتحدث الناس على المنابر والمحافل، وكان تداخل تلك الموضوعات في رسالته من السمات المميزة للكاتب، حيث ولجَ بأكثر من غرض داخل النص، مما يحقق الوحدة الموضوعية وهذا ما تميز به الشيرازي في هذه الرسالة .

" مؤيَّد الدَّولة يُهنئه بانتصاراته في كَرمان "

" وصل كتابُ مولاي مؤيِد الدولة- أدام الله تأييدهُ- بذكرِ المسارِّ التي اكتنفت ساحته بما تجدد بكرمان من نُجحٍ عقبَ نُجح، وتيسر منها بجيرفت[١]، وبَمَّ [٢]، من فتحٍ غِبَّ[٣]، فتحٍ، وتهنأتُ بما هنأني به، واستبشرتُ بمورد البشرى فيه، وقد كنتُ واثقاً بصنع الله في التمكين من أُولئك الأرجاس[٤] الذين نَبَا بِهم مِهادُ النعمة، وحاشهم على الضَّلال محتومُ النِّقم ؛ لعادة الله - تعالى جده- لدينا في أمثالهم وتظاهُرِ ثِقتِنا في مُظاهرة العزِّ، ومُزاورة النُجح[٥]، في مساعي من نهضَ في بابه، لمُلاقاة ذلك الأمر، ومواقعهم في مُصافحة ذلك الخطب، مُستظهراً مِنهم ومن ميامينِهُم المُحيطة بهم بأقوى الأعداء على الدهر، وأمرى[٦] الإمداد لإخلاف النصر، وقد كان نبأُ هذه البشرى سَبَق إلى معطوف المبادئ والمثاني، مِن خِدمةٍ مرضيّةٍ، وسعيٍ جميلٍ، وأثرٍ مأثور، وموقفٍ مشهور، وذلك وإن كان من اختصته خدمته، وانتقته صفوته، وقدمته أثرتُه، فله من بينهم مَزيّةُ مَن وُفقَ للخدمةِ في هذا الوقت، وللفساد بكلِ مطلعٍ سبيلٌ، وعلى الضَّلالِ من كُلِّ ذي فعلٍ دليلُ، ومولاي يُعرفُ له سعيهُ، ويُثبهُ بالحسنى عليه، إن شاء الله "[٧].

نلاحظ أن الكاتب استخدم حريته في هذه التهنئة ليلج في الموضوع مباشرة بدون مقدمات، وقد افتتحها بواحد من إبرز أعلام الدولة البويهية - مؤيد الدولة - ثم هو يهنئهُ بالإشارة إلى افتتاح أهم مكان في كرمان وسروره بهذه المناسبة.

---

(١) جيرفت: مدينة مهمه في كرمان فتحت في أيام عمر بن الخطاب " رضي الله عنه" ، الحموي، **معجم البلدان**، (ج٢، ص١٩٨).
(٢) بمَّ : بالفتح وتشديد الميم، من أعيان مدن كرمان **المصدر نفسه** (ج١، ص٤٩٥).
(٣) غِبَّ : عاقب الأمر، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية – بيروت، (د.ت)، ٤٢٢/٢.
(٤) الرجس:القذر والمأثم، وجمعه أرجاس، ويقال رجل رجس ورجس، ابن منظو، **لسان العرب**، مادة (رجس).
(٥) النُجح: الظفر، الفراهيدي، **كتاب العين**، باب (الحاء، والجيم، والنون) ٨٢/٣ .
(٦) بمعنى الأمر والمشاورة، الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة (أمر).
(٧) الشيرازي : **رسائل الشيرازي**، ص١٢٣.

فقد حملت هذه الرسالة عبارات جليلة المعنى في الدلالة على الحسن في اختيار الألفاظ، التي خدمت موضوع التهنئة، ثم نلاحظ بعد ذلك التنميقَ والتزيينَ في عباراته التي تحقق قيم التناسب والجمال في كتاباته، ويظهر في قوله: (نجح عقب نجح)، (وتهنأتُ بما هنأني به)، (واستبشرت بمورد البشرى)، (بصنع الله في التمكين)، (وتظاهُرِ ثِقتِنا في مُظاهرة العزِّ)، وقد جاءت الرسالة في حشد من النعوت والأوصاف التي دائما ما تستخدم في التهنئة بالانتصارات وذلك من قوله: (مِن خِدمةٍ مرضيّةٍ، وسعيٍ جميلٍ، وأثرٍ مأثور، وموقفٍ مشهور) .

وقد تنوعت كتب التهنئة عند الشيرازي بما يلائم المناسبات التي كتب فيها، ومما يدل على قدرة الشيرازي اللغوية والأدبية أنه في كل مناسبة يستخدم الجمل والألفاظ التي تناسبها ففي التهنئة بالمولود الذكر، لم يحدد الكتاب إلى من أرسل، وعلى الأرجح أن يكون لمؤيد الدولة من خلال الألقاب التي ذكرها بقوله " وقد منحنا الله بمنه وفضله وسعادة جد الأمير السيد– أطال الله بقاءه – ولداً ذكراً، سوياً سليماً عمر الله به معالم أُنسِنا "[1] فالأمير(السيد) لقب دائماً ما ذكره الشيرازي على مؤيد الدولة بالإضافة فيما ورد آخر التهنئة بقوله " لموقعك عندنا، وموضعك من ثقتنا " وقد مال الشيرازي في هذه التهنئة إلى الإيجاز فلم تكن الرسالة أكثر من ستة أسطر إلا أنه كثف الألفاظ لتعبر عن معاني كثيرة وهذا على غيرمافي التهنئتين السابقتين التي كان الإسهاب السمة الغالبة فيها.

ثانياً: كتب التعزية .

التعزية: " التأسية، وأسيَتُه تأسيةً أي عَزَّيتُه[2] قال الأزهري:" أصلها التعبير والتأسية بمن أُصيب بمن يعزُ عليه"[3]، وهو أن يُقال له تعزَّ بعزاء الله، وعزاء الله قوله عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾[4]، ويُقالُ لك أسوةٌ في فلان فقد مضى حميمه واليفه فحسنُ صبرهِ والعزاء اسم أقيم مقام التعزية[5].

ورسائل التعازي تأخذ مكانة رفيعة في كتب الرسائل الإخوانية بسبب ما تحمله من مشاعر صادقة فهي تنم عن شعور صادق بالمصاب، وتصور لواعج النفس بوقع المصيبة، وقد

([1]) الشيرازي: **رسائل الشيرازي**، ص ١٠٨.
([2]) ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة، (اسى).
([3]) تحرير ألفاظ التنبيه:١ /٩٩.
([4]) البقرة: الآية١٥٦.
([5]) الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (ت ٣٧٠هـ)، **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**، تحقيق: محمد جابر الالفي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط (١) ١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م، ص١٣٦.

يجنح الكاتب إلى الطبع والفطرة بعيداً عن التصنع، والتكلف، وطلب السجعة، وألحقَ الدروبي التعازي بالرسائل الإخوانية أكثر من الأدبية التي تنحو منحى التجريد أكثر من الذات[١] .

ويختلف الأسلوب في الرسائل الشخصية من مناسبةٍ إلى أخرى، ففي رسائل التهنئة يعمد الكاتب إلى شيءٍ من الإطناب لأن مقام الحديث فيه مُستحبٌ، أمَّا رسائل التعزية فالإيجازُ فيها مطلوب، لأنه موقفٌ يقتضي الإقتضاب والبعد عن الإسهاب[٢] .

والتعازي موجودةً في المجتمعات الإنسانية بوجود هذه المجتمعات، لأنها تعبرعما يكنه الأنسان تجاه أخيه أو صديقه من مودة وألفة تجعله يفرح لفرحه ويجزع لجزعه ويحزن لمصيبته، ويشارك المُعزِّي المُعزَّى في أحزانه لوفاة فقيده ويبين أن الخسارة لم تقع في أهل الفقيد وذويه وحدهم خاصة إذا كان الفقيد من ذوي المكانة في الدولة، حيث كان يمنح العطايا والهبات على خاصته وندمائه وهذا ما فعله الشيرازي بوفاة ركن الدولة.

"التعزية في وفاة ركن الدولة"

" وَصَلَ كتابُ سَيِّدي – أدامَ الله عِزَّهُ – مُعَزِّيا في الأمِيرِ السَّعيد – رضي اللهُ عنهُ – ومُذَكِّراً بالنِّعمة في حياتِه وبَعدَ مَماتِه، ووقفتُ من خطابِه في الحَالتَينِ ما بين حَسنتين استبصاراً في عَزيمةِ الصَّبر، واستبشاراً بمزيَّة الشُّكر وتمثَّلتُ ما عراهُ للحادثة التي خطفت الألباب وغالت الأحلام وأساءت الظنَّ بالأيَّام ، وليس مثلُ سيِّدي مِمَّن يحتاجُ إلى الإخبار في مثل هذه الحال عن نفسه والدَّلالة على عقده، مع شواهد إخلاصه، وشوافع اختصاصه، والأسباب الُمتناصِرَة لهُ في الوفاء والفضل، وراثةً واستفادةً ووِدّاً ومشاركة، وقد كانت النَّازلةُ نفَّرت سرب النَّعم، ورنَّقت[٣] شرب الأمل، وأوحشت رباع المجد والكرم، لولا ما عصم الله به، وهدى له من تذكُّر النُّعمى في ثَوَرة العدد والبقية الحسنى في الأخوة والولد، ثُمَّ في العزِّ والقُدر والسُّلطان والبسطة، وفيما شدَّ به من الأعضاد في إخوان الصّفاء الذينَ سيّدي نَاظِمُ شمل محاسنِهم وفائتُ سَبق أفاضلهم، هذا إلى ما خُصَّ به من شرائف الأخلاق وكرائم الأعراق"[٤].

---

(١) ينظر: الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص٢٤٠.
(٢) ينظر: الشنطي محمد صالح، **فن التحرير العربي** ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص١٧٣.
(٣) في تحقيق عبد العال يذكرها طرقت يقال طرقت الإبل الماء أي خوضت فيه وبولت وبعرت ابن منظور، **لسان العرب**،مادة (طرق)
(٤) الشيرازي: **رسائل الشيرازي**، ص٦٠.

يقول محمد محمود حماد عن هذه الرسالة ضعيفة العاطفة فلم يكتبها صاحبها إلا تملقاً ومجاملةً وذلك لأن المتوفى وزير بويهي، وهوركن الدولة فهو يمدحه بألفاظ تدل على التكسب[١].

إما بخصوص التكسب فيتفق الباحث مع ما ذهب إليه محمد محمود حماد، إذ يقول أن التكسب أمر طبيعي في الدولة البويهية، التي طغى عليها المال على كل مناحي الحياة، ولنا شواهد كثيرة عرضناها فيما سبق، إمّا قوله بأن الرسالة ضِعيفة العاطفة فلا يتفق معه، حيث حملت ألفاظاً تلائم رتبة المتوفى، ومعانيَ واضحةً دون غموض حتى يتمكن القارئ من فهمها، إضافة إلى اشتمال الرسالة على عاطفة عبر الكاتب فيهاعن مشاعره تجاه المعزى ففي مقدمة الرسالة يلقب فيها ركن الدولة بالأمير السعيد، وينهج كما نهج الكتاب الآخرون في القبول بأمر الله والصبر على المصاب.

وفي العرض يبين حجم المصيبة التي ألمت بالبلاد، وما جرّته على الأوطان بوفاة ركن الدولة، ويلاحظ فيها التجديد للبيعة والولاء، وهذا ما يبدو في أغلب كتب التعزية التي تعد القاسم المشترك في المكاتبات الديوانية والإخوانية، وقد احتاج فيها الشيرازي إلى الإطالة أو الأطناب لأن الفقيد صاحب مكانة مرموقة بين قومه، وما يترتب على أولاده وخاصة عضد الدولة في تحمل شؤون الدولة بعد وفاة أبيه من لم شمل أخويه.

وهذه سمة من السمات التي تشترك فيها كتب التعزية في آل أو أمير بالتكاتف بعد وفاته بقوله " وفيما شد به من الأعضاد في إخوان، الصفاء الذين سيدي ناظم شمل محاسنهم وفائت سبق افاضلهم"[٢]، وكذلك جاءت الألفاظ مناسبة لمقام التعزية " الممات، النازلة، الصبر" وهو بهذه الألفاظ المقرونة بعواطفه يظهر تمكنه من اللغة، لا سيما في وصف المصيبة أو النَّازلة بعدة أوصاف منها " نفَّرت سرب النَّعم "، و "ورَنَّقَت شُربَ الأمل"، و "أوحشت ربَاعَ المجد والكرم ".

"التعزية بوفاة أبي يعقوب"[٣].

وقد كتب الشيرازي كتاباً آخر في التعزية بوفاة أبي يعقوب، يقوم على تحشيد عبارات التصَّبر والتأسّي، التي من شأنها التخفيف من وقع المُصيبة، وهذا ما لمسناه في تلك الرسالة، كما

---

(١) حماد، **فن الرسائل النثرية في القرن الرابع**، ص٧٨.
(٢) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٦٠.
(٣) هو أبو يعقوب بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطيد، صاحب هجر، استوزر لعضد الدولة، توفي سنة ٣٦٦هـ ، ينظر: الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ج٧،٨٦، والأتابكي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ج٤،١٢٩، وابن الأثير،**الكامل في التاريخ**،(ج ٨ ، ص٢٤٩).

نلحظ أن مقدماتها تكون دون بدء مُعتاد في تهليلٍ أو حمدٍ أو مدح، فنرى ثوب الحزن يكسو الرسالة من المطلع حتى الخاتمة.

فهو يصف في مقدمة الرسالة خبر الوفاة بـ " الفادح والفاجع " ليضيق الصدر، وينفد الصبر، ويمرض القلب، وتزل العزيمة لولا أن تذكر البقية من السادة القرامطة الذي استلموا البلاد من بعده، ومن باب الوفاء لذلك الفاضل أبي يعقوب، أخذ الكاتب يعرض أمر الفدية لما حفظه من عهود، إلا أن الكاتب أخذ التفكر من أن أمر الله غالب على عبادة وأن حكمه فيهم ماضٍ وما عليهم ألا التسليم لقضائه ومما جاء في نص الرسالة "كتابُنا يوم كذا، ورد علينا الخبرُ الفادح، والنبأُ الفاجع، بوفاة أبي يَعقُوب– رحمهُ الله – فأحرج الصدر، وزحزح الصَّبر، وآلَمَ القلب، ومَرَى الدّمع، وكاد يُزلُّ عن عزيمته التّقوى، لولا تذكُّرُ النُّعمى في البقية الحُسنى من سادتي – أدامَ الله عزَّهم – الذين خلَفُوا من بعده، وسدُّو ثَلمَ فقده، ولو كانت الفِديةُ ترجعُ فائتاً، والجَزَعُ يردُّها لفتنا فيهما كُلَّ شأوٍ، وفاءً لذلك الفاضلِ – رضوانُ الله عليه – بحقِّ الوُدّ، وقياماً فيه بوثائقِ العهد، ومُنافسةًعلى تلك الفَضائِل التي هَوَى نجمُها في لَحدِه، وضنّاً بتلك المحاسن التي خَوَى ضوؤُها لفقده، إلا أنّ أمرَ الله لا يُغالب، وحُكمَهُ لا يُدافع، فإنّا لله وإنا إليه راجِعون، صبراً واحتساباً، ورضاءً وتسليماً، ورَحِمَ الله ذلك الماضي، وتغمَّدهُ، بعفوِه، وأحلَّهُ در المقامة من فضله، وعظَّم اللهُ أجرنا جميعاً فيه؛ فلقد رُزِئناهُ أشرف ما كان خِلالاً، وأشهر كمالاً، وأتمَّ يميناً، وأجمعَ رأياً وحزماً.

وكان من حُكم هذه النّائبة التي ألوت بالصّبر، وأوحشت جَنابَ الأُنس، أن تنهض للتَّعزية بها إلى سادتي – أدامَ الله عزَّهم – أوجُهٌ من عندنا، لكنَّا آثرنا التخفيف، واعتمدنا على أبي الحسن ابنِ العِمّ في إصدار كتابنا بالتعزية على طريق البصرة، وخاطبناك – أدام الله عِزّك لتعلم ما جنتهُ هذه الحال علينا، وأسارته من الهم القلق في انفسنا، ولسنا نَشُكُّ فيما يعروكَ إذا ورد عليك نبؤها، والوجه أن تعتصم فيما يطرُقُك منها بالصبر، وتتمسك بوثائق الشُكر؛ إذ كانت العطية في سادتي – أدامَ الله عزَّهم – أشرف معتاض، واكرم مُستفاد أحسن الله كلاءتُهم، وأنس ساحتهم، ولا أقذى لهم عيناً، ولا أوهى لهم بعدهُ رُكناً، وتُقيم على ما أنت عليه من خدمتنا وخدمتهم مع السرية، فانا واردون، ان شاء الله"[1].

لقد بسط الشيرازي الكلام في هذا الرسالة، دون أن يطيل في المقدمة ليدلف مباشرة إلى الغرض بالتعزية بهذه المصيبة (النائبة) مستخدماً أسلوب الكاتب المهذب في طريقته لمواساة رجال الدولة، وإن هذه المصيبة هي قدراً من الله سبحانه وتعالى، ولا بد من التسليم لأمره

([1]) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص ١٣٧ -١٣٨

والقضاء بقدره، هي التي دعت الكاتب لينهض بالتعزية من سادته، ثم ختمها بالدعاء من أهل الميت من عظيم الأجر، وجميل الصبر ولأن الميت كان من خواص عضد الدولة وواحد من أهم وزرائه، لأن الكاتب يشيد بمناقبه ويحاول أن يخفف من مصيبة مخاطبه ولوعته.

ثالثاً - كتب الشُكر :

الشُكر: " عرفان الإحسان "[١]، و" نشره وحمد مُوليه "[٢]، و" الثناءُ على المحسن بما أولاه من المعروف يُقالُ: شكرتُه وشكرتُ له "[٣]، وهو عند ابن فارس: " الرضا باليسير "[٤]، وهو الشكور، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾[٥].

وفي الفروق اللغوية للعسكري، إنَّ الشُكرَ " إظهار الحال الجميلة ومن ذلك يُقال: دابّةٌ شكور إذا ظهر فيها السمن من قلّة العلف، وأشكرَ الضرعُ إذا امتلأ لبناً، وأشكرت السحابئةُ إذا امتلأت ماءً، والشكرُ لا يكون إلاّ على نعمة والنعمة لا تكون إلاّ لمنفعة" [٦]، ومن شكر استحقَّ الإحسان، ومن أحسن استحقَّ الشكر[٧]، ولقد أحسن أبو نؤاس في قوله (من الكامل):

أنـــت إمـــرءٌ طوقتنـــي مللاً أوهـــت قِوى شُكري فقد ضَـــعفا

لا تســـدينّ إلـــيّ عـــارفـــةً حتـــى أقوم بشـكـر ما سلـــفا[٨]

وبذلك يكون الشكر:" مُقابلة النعمة بالفعل، والقول، والنية، فيُثني المُنعَم عليه على المُنعِم، بلسانه ويُذيبُ نفسه في طاعته"[٩]، وهو غرضٌ قديم عولج شعراً، وفي الحقبة البويهية اعتنى به الكُتّاب نثراً وتداولته رسائلهم، فكتب الثعالبي في الشكر " الشكر ترجمان النية ولسان الطوية[١٠]، وشاهد الإخلاص وعنوان الاختصاص، عندي من إنعامه وخاص بره وعامه ما يستغرق منه

---

(١) الفراهيدي، **كتاب العين**، باب (ك ، ش، ر) .
(٢) الازهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، دار إحياء التراث العربي ، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، (ط١) ٢٠٠١م ، (ج١٠، ص١٠).
(٣) الصحاح: مادة (شكر).
(٤) القزويني: **معجم مقاييس اللغة**، مادة (شكر).
(٥) الأنسان: الآية ٩.
(٦) ينظر: العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران، **(ت ٣٩٥هـ)**، **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، مصر، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م، ص٤٩، ص٥٠.
(٧) محمد بن يزيد، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: ٢٨٥هـ)، **الفاضل**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط(٣)، ١٩٩١، ص٩٨.
(٨) **أبو نواس**، الحسن بن هاني(١٩٩هـ) ، **ديوانه**، شرح وتوضيح، محمود أفندي واصف، المطبعة العمومية، مصر، ط ١، ١٨٩٨م : ٧١.
(٩) البرقوقي، عبد الرحمن الأديب المصري (ت : ١٣٦٣هـ)، **الذخائر والعبقريات**، معجم ثقافي جامع، مكتبة الثقافة الدينية، مصر(د.ت)، (ج١، ص١٩٨).
(١٠) الطوية:النية، الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة (طوى).

الشكر ويستنفذ قوة شكر الأسير لمن أطلقه، والمملوك لمن أعتقه، شكرٌ كأنفاس الأحباب في الأسحار أو أنفاس الرياض غب الأمطار"[١].

ويجب على الكاتب أن ينتقي الألفاظ ويختارها بحيث تتلاءم مع مقام المشكور وتكون حافزاً للمشكور لكي يستمر ويكرر مِنَحهُ وأعطياه، ويشترط القلقشندي فيها على كاتبها فيقول:" أن يفتن فيها ويقرب معانيها وينتحل لها من ألفاظ الشكر أنوطها بالقلوب لتستيقن نفس المتفضل أنه قد اجتنى ثمرة تفضله وحصل من الشكر على أضعاف ما بذله من ماله أو جاهه إلا أنه ينبغي أنها إذا كانت صادرة من الأتباع إلى رؤسائهم، ومن يرجع إلى اختصاص وأثرة أن لا تبنى على الإغراق في الشكر لأن الإغراق في الشكر يحمل هذه الطبقة على التملق الذي لا يليق إلا بالأباعد"[٢].

وكما أجاد الشيرازي في التهاني والتعازي، فقد أبدع في كتب التشكرات فقد كتب جوابين جواباً يشكر فيه من أهدى إليه ثلجاً، والآخر كتاب عن عضد الدولة يشكر أحدهم على تعزيته بوفاة أبيه، ومما جاء في نص الجواب الأول .

" وَصَلَ كِتابُ مَولاَي – أدام اللهُ عِزّه – بأحسن ما جاد[٣] به خاطر وجتلاه ناظر، وكَفِل به وُدّ، ونَطق عنهُ عهد واستُرقَّ به حَقّ، واستُحقَّ لهُ شُكر وتصفّحتُه ناقلاً منهُ طرفي وقلبي بين صفحات ألفاظ ونفحات معانٍ، علَّمتني كيف تُرعى العُهودُ، وتُقضي الحُقوق وتُراحُ سوامُ الأدَب[٤] وسألتُ الله إطالة مُدَّته للفضل والإحاطَةِ بالخصل، فيما ائتلفنا عليه ولا تألفنا ألا به وبعد مضي الكتاب سمعت نبأة من حامله بذكر الثلج الذي اتحفني به:

ذَكَرناكَ والأكبادُ حرّى منَ الجَوى وقد شُدَّ أكوارٌ وزُمَّ رِكَـــــابُ[٥]

فداوى سِقاطُ الدُرِّ من لفظِةِ الهوى وسقطُ الحيا دُونَ الهواءِ حجابُ

فـــقُلتُ لهُ: أهلاً بأكرَم صاحـبٍ وفي عَهدَهُ حِينَ العُهُودُ خِـلاَبُ[٦]

تَّخوَّلني من برِّه بالذي سَمَـــــا وَجَل فما يسمُو إليه ثـــــوابُ

---

(١) النيسابوري، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، **لباب الآداب**، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أحمد حسن لبج، ط(١)، ١٩٩٧، ص٩٨.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**، (ج٩، ص١٩٣).

(٣) في تحقيق عبد العال (جاد) رسائل عبد العزيز بن يوسف ص٣٤٧، وفي تحقيق الثامري جال والصواب جاد من خلال سياق الكلام ، وكذلك في لفظة ينفعك عند عبد العال ،وينفك عند الثامري، ومطابقة المعنى ينفعك .

(٤) أراح الأبل والغنم إراحة : ردها من العشي الى مأوها الذي تبيت فيه- والسوام كل أبل ترعى و تعلف ، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (روح)، ومادة (سوم).

(٥) الاكوار: مفردها كور وهو رحل الناقة ، زم : شد بالزمام، الركاب للسرج ما توضع فيه القدم ابن منظور **لسان العرب**، مادة (كور) ومادة (زمَّ).

(٦) خلاب: خداع وقيل لا خلابة إي لا خداع ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(خلب).

أُصَاعِدُ لا ينفعكُ جدُّك صاعِـــداً ولا بَرحَت تسـقِى ذُراك سَحَابُ

يُعادِيك بالنُّعمى وفي حجرَاتِـــــه يحُلُّ نطـاقٌ أو يـــُـربُّ ربابُ

تملّـكتَ رِقَّى والرِّقابُ عـــَـواتِقٌ وشُكرى، وهزّاتُ الكِرَامَ تُهـابُ

وأولَيتـَنِي ما لا يُحيطُ بذِكـــرِه كتابٌ ولا يأتـي عليه حِســـَـابُ

فَهَا أنا من بثِّ بشُكرِك ناهـــضٌ بأعباءِ قـَولٍ مَا علَّيهِ مـَـــعَابُ

وقد عرضتُ كتابهُ على المجلس المعمُور فقامت على مضمونه شواهدُ من جميل الرأي وحُسن الاعتقادِ، كفني مؤونة الإفاضة وموقف الإطالة، وصَدَرَ جوابُه بما يقفُ عليه، وأنا راعٍ ما استرعاني من عهده بالحضرة – أجلَّها الله – واستحفظَني من غيبه عِندً وليِّ النَّعمة – أطال اللهُ بقاءهُ - وإن كان عليهما من الأثرة والاختصاص عينٌ كالئة، ويدٌ حامية، وما أولاهُ – ادامَ اللهُ عزَهُ – بصلة نظام الوُدِّ بيننا بالمكاتبة والُمباسَطة "[1].

قراءة عامة.

١- عبر الشيرازي بجوابه عن شكره الناتج من خلال هدية أعطيت له.
٢- تحكَّم الشيرازي بمفردات الجواب دون الرجوع إلى مرؤوسيه .
٣- حدَّدَ الهدية المادية وهي الثلج.
٤- الإيجاز والاكتفاء بالكلمات القليلة من سمات مقدمة الجواب عنده.
٥- تضمين الجواب أبياتاً شعرية.
٦- كثرة الأدعية المستخدمة منها – أدامَ الله عزه – وأجلها الله – وأطال الله بقاءه.
٧- التملق الواضح لعضد الدولة بقوله:" وستحفظني من غيبه عند وليِّ النَّعمة "، ولا يولي النعمة غير الله سبحانه وتعالى.
٨- قلة العاطفة في جواب الشكر بخلاف ما وجدناه في كتب التعزية، والفرق كبير بين كتب التعزية والشكر.

([1]) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٧٤.

رابعاً: كتب الشفاعة.

والجمع شُفَعاء واسْتَشْفَعَ بفُلان على فلان ولا شَفَّع له إِليه فشَفَّعَه فيه وقال الفارسيّ : اسْتَشْفَعه طلَب منه الشَّفاعةَ أَي قال له كُنْ لي شافِعاً[1]، وفي التنزيل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾[2] .

وهو من المقاصد المهمة التي تناولتها المكاتبات الإخوانية، وجعل القلقشندي الأصل فيها "بأنها تصدر غالباً من ذوي المراتب، والأخطار، والمنازل، والأقدار، الذين يُتوسل بجاههم إلى نيل المطلوب ودرك الرغائب"[3].

ويقول غانم رضا جواد:" قد اتّسمَ اغلبُ هذا اللون من الإخوانيات بجمالِ الأداء، ودقةِ الصياغة، والتلطف في الخطاب لتبلغ الغاية، ولتؤثر في نفسِ المتشفع بهِ كما تميزت بالاقتضاب وعدمِ الإطالة"[4]، وقد أسماه الدروبي بـ (العناية) وحدد مفهوم هذا النوع من الإخوانيات بقوله " تلك الرسائل التي تكتب إلى ذوي الجاه بغية العناية بمن يحملها من أصحاب الحاجات والمنافع الخاصة "[5]، وعلى أي حال كان المصطلح قد طرأ عليه تطور بين العصر الأموي وبين العصر العباسي .

وكتب الشيرازي في هذا النوع شفاعة، وهي من الفرائد التي كتبها في أحد العمال والتوصية به وفيها " للأمير السيد ركن الدولة – أطال الله بقاءه، وحَرسَ نعماءهُ – في رعايةِ الحقُوقِ والذَمم، وحفظِ الخلف بذمَّة السَّلف من الخدم عادةُ تكفّلَ الله تعالى لهُ بها وعَرَّفهُ مَذاهِبَ الصَّنع والتّوفيق فيها، فاختَصَّته بشرفِ ثَناها، وبهجة حُلاها، ومقاسِم[6] الشكر، ومغانم الأجر عليها، ثم له في هذه الحال، إذا اجتمعت إلى رعايته عناية عبده، وكنفتها جهات الوسيلة ومُوجبات الانتساب إليه، خصائص إيجاب، وشوافع إنعام وعوائد كرم، وشواهد رأي، والله يطيل مُدَّته ويعمر بالمسار ساحته، ويجعل الأعمال صلةً لعزِّه والليل والنَّهار مطايا نحو أمله، بحوله وقُوته

---

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شفع).
(2) سورة النساء: الآية: ٨٥.
(3) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٩، ص١٤٩.
(4) الحسن، **الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي**، ص٣٠١.
(5) **الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ٢٨٨.
(6) مقاسم: جمع مقسم، النصيب، والحظ، ينظر الزبيدي، تاج العروس م جواهر القاموس، مادة(ق،س،م)

وممَّن اقتضَى أمرهُ هذه العِصَمَ القوية، والأذمَّة[١] المرعيّة : أبو فُلان، ولهُ إلى سَوالفِ الحَقِّ عليه بحرماتِ والدِه، وذمام والدَتِه في دولته – مَدَّ الله على الدُّنيا ظِلَّها – ونَشئِه في خدمتِه، وتربيَتِه في نِعمتِة التَّحقُّقُ بخدمَتي، والتصرُّفُ في كثيرٍ من مودّبي[٢] بأصبهانَ، وأنا أرغبُ إلى مولانا الأمير السّيد ركنِ الدُّولة – أطال اللهُ بقاءهُ – أن يمنَحَه جميلَ رأيِه، ويُفيضَ عليه ملابسَ اعتنائِه ويُحيلهُ بنَجوةٍ من قولِ القَادحين[٣].

وأذيَّة المُتَسوِّقين، وكلام الكاشِحين[٤]، ويتوخاهُ في مَقامِه بحضرتِه – أجَلَّها الله – وانصرافِه عنها بما يَبين على صفَحاتِ أمرِه أثرُه، ويعُمه حظُّهُ وشرَفُه، ويعتمدُه في خدمتِه، لما كان أبُوه ساعياً فيه، ومن إحسانه بما كان حظِياً به، ويُشرّفني بالإسعاف في جميع ما التمستُ لهذا الخادم، والإجابة إلى كلِّ ما اقتِرحتُ فإن رأى"[٥].

نص متوسط الطول وقد بدأت هذه الشفاعة بتقديم ركن الدولة على أنه راعي الحقوق، ويثني عليه وهذا أمر طبيعي من الكاتب أن يدخل ذلك المدخل في تعظيم ولاة الأمر، وإبراز الثقة فيهم على أنها تكون عادة من عادته في تحقيق العناية، وقد أثنى على الأمير بعبارات المدح .

ويبدو أن صاحب الحاجة كان من أسرة خدمت الديوان الملكي، ويقترح الكاتب أن يمنحه ويُكثر عليه الأعطيات في تبسيط وإطناب، وميل نحو التكثيف والإيجازالبليغ أمام ركن الدولة في هذه الشفاعة، حتى لا تتداركه أيدي المعيبين، وكلام أعداءه المبغضين، وقد برز الكاتب في تحديد حاجة هذا الشخص إلى عطف ركن الدولة، ونجح في الخاتمة بتشريفه في إبراز مدى اهتمامه في تحقيق تلك الحاجة بدون تسمية صاحبها.

---

(١) جمع الذمام وهو العهد والأمان والكفالة والحق والحُرمة **معجم الوسيط** باب (الذال) .
(٢) يقول الأستاذ يونس عبد العال بهذه اللفظة جاءت في المخطوط وهذا اللفظ ليس له معنى ينظر: عبد العال **رسائل عبد العزيز بن يوسف** ص ٥٠٩ .
(٣) القادح: العفن ينظر: **معجم الوسيط**، باب (القاف).
(٤) مفردها كاشح وهو العدوُّ الذي يضمر عداوته والمكشاحِ:الفأس، ينظر: ابن منظور **لسان العرب** مادة (كشح) .
(٥) الشيرازي، رسائل الشيرازي، ص ١٥٢

المطلب الثاني

الرسائل الأدبية وقيمتها الفنية.

تعتبر الرسائل الأدبية من أنواع النثر المهمة، وتأتي أهميتها من جمهورها الواسع، حيث يتبادلها النخبة من الناس المثقفين سواء كانوا من ذوي الطبقة الخاصة – الرؤساء والوزراء وغيرهم – أم من طبقة الأدباء الكتاب – كتاب الدواوين وأظرابهم – أم من العلماء والأدباء والقضاة وغيرهم من فئات الطبقة العامة.

لقد تميزت الرسائل الأدبية في القرن الرابع الهجري بصورة جعلت من تلك الرسائل تنافس الشعراء في أغراضه الأدبية كالمدح، والرثاء، والوصف، وعلق غانم جواد على تلك الرسائل بقوله: " ان الرسائل الأدبية في هذا القرن، طفقت تأخذ شهرة واسعة، حتى بدأت تزاحم الشعر وتلج أبوابه وبعض أغراضه، وتنوب عنه في طرق كثيرة من ميادينه المختلفة "[١].

إلا أن محمد محمود الدروبي له وجهة نظر أخرى بقوله: " لم يكن يعني تماما أن الكُتاب جاروا الشعراء في طرائقهم الفنية، فثمة اختلاف جوهري في الرؤى والأساليب، إذ إن طبيعة الشكل الشعري المقيد بالقيود الصارمة، كالأوزان والقوافي، لا تتيح للشاعر أن يفضي بكل ما لديه"[٢].

ويرى الباحث الاتفاق مع رؤية الدروبي لأن الشعر له قوانين الخاصة به، كما أن للنثر قوانينه، إلا أن أغراض الشعر قد تجلت أغلبها في النثر، خصوصاً في القرن الرابع الهجري على يد أفضل كتَّاب هذا القرن، وفي مقدمتهم أبو الفضل بن العميد، وأبو القاسم الصاحب بن عباد، وأبو أسحاق الصابي، وهذا ما سنبينه في رسائل الشيرازي الأدبية التي تبادلها مع هؤلاء الأدباء مع بيان موضوعاتها والقيمة الفنية لتلك الرسائل.

أولاً- كتب المجاملات والتقريظ[٣].

وهذه الرسائل التي يكتبها الأدباء لزملائهم وأصدقائهم أو لرؤسائهم بمناسبة تأليف كتاب أو تهنئة بقضية ما، وفيها يضفي منشئ الرسالة صفات المدح والثناء على الأديب، ويجد الباحث

([١]) ينظر: الحسن، **الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري**، ص٢٥٨.
([٢]) الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي** ص٣٦١.
([٣]) التقريظ: مدح الأنسان الحي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت:٧٦٨هـ)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط١) ١٩٩٧م، ج٢، ص٢١٧، والفرق بينه وبين المدح أن المدح يكون للحي والميت والتقريظ لا يكون إلا للحي، العسكري، **الفروق اللغوية**، ص٥١.

في هذه الرسائل مبالغةً في عبارات المجاملة ونعوت التكريم والتعظيم، ويكثر فيها الاقتباس من القرآن الكريم وأشعار العرب.

وقد تبين أن أغلب كتاب القرن الرابع هم من الوزراء أو عاشوا في كنف أمرائهم ووزرائهم، لذلك يرى الباحث أن مسألة التودد والتوسل إليهم، والتقرب من مجالسهم أمرٌ بدهي لا غرابة فيه، لنيل رضاهم وكسب ثقتهم والحصول على مرادهم من خلال كتاباتهم، والسبيل إلى ذلك هو المدح والثناء.

ولم تقتصرمدائح الشيرازي على أمراء بني بويه من السلطة الحاكمة، بل تعدَّت إلى الأدباء والكتاب، وقد دلت تلك الكتب على أعجابه ببلاغة وروعة أقلام وإلسنة معاصريه، ومنهم الصاحب بن عباد، من خلال مجموعة من الرسائل تبين الود والاحترام الذي كنه إليهم، كما مر بنا سابقاً حيث خصه بعدد من الكتب اغلبها تدل على المشاعر الصادقة والنبيلة، ونعته بالقاب كثيرة وسنقف على واحدة من هذه الرسائل لنبين الأمر والسمات وقيمتها الفنية.

" وَصَلَ كتابُ الأستاذِ بالتّشريف الذي تعوَّد السّرَفَ في بذلِه، وعوَّد عَبدَهُ الُمسامحة في حقِّه، وفهمتُه، وقررتُ عيناً بتظاهر النعمة لا عليه في السلامة والكفاية، وإقبال النماء والزيادة، ورغبتُ إلىالله في حِراسة ما أولاه من فضله وأولانيه من جميلِ رأيه، وتأملتُ ما نحلنيه، وحلاَّني به، وكدتُ- يعلمُ الله- أزهى وأنحى[1] وأشر وأطغى[2] وأجهلُ موضع قدمي، ومرمى همي، والغايةُ التي يقفُ عليها مثلي، إذا غرَّ من نفسه، وأوفى به على قدره .

ولولا ما تناءى عنه من المعرفة بمذهب سيّدنا في إسناء[3] المنائح واصلاً ومادحاً وأنَّه - أدام الله عزه- أراد أن يُشرِّفَ بمحاسنِ وصفهِ، وهذه نعمةٌ عظيمةٌ، ولكن من أين أشكرها؟ وكيف لي بحقها، وأعوانُ الصدقِ عليها، وقد حسرني ما دونها، وصغُرَ عنها في قدرها، ولئن عجزتُ فالله مليٌّ بالمقابلةِ، ومُجيبٌ فيهِ صالح الدعوة، وهو المسؤول المرغوب إليه في توفيقي من خدمته لما أقضي به حقَّ أدائي نعمته، فأمَّا أقاصيها فمما لا أستطيعُ عدَّها، ولا أطمعُ في حدِّها، فضلاً عن الإشغال بحقها .قد كان ورد لمولاي أدام الله عزه (من الطويل):

---

(1) يقال زهى فلان أو نخى: كلاهما بمعنى افتخر وتعظم وتكبر، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة زهى .
(2) اشر: معناه في كلام العرب البَطِر يقال قد أشر الرجل يأشَر أَشَراً إذا بَطِرَ، الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٢ط(١) ج١، ص٣٢٤ (اطغى) : اجاوز الحد المقبول، ينظر الوسيط (حرف الطاء) ج٢، ص٥٥٨.
(3) أسنى القوم إذا لبثوا في موضع سنة، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (اسن) .

كتابٌ لو انَّ الليل يرمي بِمِـــثْله لألقت يَداً في حُجرتيهِ ذُكـاءُ[1]

تهادى بأبكارِ المعاني وعونِهـــا وأعيـــان لفظٍ ما لهنَّ كِفـــاءُ

شـــــــوارِدُ إلاّ أنهُنَّ أوالـــفٌ[2] ضَرائِرُ إلاّ أنـــهنَّ ســـَـــواءُ

ألبستُ بها نُعمى وألبستُ الُربى[3] خمـائلُ روضٍ جادهن سمـاءُ

بنانُ ابن عبَّاد تعـــلَّيـنَ نـــوءَهُ وما صوبُه إلاّ حـــياً وحيـاءُ[4]

وثُلاثُةُ كُتبٍ تناظرت في الحُسنِ والإحسان، وتَقَابلت في البرِّ والإنعام، فأثنيتُ باليَدِ في الجميع، لفوتها يدُ الشُّكر، وقبضها عِنان القول، وكنفَتُ الثناء بالدُّعاء، ونقيصةَ العجزِ بالنيَّة في الوفاء، لازالت أياديهِ قلائدَ الأعناق، ومراميه مضامير السباق، ولا انفكت عينُ الله حاميةً لهُ، وكافلةً به بحولِهِ وقُوتِه[5].

قراءة عامة:

في ضوء ما سبق بذلك النص الذي يشبه النص الشعري في المدح، فقد حشد الشيرازي عبارات المدح والثناء والتكريم، ورفع من مقام الممدوح عالياً، وقارن نفسه به فحطَّ منه وذلك في استخدامه صيغة التفضيل أفعل يقول مقسماً كلامه قاصداً نفسه: " أنحى، أشر، أطغى، أجهل " أمَّا الصاحب فقد كان " متسامحاً، متفضلاً، كريماً، مسؤولاً، مرغوباً" وأنَّه قد أغدقه بكرمه ورأيه "أولانيه، نحلنيه" راسماً بذلك صورة رائعة تدل على الكرم والعفو وذلك عندما استعار للشكر يداً " يد الشكر" وللقول عناناً " عنان القول "، وكنَّى عن كرمه بقوله: " لازالت أياديه قلائد الأعناق، ومراميه مضامير السباق "، ويبدو أنَّ الشيرازي أراد أكبر قدرٍ ممكن من الأفعال التي تدل على البذل كي يضفيها إلى ممدوحه، وعندما نتتبع النص نجد أفعال السخاء قد وردت بكثرة " أسرف، بذل، أولى، زاد، أثنى، ألبس، كفى " إضافة إلى الأسماء والمصادر والمشتقات والعبارات التي تدل على كرم الصاحب .

([1]) الحجرة: الناحية - ذُكاء: الشمس، ويقال للصُّبْح ابنُ ذكاء لأَنه من ضَوْئها، ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ذكُاءَ).

([2]) الشوارد: القصائد السائرة في البلاد، وشوارد اللغة غرائبها ونوادرها - أوالف : جمع أليف، ومنه أوالف الطير، الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**: مادة (أ ل ف).

([3]) الربى : الأرض المرتفعة، الفراهيدي، **كتاب العين**: باب (الراء، والباء) ٨/ ٢٨٣.

([4]) النوء : النجم مال للغيب ،وقال بعضهم:لا يكون نوء حتى يكون معه مطر، والا فلا نوء – الصوب: نزول المطر – الحيا : الخصب، ابن منظور، **السان العرب** مادة (نوأ ، و صوب ، و حيا).

([5]) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص ١١٧ – ١١٨.

النص مكتملٌ، اعتنى باللفظ جيداً بيد أنه لم يقدمه على المعنى الذي يروم به مدح الصاحب ومجاملته، مقدمةً وتخلصاً وغرضاً وخاتمةً، واهتم بالجملة الفعلية، حيث رسم صورةً للكرم باستخدامه البيان، وزيَّن النص بأبيات من الشعر، فالنص متوسط الطول إلاَّ أنَّه أسرف في عبارات المدح مما زادت عن حدها الذي يجب أن تتناسب مع النص، ويبدو أنَّ الشيرازي عفويٌ فطريٌ في نهجه متمكن من لغته، فنجدُ أنَّ سمتي السهولة والوضوح قد لازمتاه في كل كتبه، فلا غموض أو تعقيد في نصوصه إضافة إلى تنويعه في الكتابة باستخدامه الجمل الاسمية والفعلية وأشباه الجمل والمشتقات والمصادر.

ثانياً- كتب الوجد والشوق.

الوجد: الحزن[١]، ويُقال المحبة، وجد بفلانة وجداً شديدً: إذا أحبها[٢] واصطلاحاً: ما يُصادف القلب ويردُ عليه بلا تكلف وتصنع وقيل هو بروق تلمع ثم تخمد سريعا"[٣] ، وعند ابن قتيبة بمعنى الحزن كذلك " فشكا شدة الوجد وألم الفراق[٤].

وفي هذه الكتب يصف الكاتب مشاعره وأشواقه تجاه من يحب ويهوى وهي" تختص بالتعبير عما يكابده الكاتب من تلهف القلوب ونزاعها إلى لقاء الإخوان والاحبة، ولا سيما من نأى به المكان عن صديقه، أو ضاق به الزمان عن الأنس بصاحبه"[٥].

وقد حرص الأدباء في هذا النوع من الرسائل الأدبية على إظهار حنينهم ولوعتهم لطول فراق، ولا بد من التأنق في صياغة الألفاظ والتراكيب، وانتقائها، والعناية الفائقة برصف الجمل، وبنائها فضلا عن الإيجاز والاختصار وعدم الأطناب والإكثار.

وهذا ما ذكر القلقشندي بقوله:" وينبغي للكاتب أن يجمع لها فكره ويظهر فيها صناعته، ويأخذ في نظمها مأخذاً من اللطافة والرقة يدل على تمازج الأرواح وائتلاف القلوب، وأن يستخدم

---

(١) الفراهيدي، **العين** : باب (الجيم ، الواو ، الدال)

(٢) الحميري، نشوان بن سعيد(ت ٥٧٣هـ)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق: حسين عبدالله العمري، مطهر بن علي الإرياني ، يوسف محمد عبدالله، دار الفكر ، دمشق ، ط(١) ،١٩٩٩م ج١١/ ٧٠٧٨.

(٣) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط(١) ١٤٠٥هـ ، ص٣٢٣.

(٤) الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت :٢٧٦هـ)، **الشعر والشعراء**، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣،ج١، ص٧٦.

(٥) ينظر: الدوربي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص٨٠ .

لها أعذب لفظ وألطف معنى ويذهب فيها مذهب الإيجاز والاختصار ويعدل عن سبل الإطناب والإكثار"[١].

وقد وثقت الرسائل جانباً من الأشواق والعلاقات ما بين الشيرازي والأدباء، فعلى سبيل المثال ما كتبه للصاحب في الشوق والود إليه وهذا نصه" كتابي- أطال الله بقاء مولاي الصاحب- وأنا كالسُّلوب[٢]، الرائم تفلُّتاً إليه، وتلفُّتاً إلى حظي كأنه بقربه، ووحشةً لما أفاتتنيه الأيام بعد الأفادة، ونازعتنيه غبَّ الإعادة، من مشاهدة حضرته مُجتلياً بها شخصُ الكرم ماثلاً، ولسانُ الأدب قائلاً، وجمالُ الزمان متحلياً، وكوكب الدنيا متوقداً، وإلى اللهِ أشكو صنيع البين كما كنت أشكر والشمل جميع، ومرتعُ الأملِ مَرِيع[٣] وظلُّ النعمِ ظليل، وجنات الأنس مأهول..

ما أقدرَ الله أن يُدني على شحطٍ من داره الحزن ممن داره صُولُ[٤].

وفي هذه الساعة نزل مولانا الملك المعسكر الذي يؤدي إلى قومس[٥] مكنوفاً بالسلامة والسعادة، تامَّ النشاطِ والغبطة، لولا ما أسار بهِ الفرقة، فإنَّ آثارَ ذلك بادية عليه، وشواهده ناطقةٌ عنه، والله يطيلُ بقاءه وبقاء الأمير مؤيَّد الدولة أدام الله تأييده ويُديمُ أيَّامهما، ويحرسُ سلطانهما، ويُمتعُ بعضاً ببعض في مزيدٍ من العزِ، ونماء من الملك، وملك الشرقِ والغربِ بمنهِ وقدرته . وكتابي يَصدرُ من كلِّ منزلٍ بما يَمنحُ اللهُ من السلامةِ والكفايةِ، ويُلقِّي مولانا- كبت الله أعداءه- من أسباب العزِّ والنعمة، وكان فإن رأى"[٦].

قراءة عامة:

يبدو أنَّ الشيرازي قد أصابَ غرضه، فقد قدَّم اللفظ على المعنى وأهتم به كثيراً، وهذا ما لاحظناه فيما سبق من الرسائل، إذ إنَّ الاهتمام يكون في اللفظ على حساب المعنى، اهتم الشيرازي في البديع اهتماماً جيداً، فنجدُ براعة الاستهلال " وذلك في قوله: " أطال الله بقاء مولاي الصاحب وأنا كالسَّلوب الرائم تفلتاً إليه وتلفتاً إلى قوله ... حظي كأنَّه بقربه"، كما ونجد

---

(١) القلقشندي ، **صبح الأعشى**، ج٩، ص١٤٤.
(٢) السلوب: الناقة إذا ألقت ولدها قبل تمامه فليس الفحل على شيءٍ هو أحرصُ منه ينظر الشيباني أبو عمرو إسحاق بن مرّار (ت : ٢٠٦هـ) ، **الجيم** ، تحقيق: إبراهيم الأبياري، راجعه : محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٤، باب الميم، ٣/ ٢٥٣.
(٣) مريع: المكان إذا أخصب يسمى مريع، **جمهرة اللغة**: مادة، (ريع)
(٤) بيت من قصيدة، لحندج بن حندج المرّي، **الامالي في لغة العرب**، أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم، بن عيذون بن هارون بن عيسى، بن محمد بن سلمان (ت٣٥٦هـ)،اعتناء وترتيب محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٢٦، ٩٩/١.
(٥) قومس: تعريب كومس في سفوح جبال طبرستان، جنوبي بحر قزوين، وقصبتها دامغان، الحموي، **معجم البلدان** :ج٤، ص٤١٤ .
(٦) الشيرازي ، **رسائل الشيرازي**، ص١٥٠.

الجناس في قوله : " تفلتاً وتلفتاً، مرتع ومريع، ظل وظليل، أدام ويديم " وطباق في قوله : " أشكو وأشكر، شرق وغرب، وحشة وأنس " وسَّجع في قوله : " أفاتتنيه و نازعتنيه، إعادة إفادة، أيامها وسلطانها " والإشارة إلى العامل المكاني والتوثيقي كانت حاضرة، كما لم ينسَ أن يُرصّعَ رسالته ببيتٍ من الشعر يصف فيه حالة الحزن التي يمرُّ بها نتيجة البعد عن الصاحب، لينتهي بعد ذلك إلى ختم كتابه بدعاء قد وجههُ للمرسل إليه، لذا يبدو أن هذا الكتاب يشير إلى أن الشيرازي قد اعتنى به جيداً وربما يعود السبب إلى أنَّ المرسل إليه هو زعيم الكتابة في تلك المرحلة.

ثالثاً ـ كتب الشكوى والاستعطاف.

(شكا) شكا الرجلُ أَمْرَه يشْكُو شَكْواً على فَعْلاً، وشَكْوى على فَعْلى، وشكوتُ فلاناً أشكوه شَكوى وفي التنزيلقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ وفي الحديث شَكَوْنا إلى الرسول ﷺ حَرَّ الرَّمْض[1].

وتأتي رسالة الشكوى قريبة من الاستجداء، وتتسم بالبراعة في صياغة المعاني والوضوح في أحوال أطراف الرسالة، وقد أكد القلقشندي ذلك قائلاً: " أن تكون مبنية من صفة الحال المشكية على ما يوجب المشاركة فيها، ويقضي بالمساعدة إن استدعيت عليها من غير إغراق يفضي إلى تظليم الأقدار، وإحباط الأجر، وشكوى المبتلي بالخير والشر سبحانه تعالى، ويدل على التهالك بالجزع وضعف التماسك وقوة الهلع باستيلاء القنوط والإياس، وأن يشفع الشكوى بذكر الثقة بالله سبحانه والتسليم إليه والرضا بأحكامه وتوقع الفرج من عنده"[2].

ومجالات الشكوى كثيرةً في القرن الرابع الهجري، فقد تكون شكوى من ظالم، أو شكوى من الفقر وعسر الحال، أو شكوى من المرض أو الزمان ، ولأن دواعي الشكوى كثيرة ومتعددة، وجب على الكّتاب أن يدققوا الألفاظ وينسقوها، ويهتموا بمعانيها من أجل أن يسترقَّوا مشاعر وعواطف وأحاسيس المسؤولين، حتى ينظروا إلى حالتهم ويسمعوا شكواهم[3]

([1]) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شكا).
([2]) القلقشندي، **صبح الأعشى**، (ج ٩، ص ١٧٤).
([3]) ينظر: حماد، **فن الرسائل في القرن الرابع الهجري**، ص٩٤.

والشكوى:- هي من الأغراض الاجتماعية التي كتب فيها أغلب الكتاب؛ للتخفيف مما يعانونه من وطأة الحياة، ونزول نوائب الدهر، فإذا هم يصدرون آهاتهم بكلمات تحمل مرارة البلوى وشدة الحزن[١].

بينما ذهب محمد محمود الدروبي في تعريفها بعبارةٍ تكاد تكون أكثردقةٍ من التعريف السابق بقوله: هي التي تعبرعن حالة التصدع والتوجع التي تعانيها النفس الإنسانية حين تقرعها النوازل وتحيف عليها الأيام بجورها ولم يكن الكتَّاب معزولين عن التعرض لما يسبب لهم الألم والضيق[٢].

وربما لا أبالغ بالقول إذا قلت إن تعريف الدروبي أوسع من غيره، فهو لم يقتصر على الشكوى بين الأدباء، بل شمل النفس الإنسانية جميعاً، في حين ذهب خالد الحلبوني في تعريفها السابق بأنها تقتصرعلى الأدباء وما يحملونه من شكوى.

والدليل على ذلك فيما ذهب إليه غانم رضا جواد من شيوع هذه الظاهرة لتعم طبقات المجتمع كاملة بقوله:" لقد شاعت ظاهرة الشكوى والاستعطاف كثيراً في القرن الرابع نتيجة لاضطراب الأحوال السياسية والاجتماعية، وتردي الأوضاع الاقتصادية، وما نجم عن كل ذلك من تباين كبير وواضح في المستوى المعاشي والاجتماعي بين طبقات المجتمع الإسلامي وفئاته المختلفة، فضلاً عما تعرض له الكثير من رعايا الدولة الإسلامية – ومنهم الأدباء والعلماء – من ضروب المحن والنكبات، وما لقيه بعضهم من ألوان الفقر والبؤس والجور والحرمان"[٣].

لقد كتب الشيرازي في الشكوى والاستعطاف، لكنه لم يكتب عن شكايته بل أغلب ما كتبه تعبر عن شكاوى معاصريه، وعلى وجه الخصوص أبي إسحاق الصابي، نستطيع أن نستنتج من ذلك الحالة المادية التي كان عليها الشيرازي، فيما يخص شكوى العسر وفقر الحال، ربما منزلته قرب عضد الدولة والأمراء جعلته مترفاً بنعيم أهل القصور.

وإشارة إلى ما ذكره الباحث في مكاتبات الشيرازي في الشكوى إلى ما كتبه عن الصابي في شكواه من الزمان الذي أجحفه حقه وإعراضه عنه، ومما داهمته نوازل الدهر في ورطته مع

---

(١) الحلبوني خالد، **الرسائل النثرية الشخصية في العر العباسي** ، مجلة جامعة دمشق – المجلد ٢٥، العدد الأول والثاني ، ٢٠٠٩ م ، ص٥٧ .
(٢) ينظر: الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص٣٤٢ .
(٣) ينظر: الحسن، **الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة** ، ص٢٦٧.

عضد الدولة في رقعةٍ إلى أبي سهيل سعيد بن الفضل[١]، وهو يصف هذه المحنة بالنكبة، ومرةً يصفها بالكبوة قد جاء فيها: " وقفت يا سيدي – أطال اللهُ بقاءك – على رُقعةِ سَيّدي أبي إسحاق إليك بوصف ما دُفِعَ إليه ومُنيَ به، وما تلقاهُ الأيامُ به منَ العتبِ، وما تنقُلُه فيه من ضُروب المِحَن وتزويه عنه من الحظوظ، وتبخُسُه إيَّاهُ من الحُقوق، وتجري عليه في معامَلتِها إيَّاهُ من عادة الُمناكرة، وشيمة الُمسالَبة، حتى كان ما يعتاده من نكبةٍ ويلحقه من عثار وكبوة، شرطا ماخوذاً وعهداً منبوذاً ورسماً لا يُضيعُهُ إلا مُليم"[٢].

وفي ثنايا رسالته الطويلة نسبياً يلج الشيرازي في الموضوع، ليبين إعراض الزمان عن الصابيَّ، وما وقع من ظلم وحيف عليه، ليصب جام غضبه على الدهر بقوله: " لعمري لقد لجَّ الزَّمانُ في الإعراض عنهُ، والإيثار عليه والإجحاف به لمن هو أعلى منه قدماً في الفضل وأَنْوَهُ[٣] في العلم، وصار يُنَفَّرُ منه الكرامَ كما يُغري به اللَّئام ويَصُدُّ عنه الأفاضل كما ينُصُر عنهُ الأراذل[٤]" [٥].

وقد أخذ الشيرازي يصور نائبات الدهر أكثر بالتفصيل في تلك المسالة، فأعطى جانبا من النتائج التي تغيرت في ارتفاع منزلة الخسيس من الناس، وإن الزمن لجدير بتغيير تلك المنزلة وهو مع كل ذلك لا يعاتب الزمن على التغيَّر، كونه غير ميؤوس منه " وإنَّ زماناً يُرتكَبُ هذا مِن مِثله اللئيم وبالمقت من كل حر لجدير، وليست عتباه مع هذا الحال من العناد بمأيوس منها ولا مسلو عنها فأن المعهود من أفعاله، والمعلوم من أحواله، أنه على لؤمه يعُقُّ ويبَرُّ ويصعُبُ ويلين"[٦].

ويسترسل الكاتب ليصرِّح باسم الصابيَّ، وينعته بمرتبةٍ أعلى منه بـ (مولاي) ؛ ليخفف عنه الأزمة محاولة من الكاتب في هذا الوصف في إعادة الوضع الطبيعي للصابيَّ، وأن لا يكثر من ذم الدهر، وإن الأزمة التي ألمت به سوف تنحسر، وإن الكاتب قد شاركه في محنته بقلب سليم، حتى يهون عليه من أوجاعه، ويعتذر في نفس الوقت عن التقصير نظراً لما بينهم من المودة.

---

(١) احد كتاب عضد الدولة وصاحب الشيرازي حيث ورد اسمه في احد رسائل الشيرازي " وقد كتب أبو سهل صاحبنا " ينظر الثامري، **رسائل الشيرازي** ص١٣.
(٢) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص ١١٩.
(٣) أنوه بمعنى أعلى وأقوى، وناه الشيء ينوه :ارتفع وعلا، وناهت نفسيب معنى قويت ينظر أبن منظور، **لسان العرب** مادة (نوه) .
(٤) الأراذل **جمع** ، وهو الدون الخسيس ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (رذل).
(٥) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص١١٩.
(٦) نفس المصدر، ص١١٩.

وجاء فيها "والذي عليه حالي في الوقت من مُشاركته في المساءةِ والأمل الوَكيدِ في تَفَضُّل الله الكريم بالإدالة، يخفف من الوصب[1]، ويأخذ من سَوْرَةِ الألم، وكما أرجو انحسار الغُمّة، وانكشاف المحنة، فإني أرجو له الَخَلفَ السَّني من المسلُوب، والعَوضَ الهَنيَّ من المفقُود، وأُريدُ أن يُعرّفهُ مُشاركتي ومُساهمتي وتصرُّفي بالنيَّة والقلب معه في كلِّ حال، ويعتَذِرَ إليه عَنّي ممَّا لعلّه أقصُرُ عنه فعلاً، وأبخس فيه حقاً، ويعرفني أخباره، وما يفضي إليه أمره في كل وقت، إن شاء الله تعالى"[2].

لقد ابدع الشيرازي في نقل شكوى واحد من أفضل الأدباء في صناعتي النظم والنثر، وقد وصفه الثعالبي في اليتيمة " بأنه أوحد العراق في البلاغة ومن به تشنى الخناصر في الكتابة "[3]، وبهذا نستدل على طريقة التعبير عند الشيرازي في توظيف الألفاظ وطريقة اختيارها وتفصيلها على معاني الشكوى، ومنها "عادة المناكرة "، و " وشيمة المسالبة "، و "الإعراض عنه، والأيثار عليه والأجحاف به"، و" ويخفف من الوصب"، و" انحسار الغمة"، و " انكشاف المحنة" وكذلك ابتعد الشيرازي بالنص عن موضوع التكلف والتعقيد، وأختار العبارات السهلة، غير أن الألفاظ الغريبة كانت تحضر في بعض جوانب رسالته منها "بضربة لازب"، و" المساءة ".

إن الرسائل الشخصية عند الشيرازي بفرعيها الإخوانية والأدبية دلت على تقدم هذا الفن في هذه الحقبة الزمنية، وتشير إلى غاية الشيرازي منها إلى التعبيرعن الوسط الاجتماعي، وما يدور بين الناس من موضوعات مهمة، مما يؤكد لنا التطور الكبير الذي طرأ على الرسائل الشخصية قياساً عما كانت عليه في العهود السابقة، واستطاع الشيرازي أن يقدم من خلال رسائله صورةً عن عصره ومجتمعه، وعلاقات الأفراد فيما بينهم وعلاقة الأدباء مع بعضهم .

وامتازت تلك الرسائل بتغطية الموضوعات التي شملت معظم طبقات المجتمع من الأسر الحاكمة في تقديم التهاني، والتعازي، والإهداء، والشكر، والتقريظ، والمجاملات، والشكوى، والاستعطاف، إلا أنها خلت من كتب الاعتذار، ولم تقتصر رسائله على البيت البويهي بل شملت طبقات معينة من أفراد المجتمع .

واستطاع الشيرازي أن يدرك أبعاد الرسائل الشخصية وينفذ إلى صميمها - على الرغم من أنه لم يكتبها عن تجارب ذاتية خاصة به - من خلال ما عبر في مستوياتها العالية غير

([1]) الوصب : الوَجَعُ والمرضُ والجمع أَوْصابٌ ، ابن منظور، **لسان العرب** مادة (وصب).
([2]) الثامري، **رسائل الشيرازي**، (ص١٢٠).
([3]) الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، (ج ٢، ص ٢٨٧).

المتدنية في اختيار اللفظ، وتحري المعنى، والصدق الفني، والمبالغة في المدح، وهو بذلك يحقق غاية التأثير في نفوس متلقيها .

ويرى الباحث أن الرسائل في هذه الحقبة الزمنية، التي شهدت تطوراً في موضوعاتها كالمديح، والفخر، والهجاء، والتهنئة، والتي كانت محصورة ضمن دائرة الشعر في العصورالسابقة، والتي وقف الدارسون أمامها مدة طويلة، قد عالجها الشيرازي في هذه شأنه شأن الكتَّاب الأخرين نثراً، وأصبح الشيرازي جليس سمر عند عضد الدولة كما كان الشعراء سابقاً، وليس رئيس ديوان وكاتب رسائل فحسب.

وبهذا نكون قد أنهينا الحديث عن موضوعات الرسائل الشخصية وأغراضها المتعددة الكثيرة، والتي كتب فيها الشيرازي وأجاد وابدع حتى حلت محل الأغراض الشعرية، لننتقل بعد ذلك إلى أهم السمات الفنية في رسائل الشيرازي في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

الفـــصل الثـــــاني

الـــــدراســـة الـــــفـــنـــية

- **المبـــحـــــث الأول : التركيـــب**

١. المطلب الأول : البناء الخارجي

٢. المطلب الثاني : اللغة والاسلوب

.....

- **المـــبحث الـــثاني: الـــبديـــع**

١. السجع.

٢. الجناس.

٣. التكرار.

٤. الطباق والمقابلة.

٥. التقسيم.

.....

- **المبحث الثالث: الدلالة والصورة.**

١. المطلب الأول: الدلالة.

٢. المطلب الثاني: الصورة.

المبحث الأول : التركيب.

المطلب الأول: البناء الخارجي.

أ: العنوان:

يعد العنوان العنصر الأساس في النص النثري، إذ يعكس اتجاه الأديب في كتاباته فهو المفتاح الذي يتصرف بالنص من خلال الترابط المتوازن بينهما مما يكون له صلة مباشرة بالكاتب والقارئ لإنجاح العملية الإبداعية[١].

فالعنوان دليل وبيان، يجعل المراسلة منعقدة الأطراف، واضحة الوجه، كما هو شأن ما يكتب في أيامنا هذه على ظهور المغلفات البريدية ووجوهها، وغني عن القول أن ذكر العنوان قد يكون مصدر إعلام بشان المرسل وتعريف مكانته[٢].

وقد حدد رومان ياكبسون وظائف العنوان من خلال الاعتماد على وظائف اللغة، فتبين أن للعنوان وظيفة انفعالية، ومرجعية، وانتباهية، وجمالية[٣]، ويمكن تحديد ثلاث وظائف للعنوان[٤].

١- **تعيين النص.**
٢- **تحديد المضمون.**
٣- **التأثير في الجمهور.**

تكشف الوظائف المحددة أعلاه عن تحديد دلالة العنوان بوصفه عنصراً مهماً في النص، حيث استطاع الكُتّاب أن يعبروا عن أفكارهم الشخصية وتجاربهم المستمدة من الواقع عن طريق الربط بين العنوان والنص، كذلك وظفوا العنوان ضمن هذه الاتجاه عن طريق اللغة التي مثلت تعبيرهم الذاتي والذي عكس ما أرادوا أن يوحوا به من خلال نصوصهم.

ومهما يكن للعنوان من أهمية إلا أن بعض رسائل الشيرازي بفرعيها الديوانية والإخوانية قد خلت من العناوين، ولا يمكن أن أعزو هذه الظاهرة إلى التطور في الرسائل في هذا العصر، بل يمكن القول بأنها سقطت أو أهملت من ناقليها. وهذا ما ذكره الأستاذ محمد يونس عبد العال في تحقيق رسائله بقوله: " ومن المرجح أنه نقل من نسخةٍ من مخطوط ناقص، ضاع منه بعض

---

(١) ينظر:جرجيس، محمد صالح رشيد ، **المقالة الأدبية في أدب احمد أمين**، أطروحة دكتوراه :ص ١٥٥.
(٢) الدروبي، **الرسائل الفني في العصر العباسي**، ص٤٥٨.
(٣) رومان، ياكبسون، **قضايا الشعرية**، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، (ط١)، ١٩٩٨م، ص٣٣.
(٤) الطالب، عمر محمد، **مفهوم الرواية السيرية**، مجلة صوت، العدد ١ لسنة ١٩٩٧، ص٢١.

أوراقه، فاختلت صفحاته، ولم يستطع الناسخ أن يقوَّم أوده ويرتِّب أوراقه على الوجه الصحيح، وربما كان ذلك الاختلال أو النقص البادي في المخطوط الذي بين أيدينا قد حدث بعد أن أتم ناسخه عمله، ثم فقدت بعض أوراقه في أثناء رحلته طويلة مع متملكيه وفي خزائن الكتب المختلفة في الشرق والغرب"[١].

ومن خلال التقصي عن الرسائل عرفنا أن أغلب الرسائل معنونة، بسبب تعاقب اثنين من أكبر جهابذة التحقيق هما: محمد يونس عبد العال، وإحسان ذنون الثامري، وأمَّا الرسائل التي خلت من العنوان فكان باستطاعتنا أن نعنونها من سياقها على حسبِ دلالتها.

وقد جرت العادة فيما يأتي من العنوان في مراسلات الشيرازي أن يتوسط العنوان وسط الصفحة بحجم مساوي لسائر الرسالة، وبخط عربي واضح كما في الرسالة الأولى فبعد البسملة والاستعانة يذكر عنوان الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

نسخة الكتاب المنشأ بعقب

العبور في كلويذان[٢]

أو كتاب عهد إلى عابد بن علي

حين قلد الخبر والبريد[٣]

وهكذا في بقية الرسائل، لم يهتم الشيرازي بالعنوان فأغلب العناوين جاءت طويلة لا جمال فيها مما يلفت النظر، وإذا تشابهت رسالتان فإنَّه لا يُعنون الثانية حتى يقول:أخر في هذا المعنى أو أخرُ بفتح كذا أو فصل أخر أو نسخة أخرى في المعنى السابق، إذن لم تكن هناك علامة فارقة أو مميزة للعنوان كما لم يُحبذ الكاتب التكرار، ولهذا السبب كانت صفة الغموض في بعض رسائل الشيرازي واضحة وجلية خصوصا في الرسائل الإخوانية، ومثال ذلك "جواب يشكر فيه من أهدى

---

(١) عبد العال، **رسائل عبد العزيز بن يوسف**، ص١٦٢، وكلويذان:هو طسّوج قرب مدينة السلام بغداد في الجانب الشرقي يسمى "كلواذى" ينظر معجم البلدان ،ج٤،ص٤٤٧

(٢) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٦٢.

إليه ثلجا"[1]، على عكس ما نجد في الرسائل الديوانية كتب الفتح مثلاً فأغلبها معنونه مع ذكر أماكن البلدان المفتوحة .

ويعلل الدروبي ذلك بقوله :" ويبدو أن طبيعة الرسالة الإخوانية ذات الصبغة الخاصة، لم تجعل ثمة ما يدعو إلى إيراد العنوان على النحو الذي كانت عليه الرسائل الديوانية ذات المنحى الرسمي، ولعل السبب يرجع إلى طبيعة الصلة الحميمة المنعقدة بين طرفي الترسل في الرسائل الإخوانية، وهذه الصلة الوثيقة تجعل ذكر اسمي المرسل والمرسل اليه أمراً غير مسوغ، وأمرٌ آخر هو أن حامل الرسالة قد أدى العنوان شفاهاً بصورة تُغني عن إثباته مكتوباً في صدر الرسالة"[2].

يبدو أن المناصب التي ارتقاها الشيرازي في القصور البويهية قد استدعته إلى إعطاء الكتب الديوانية عنوانات رسمية، بعكس الكتب الإخوانية التي لم يمل فيها إلى التحسين أو الإيجاز.

ب :حسن الابتداء .

وهو أن تجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود؛ لأنه يفيد من مبدأ الكلام ما المقصود منه؟ وخصت الابتداءات بالاختيار؛ لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام، فاذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توافرت الدواعي على استعماله[3].

وقال صاحب الطراز: " الأفتتاح ركن من أركان البلاغة، وحقيقة آئلة إلى أنه ينبغي لكل من تصدى لمقصد من المقاصد وأراد شرحه بكلام أن يكون مفتتح كلامه ملائماً لذلك المقصد دالاً عليه، ويستحب التزامه في الخطب والرسائل والتصانيف، وهكذا حال التهاني والتعازي يكون مبدؤها وتصديرها بما يناسب ذلك المعنى ليكون معلوما من أول وهلة، فحين يكون المطلع جاريا على ما ذكرناه فهو من الأفتتاح الحسن، وحيث يكون جاريا على عكسه فهو معدود من القبيح"[4].

والمعروف أن الفنون النثرية تعتمد على أساسين مهمين هما: التصميم والأسلوب[5] ولاكتشاف التصميم في النصوص الشخصية نلاحظ اعتمادهم في الدرجة الأولى على حسن الابتداء ثم العرض تدرجاً إلى خط النهاية أو ما يدعى بالخاتمة، لان التصميم هو ذلك " التصور

---

(1) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٧٤.
(2) ينظر: **الدروبي ،الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص٤٦٨.
(3) الهاشمي ، **جواهر الأدب** ، ص٣٠.
(4) المؤيد بالله، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني(ت ٧٤٥هـ)، **الطراز المتضمن لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، بيروت، ط (١) ٢٠٠٣م، (ج٢، ص١٤١).
(5) الزبيدي، جنان عبدالله يونس، **فنون النثرية في كتاب ابن الجوزي**، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ٢٠٠٥م

البنائي للموضوع الذي يرهق بالنهاية منذ البداية ولا يرفع عينه عنها وهو من أي جزء من الأجزاء، يلتفت إلى الأجزاء الأخرى، إلى أن تكشف العبارة الأخيرة عن كنه العبارة الأولى وتبرر وجودها من دون أن تحس بأي فتور"[١].

ولقد عني كاتبنا بحسن الابتداء في رسائله، فجاءت أغلب الرسائل دالة على الغرض المقصود، سواء أكان في الرسائل الديوانية الخاصة بالدولة، أم في الرسائل الاجتماعية التي تناولت علاقة الأفراد بعضهم مع بعض، ففي كتب الفتوح ينوع في الابتداء مرة بذكر النعم التي أسبغها الله عليهم بتحقيق النصر، حيث يربط عنوان الرسالة بمقدمتها ومن ذلك في كتاب فتح جُرْجان وانهزام عسكرخراسان بقوله: "نعم الله علينا في الفتوح التي يوالي بينهما، والخطوب التي يذلِّلُ صعبها"[٢] وكذلك في فتح شهرزور" نعم الله – تعالى جده – لدينا جارية أقساما ثلاثة بين ثأو مخيم، ومأمول محقق مستفادٍ غير محتسب"[٣].

وأخرى بذكر لفظة (كتابِنَا)، أو (كتابي) وقد عدَّ غانم جواد رضا هذه الصيغ من التطور في الاستهلال بقوله :" وفي القرن الرابع تطور هذا الضرب من الاستهلال إلى ذكر الضمير الذي ينوب عن ذكر ذلك الاسم مضافاً إليه لفظة (كتاب)"[٤]، ومما يدل على ذلك قول القلقشندي:" الأصل في هذه المكاتبة أنّ النبي ﷺ كان يكتب في بعض المكاتبات الصادرة هذا كتاب من محمد رسول الله إلى فلان، فلما كان أيام بني بويه استخرج كُتّابها من هذا المعنى الابتداء بـ (كتابي إليك) إذا كانت المكاتبة إلى النظير، ومن في معناه، والابتداء بـ (كتابنا إليك) إذا كانت المكاتبة عمن له رتبة نون العظمة من الملوك ونحوهم"[٥].

وبهذه الصيغة فُتِحَتْ أغلب كتب الشيرازي، منها كتب الصراع مع الأتراك جاء فيها" كتابنا من معسكرنا بارجان[٦]، والميامين تواليا، والمناجح تقابلنا، وعين الله ترعانا وتكلؤنا وعوائده الحسنى تحوطنا وتكنفنا والحمد الله رب العالمين"[٧]، وبعد هذه الصيغ يورد الجمل الدعائية التي تناسب المقال ويدعو للمرسل إليه إمَّا بطول البقاء أو بإدامة العز.

---

(١) نجم محمد يوسف، **فن المقالة**، دار الثقافة، ط ٤، بيروت ١٩٩٦م، ص ١٢٠.
(٢) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٣١.
(٣) المصـــدر نفســـه، ص٣.
(٤) حماد، **الرسائل الأدبية النثري في القرن الرابع**، ص ٣٦٨.
(٥) القلقشندي، **صبح الأعشى** ج ٦، ص٣٢١.
(٦) أرجان: مدينة كبيرة كثيرة الخير بفارس، وصفت بأنها برية بحرية سهلية جبلية. ينظ: الحموي، **معجم البلدان** (ج١، ص ١٩٣- ١٩٤).
(٧) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٨٦.

أما كتبَ الأمان والعهود فالابتداءات فيها لم تتغير عما كانت عليه في العصر الأموي والعصر العباسي الأول، فقد بدأها الشيرازي باسم الإشارة كما مر بنا في كتاب العهد إلى عابد بن علي " هذا ما عهد فلان بن فلان إلى فلان بن فلان حين ولاه مستخيراً"[١].

وكانت الرسائل التي كتبها في الجواب أو الرد على الكتب التي تصل إليه، فيها إشارة إلى بداية الجواب في ذلك بصيغة (وصل) ومن ثم يذكر اللقب، فيبدو أن توزيع الألقاب على حكام بني بويه كان معروفاً عند الناس أيام البويهيين، فلذلك نلاحظ أن الشيرازي بعد صيغة (وصل كتاب) يذكراللقب دون الاسم الصريح، وهذا ما فعله عن لسان عضد الدولة في تقديم الشكرمعزياً بوفاة والده ومنها " وصل كتاب سيدي – أدام الله عزه – معزياً في الأمير السعيد[٢]– رضي الله عنه – "[٣]، أو كما فعل الشيرازي في التعزية فقد بدأها بذكر الفاجعة في مطلع كتاب التعزية " لو لم أسْلُ من فجائع الأيام في سادتي"[٤]، أو المصيبة في قوله " وقد كانت المصيبة نفرت سرب النعم ورنقت شرب الأمل "[٥].

وكانت بعض رسائل الشيرازي تخلو من المقدمات وتبدأ بالموضوع مباشرة، ومثال ذلك في التهنئة، في رسالة تَذْكِرةٍ عُمِلَت للقاضي أبي محمد العماني[٦]، وقت نفوذه رسولاً إلى صاحب مصر، جاء فيها "كان أبو الوليد عتبة بن الوليد – أعزه الله – ورد علينا وافداً في تلك الحضرة الشريفة – حرسها الله – متحملاً رسائل تُعتقَدُ بمثلها الَمودّة وتُستصفَى بحكمِها الثّقةُ فأصَخْنا لها واعتَدَدنا بِها، ورأيناها صادرةً عن فضلٍ ظَاهِر، واصلٍ بالكرم راسخ..... "[٧].

لذا فإن الشيرازي كان متقيداً في افتتاحه للنصوص بما يناسب الغرض، وهذا ما يُمكن أن نسميه الموضوعية في الطرح، فالرابط حاصل بين أجزاء النص، ويبدو أن ذلك يعود إلى أن الرسائل تكتب ولا تُرتجل، ومن ثمَّ فإنَّ الكاتب في فسحة من أمره كي يُرتب النص.

---

(١) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٦٢
(٢) وهو لقب ركن الدولة بعد وفاته وقد يشترك اكثر من اثنان في لقب مثل لقب سادتي "القرامطة الستة "...الخ ينظر: **عبد العزيز بن يوسف**، ص١٢٢.
(٣) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٦٠.
(٤) المصـــدر نفــسه : ص٩
(٥) المصـــدرنفســـه : ص٩
(٦) أبو محمد عبد الرحمن بن محمد العماني. تولى قضاء الكرخ ثم قضاء البصرة .ينظر الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، ت ٤٦٣هـ، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١) ١٩٩٧ م، ج١، ص٨١.
(٧) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٨١.

ج: حسن التخلص :

"التخلص وسيله فنية يستحضرها الكاتب أو الخطيب أو الشاعر في سبيل إشعار الملتقي – قارئا أو سامعاً - بالانتقال من المقدمات التمهيدية إلى الغرض المطلوب"[١].

ويمكن جعل المعنى اللاحق تابعاً للسابق يشترك معه في إثارة الانفعال الذي أثاره الأول، الذي يساعد معه على شد القارئ، والمحافظة على تسلسل متابعته والتأثير في نفسه، ولحسن التخلص ضرورة أساسية هي "التحرز من انقطاع الكلام ومن التضمين والحشو والإخلال واضطراب الكلام "[٢].

وعلى الكاتب أن يكون بارعاً في حسن التخلص بحيث ينقل السامع نقلاً جميلاً لطيفاً لا يشعر بفراغ، من خلال تسلسل الصور، وقد جاءت أغلب تخليصات الشيرازي دقيقة ومعتنى بها، وفيها حرص على شد القارئ والمحافظة على سير الكلام دون انقطاع أو حشو أو إخلال كما عمل بعد مقدمة طويلة في كتاب الشوق والود إلى الصاحب بن عباد " وإلى الله أشكو صنيع البين كما أشكر والشملُ جميع، ومرتع الأمل مريع وظُّل النّعيم ظليل"[٣].

ويرى الباحث أن الشيرازي لم يستخدم البعدية التي كانت شائعة لدى أغلب الكتاب في العصور الإسلامية الأولى والصيغة التي يحسن التخلص بعدها، حيث يستهلون مكاتباتهم بذكر منشئ الرسالة، فالمرسل إليه، ثم يشفع ذلك بالسلام، فالحمد، ثم التخلص بفصل الخطاب (أما بعد)[٤]، بل كان يدخل مباشرة إلى غرض الرسالة كما فعل في كتاب العيادة إلى مؤيد الدولة " انتهى – أدام الله عز مولاي – الخبر إلى مولانا الملك[٥] – أطال لله بقاءه – بأن سيدنا الأمير مؤيد الدولة – أدام الله تمكينه، وحرس مهجته – وجد فترة على عقيب دواء تناوله من قيام أفرط عليه، وضعف عرض له فقلق لذلك ووجم واكتأب"[٦].

([١]) الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ٤٨٨.
([٢]) ابي الحسن حازم القرطاجي (ت٦٨٤)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار العربي الاسلامي ،لبنان ،١٩٨٦م ، ص ٢٩٨.
([٣]) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص ١٥٠.
([٤]) وهذا ما ذهب إليه الأستاذ محمد محمود الدروبي في ذلك حيث يرى أن الرسائل أخذت تتخلص من الالتزام بهذه الصيغة قبل العصر العباسي وقد أورد عدة ادله على أنها كانت قبل مجي الإسلام وهذا إقرار من الأستاذ محمد محمود الدروبي بوجود الرسائل، ينظر: **الرسائل الفنية في العصر العباسي** ص ٤٨٩.
([٥]) هو عضد الدولة، أول من تلقب بلقب الملك في الإسلام ، ينظر الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**ج ٢، ص ٢١٦ – ٢١٨، وينظر: مسكويه، **ذيل تجارب الأمم** ٣٩ -٧٧.
([٦]) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٧.

ارتبطت أغلب رسائل الشيرازي ب أداة التحقيق(قد) وهي من حروف التوكيد، وتأتي بعد مقدمة طويله ليلج في الموضوع مباشرة " وقد كانت طائفة من بقايا السيف " و "قد علمت – ايدك الله – "[١]و " قد كان فريقا من عصبة الشقاق وأهل الفساد من ولد حسنويه بن الحسين سلكوا في الشقاق ..."[٢]و "قد علم الناس ما كان المتملك للروم بواصل به "[٣]، و " وقد عرفت حال شهرزور....."[٤]،و "قد كنا اخرجنا أبا القاسم الحاجب....."[٥]، و " وقد كان الغضنفر بن حمدان ..."[٦] ونلاحظ الجديد في تخليصات الشيرازي ورود عدد من الأعلام المشاهير في الدولة البوييهية.

وقد يكون حسن الانتقال من الاستهلال إلى عرض الرسالة بصيغ تعبيرية أخرى مثل (وَردَ) و(عرَضَ) كما في الرسائل التالية : " ورد الآن كتاب شيخنا أبي القاسم إسماعيل بن عباد بما نَستَشعِرُه من إشفاقٍ وارتياب "[٧] و " كان كتابه ورد في وقته ونطق في الأمرين من عهده ".

لقد استطاع الشيرازي أن يخرج من معنى إلى آخر بصيغة لغوية ملحوظة حيناً، كما أنه قد ينتقل بشكل غير ملحوظ إذ يختار عبارات أكثر إيجازاً.

د: الخاتمة:

هي القاعدة التي يرسو عليها العمل الأدبي، وهي آخر ما يبقى من النص في ذهن المتلقي، أو ما يطلع عليه قارئ الرسالة [٨]، فقد عني القدماء بخواتيم كتبهم، وعلى الكاتب أن يحسن فيه " فإنه اخر ما يبقى في الأسماع، وربما حفظ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال، فلا يحسن السكوت على غيره "[٩].

وكما أجاد الشيرازي في حسن ابتدائه، وبذل جهده في تحسينها والعناية بها، فقد جاءت الخاتمة جميلة ومتنوعة وبإشكال مختلفة " وكأنما أدرك الكُتّاب مدى عضوية العلاقة بين صدر

---

(١) الشيرازي، رسائل الشيرازي، ص ٢٢.
(٢) أنظر المصدر نفسه ، ص ٢٦.
(٣) أنظر المصدر نفسه ، ص ٢٩.
(٤) أنظر المصدر نفسه ، ص ٣٣
(٥) أنظر المصدر نفسه ، ص ٤١.
(٦) أنظر المصدر نفسه ، ص ٤٥.
(٧) أنظر المصدر نفسه ، ص٧٢ و ص ٧٩.
(٨) الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع ص ٣٧٢.
(٩) ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت ٨٣٧هـ)، **خزانة الأدب وغاية الأرب** ، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط(١) ١٩٨٧ ،ج: / ص ٤٩٣.

الرسالة وعجزها فهي وسيلة فنية يجلبها الكاتب للتخلص من موضوعه "[١] ونستدل على ذلك بخاتمة كتاب الصراع مع الأكراد والقبض على أولاد حسنويه[٢] بقرميسين[٣] وكيف تمكن من توضيح العلاقة بين صدر الرسالة وعجزها بقوله: " حتى لا يُسمع عاقٌّ إلا وهو شريد بأسنا أو حصيد سيفنا أو رهين الإسار في مُلكنا"[٤]، بعد أن تحدث في صدرها عن نفاقهم وشقاقهم وفسادهم وعصيانهم عن ملكه.

ونجد إلى جانب ما ذكرنا اختلاف الخاتمة عند الشيرازي من كتاب إلى آخر، فلم تكن له قاعدة مطردة في خواتيمه، بل كانت هناك صيغة متنوعة غالباً ما تكون مناسبة لغرض الرسالة، مثل استخدام صيغة (طالعناك)، وقد وردت هذا الصيغة في الرسائل التي كتبها إلى من هم أعلى مرتبة منه، كما فعل مع عضد الدولة في المكاتبات الديوانية ككتب الفتح، أو الصراع، أو الهدنه، ومثال ذلك ما اختتم في نهاية رسالة الهدنة مع الروم " طالعناك - أيدك الله – بهذه الموهبة التي لا تقاس بالمواهب، والجمال الذي لا يعادله جمال"[٥]، ولم تقتصر هذه الصيغة على الرسائل الرسمية فقد تكرر الأمر مع الرسائل الشخصية ومنها التهنئة بمولد ما، فاستخدم تلك الصيغة "طالعناك بذلك ؛ لتأخذ حَظّك من الاستئناس لهُ والاستِبشار به ؛ لموقعك عندنا وموضعك من ثقتنا"[٦].

وكان يختم كتبه بعبارات تكاد تكون متشابه وإن اختلف نوع الرسالة، فهو إما أن يرجع الرأيَ إلى المرسل إليه على سبيل المثال "فرأيك " وذلك بعد أن يقدَّم بعضاً من القضايا التي يطرحها للأمير بما يحسن الوقوف عليه ويختمه بـ(رأيك)، أو يدعو له كما في رسالته إلى الصاحب في الشوق إليه " وكتابي يَصدُرُ من كُلَّ منزِلٍ بما يمنحُ اللهُ من السلامَةِ والكفاية، ويلقَّي مولانا – كبَتَ الله اعداءهُ - من أسباب العزِّ والنعمة، وكان فإن رأى" [٧]، وقوله في تعزية سيدة من ال عضد الدولة :" وعين مولاي المُظفَّر – أدام الله عِزَّه – عليها ولستُ أشكُ انه قد فصل ومطايا شُكره تجُرُّ الحقائب، فان رأى"[٨].

([١]) ينظر: الدروبي **الرسائل الفنية في العصر العباسي** ص ٥٠١.
([٢]) ينظر رسائل الشيرازي ص ١٥٠وإستخدم صيغة نفسها دون الدعاء ينظر الرسائل، ص ١٢٤، ص ١٤٥
([٣]) تعريب كرمان شاه، بلد معروف قرب الدينور، بين همذان وحلوان على جادة الحاج / ينظ: الحموي، **معجم البلدان** ، ج٤، ص ٦٩-٧٠
([٤]) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٢٩
([٥]) أنظر المصدر نفسه، ص٣٠، ص٣٢، ص٣٦، ص٤٧، ص١٥٧، وقد تأتي في نهاية الرسالة وتكون آخر كلامه كما فعل" نسخة الكتاب المنشأ من قصر الجص" ينظر المصدر نفسه، ص١٩.
([٦]) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص ١٠٨.
([٧]) أنظر: المصدر نفسه، ص١٣٤.
([٨]) أنظر: المصدر نفسه، ص ١٤٨-١٥٠.

لم تكن هذه الصيغة النهائية التي يختم بها الشيرازي، فقد ختم مراسلته بلفظ المشيئة وهي بلفظ "إن شاء الله "[1] أو لفظة " كذا وكذا "[2] أو لفظة "والسلام "[3] وقد يختم بعد المشيئة بذكر تاريخ كتاب، وهذا من النادر فعله، كما في كتاب العهد لصاحب عمان لما أقام الخطبة وبذل الطاعة للملك " وكتب في شوالٍ سنة تسعٍ وخمسينَ وثلاثِمائة"[4] .

ويرى الباحث أن الصبغة الدينية قد وشحت نهايات رسائل الشيرازي، وهذه الطريقة في كيفية الاستفادة من القرآن يسمّيها البلاغيون "الاقتباس" ونستدل بذلك على محاكاة الشيرازي أسلوب القران الكريم وتوظيف ألفاظه وطرق تعبيره منها " وهو على كل شيء قدير "[5]من قوله تعالى قَالَ تَعَالَى:﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٠.

لقد جعل الشيرازي آخر كلامه عذب اللفظ، حسن السبك، سليم المعنى، مشعراً بالتمام تحققت " براعة المقطع " [6] بحسن الختام، إذ هو آخر ما يبقى منه في الأسماع وربما حفظ من بين سائر الكلام.

لذا يعطينا الشيرازي في البناء الخارجي للنص دلالة على أنَّه قد اعتنى بخيوط النص جيداً فأحكم النسج فلم يطل بالبناء، حتى يطنب ولم يوجز حتى يقتضب إنما أوجزما يقتضه المقام من المقال .

([1]) أنظر الشيرازي: رسائل الشيرازي ، ص٨ وص٣٦،ص ٤٢،ص ٧٥،ص٥٨،ص٦٦،ص٦٩،ص ٧١، ص ٧٣،ص ٧٥،ص ٨٣،ص٨٥،ص٩٥،ص١٠٧، ص١١٥،ص١٢٠،ص١٢٣، ص١٢٦،ص١٣٠،ص ١٣٣،ص ١٣٨، ص١٣٩، ص١٤١،ص١٤٢،ص١٤٧،ص١٥٧،ص١٥٩،ص١٦١.

([2]) أنظر المصدر نفسه: ص١١، ص١٢٢، ص ١٤٩.

([3]) أنظر المصدر نفسه ص ٩٣.

([4]) أنظر المصدر نفسه ص١١٣.

([5]) أنظر المصدر نفسه ص٣٠ .

([6]) براعة المقطع : هو أن يكون أخر الكلام الذي يقف عليه المترسّل أو الخطيب أو الشاعر مستعذباً حسنا، لتبقى لذته في الأسماع ، ينظر: النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ج٧، ص٣٤٤.

المـــطلب الثـــاني

اللغة و الأسلوب

أ: الألفاظ السهلة

يمثل اختيار الألفاظ عُنصراً أساسياً من عناصر تكوين الأسلوب وتنويعه، فهو يرتبط عادة بموضوع النص، فالألفاظ الجزلة تناسب الموضوعات في مثل قوتها الفتوحات، والصراعات، والعهود، والمواثيق، أما الألفاظ الرقيقة فتنسجم مع ما يناسبها من الأغراض الشخصية في التهاني، والتعازي، وكتب الشوق، والاعتذار.

ومما هو ملحوظ في الدرس النقدي، أن الألفاظ في النص الأدبي – شعراً أو نثراً - لا تحمل ذات دلالاتها الوضعية (المعجمية) فقط، وإنما تحمل فضلاً عن ذلك دلالاتٍ إيحائيةً (مجازية) أخرى، وعلى هذا تكون الألفاظ في النص الأدبي (الفني) بوصفها مادة بنائه مشعة موحية، ذات طاقة تعبيرية متجددة[١].

وقد راى الباحث أن ترسل الشيرازي غني بالمادة اللغوية ذات الروافد المُختلفة والتي أسهمت فيها اللهجات البدوية والحضرية، ولم تسلم من تأثير الدخيل، وتفاوت المستويات من حيث السهولة والرقة والجزالة، نتيجة لتسرب طائفة من الألفاظ الغريبة إلى متنها، ولكن تبقى العبرة بالسياق العام والأسلوب في مجموع رسائل الشيرازي، وهو ما دعانا إلى التعبير بغلبة السهولة لا تعميمها.

وتتسم رسائل الشيرازي بجزالة[٢] اللفظ، وتتمايز فيما بينها تبعاً لموضوعاتها، فالناظر لموضوعات الرسائل التي تتصل بالفتوحات يجدها تمتاز بقوة العبارة، وفخامة التعبير، والقصد إلى الغرض دون إسهاب أو تعقيد، ففي الكتابِ المنشأ بفتح حران والرقة والرافقة وديار مُضر نجده يقول:" النِّعمُ عَلَينا في الفُتوح التي يُواصِلُها اللهُ قُرباً وبعداً والخُطوبِ التي يُذلِّلُها لِعَزَماتِنا سلماً وحرباً، تُشرِكُنا كافةً في عوائد الأمن والعدل، وترتهنُهُم بفرائض الحمد والشُّكر إذا كانت للدِّين عدة "[٣]

ويرى الباحث أن تلك الشدة والغلظة والجزالة في ألفاظ رسائل الشيرازي الرسمية، وخاصة كتب الفتوح والصراع كان لابد منها، لأن عضد الدولة البويهي خاض بعض الصرعات

---

(١) ينظر: الحسن، **الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري**، ص ٣٨١.
(٢) الجزالة : هي إذا طلقت على اللفظ يراد به نقيض الرقة، وفي الرجل قوته، وفي الرأي جودته، **جمهرة اللغة**: مادة جزل، الصحاح: مادة جزل، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة جزل.
(٣) **الشيرازي، رسائل الشيرازي**، ص١٦٣.

الطويلة سواء كانت بين أبناء بني بويه، أو مع المناوئين الخارجين له لتثبيت الحكم، لذا فان لسان عضد الدولة (الشيرازي) لازم اتخاذ أسلوب الشدة والعنف والصرامة من حيث ألفاظها وتراكيبها لتناسب تلك الموضوعات، فيبدو أنه لم يستخدم الألفاظ التي تتصل بالناحية النفسية أو العاطفية في هذه المواضع، ومنها صراع عضد الدولة مع الحمدانيين وجاء على لسان الشيرازي "وقد كان الغضنفر بنُ حمدانَ[١] حين نقضته المذاهب ولَفظَته المَهارب، وأجهَضَتهُ عن مجاثمه المكائد والكتائب، تطوَّح في بلاد الشام ينتقل بين مَصارعَ يحسَبُها مَراتِع ومجاهِلَ يَعُدَّها مَعالِم "[٢].

ولا يخفى على المتلقي أن الشيرازي قد اختار ألفاظاً تناسب المقال في كتب موضوعي الفتح والصراع منها : (الفتوح، الخطوب، سلماً، حرباً) وكذلك كتب الصراع ومنها : (نقضته، اجهضتهُ، المكائد، والكتائب) فقد حشدت هذا الألفاظ لتشكل صور للمعركة .

أما المتتبع لرسائل الشيرازي في كتب العهود والمواثيق يلمس أسلوب اللين في استخدام بعض الألفاظ وربطها بالمدلولات، ففي كتاب العهد الذي كتبه لصاحب عمان الذي جاء فيه " وأسعفناك بما التمستهُ من إقرارك على ولاية عمان مُحسنين من عهدٍ أحكمته في الوفاء من عقد، ومُؤثرين للخير الذي لم نَستَجدِد في توخيه نِعمةً"[٣].

ب: الدخيل

عرف الجواليقي أن المُعَرَّب " ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ونطق به القران المجيد، وورد في أخبار الرسولﷺ والصحابة والتابعين، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها، ليعرف الدخيل من الصريح "[٤]، وجاء في المعجم الوسيط " (الدخيل) من دخل في قوم وانتسب إليهم وليس منهم، والضيف لدخوله على المضيف، وكل كلمة أدخلت في كلام العرب وليست منه"[٥].

---

(١) هو الغضنفر فضل الله بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان، ولى الموصل وديار ربيعة بعد أن قبض على أبيه سنة ٣٥٦هـ لقبه الخليفة المطبع عدة الدولة والمكنى أبي تغلب) سنة ٣٦٣هـ،وحياته حافلة بالصرعات بينه وبين بني بويه توفي سنة ٣٦٩هـ، مسكويه، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، ، ج٢، ص٢٠٥،٢٠٣، ٢٣٨، ٢٥٥، ٢٨٩، ٢٩١، ٣٢١، ٣١٢، ٣١٣، **وينظر: النويري ونهاية الأرب في فنون الأدب**ج٢٦،ص٨١.

(٢) الثامري، **رسائل الشيرازي**، ص٤٥.

(٣) أنظر المصدر نفسه، ص١١١.

(٤)الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، **المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم**، (ت ٥٤٠هـ) ، تحقيق:ف .عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط(١)، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م، ص١٤.

(٥) معجم الوسيط (باب الدال) .

لا شك أن الدارس سيشعر ولأول وهلة أنه أمام معجم من الألفاظ الدخيلة، وذلك بسبب التأثير الفارسي، إلا أن هذا الدخيل لا يمثل سوى النزر اليسير في رسائل الشيرازي، على الرغم من أعجميته، لذلك لم نجد التأثير أو الإرث الفارسي في ألفاظ رسائله إلا قليلاً.

وأقصد بأعجمية الشيرازي هنا أدبه ونشأته ونستدل لذلك بقول محمود غناوي الزهيري: " إن الأدب البويهي في جملته كان فارسياً في نشأته وفي روحه لأنه نما وترعرع في ظل شعب فارسي وحضارة فارسية، فإنه من الطبيعي أن يتأثر منشؤُهُ بهذا الميل العام عن الفرس شأنهم في ذلك شأن الفنانين"[١].

ويرى الباحث أن الشيرازي قد استخدم عدداً من الأعلام الأعجمية، وهذا لايُعتبرُ من الدخيل كما في قوله " وَصلَ كتابُ مَولايَ مُؤيِد الدَّولة- أدامَ اللهُ تأييدهُ- بذكرِ المسارِّ التي اكتنفَت ساحته بَما تجدَّدَ بكَرمانَ من نُجحٍ عقبَ نُجح، وتيسَّر مِنها بجريفت وبَمّ من فتح غب فتح... وقد كان نبأ هذه البشرى سبق إلى معطوف المبادئ والمثاني على ذكر ما كان لأبي الوفاء بختكين الحاجب في ذلك، من خدمة مرضيةٍ "[٢]

كل ما نجده في هذا الكتاب وغيره من كتب الشيرازي هو ليس من الدخيل في شيء، وإنمَّا هي أعلامٌ فارسية كأسماء الأماكن مثلاً :كرمانَ، جيرفت، بَمّ، والأشخاص : أبو الوفاء بختكين الحاجب، السلار " ويبدو أن الشيرازي تجنب الدخيل من الألفاظ لأنَّ أغلب كتبه كانت موجهةً إلى الأمراءِ والأدباءِ، وأن هذا الدخيل سيُعرِّض كتبهُ للنقد، فحرص على سلامة ما كتب .

ج:- ألفاظ بدوية

من الألفاظ المكونة للغة الكتابة عند الشيرازي، الألفاظُ البدوية التي شكّلت ظاهرة متميزة في رسائله، وربما يعود ذلك إلى مُحاكاته لأسلوب عبد الحميد الكاتب ومن سار سيره، وهذا ما يفسر من بعض الوجوه تلك النزعة العربية المشرقية التي نجدها في كتابات الأوائل كالجاحظ مثلاً، إلا أنها تضعُفُ في هذه المرحلة عن المراحل التي سبقت.

فنلحظ في النصوص على تنوعها أنه استخدم الألفاظ التي تناسب المعاني من غير تعقيد، وقد بدت هذه الألفاظ تدل على الكثير من تراث البادية كأسماء الحيوانات كما نجد في قوله

---

(١) الزهيري، **الأدب في ظل بني بويه**، ص٢٩٨.
(٢) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص ١٢٣.

"وكدت استطار خوفاً، وأُختطف استيحاشاً وجزعاً، ولولا ما تمكن من سوانح اليمن "[١]، فوظف كلمة سوانح، وهو ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك والعرب يتيمنون به ،وكذلك في لفظة العشواء وهي الناقة التي لا تبصر أمامها فهي تخبط بيديها كل شيء بقوله " وهو في كل هذا يخبط العشواء"[٢].

ويرى الباحث قدرة الشيرازي في العودة إلى الأصالة العربية باستخدام ألفاظ بدوية على الرغم من وجوده في القصور البهية، ونلحظ ذلك من خلال تشبيهه العدل ببيتٍ (ممدود الرواق) وهو البيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد في وسطه بقوله " ...فأصبح بها الإسلام متسع النطاق، والعدل ممدود الرواق وسلطان الله المنوط بأمير المؤمنين ساطع الإشراق "[٣]، وكذلك في قوله : " كتابي – أطال الله بقاء مولاي الصاحب – وأنا كالسلوب الرائم تفلتاً إليه، وإلى الله أشكو صنيع البين كما كنت أشكر والشمل جميع ومرتع الأمل مريع "[٤] المريع المكان إذا أخصب، ومما يدلَّ على ميله إلى التراث العربي ذكره للديار، والبكاء عليها، والوقوف على الأطلال[٥]، كما في قوله في تهنئة شعرية لعضد الدولة بعيد النوروز، بقوله: من البسيط.

ما للنّوى وَقَفت دَمعي على الطّللِ واستودَعَتني مطايا الحلّ والرِّحَلِ

ترمي بطرفِكَ في أطرافها فترى ما في الضّمائِر من غِشٍّ ومن دَغَلِ

أريتنا النقص في رأي الأُلى وضعوا كرمان من خولٍ عنها ومن فَشَـلِ

بمائها الوَشِلِ مع تمرها الـدَّقلِ ولـصَّها البَطَل وأهـلها الهـمَـل[٦]

لقد وظَّف الشيرازي الكلمات البدوية : "السوانح، العشواء، السلوب، المريع، الطلل، مطايا " بصورة جعلت طابع البداوة يعطي تلك اللمسة الأصلية لرسائله، بيد انَّه لم تكن هناك ألفاظاً يمكن أن نطلق عليها أنَها حضرية، وذلك يعود إلى الأصالة العربية التي ما زالت تُلقي بظلالها على الروافد الأدبية، ويعود السبب أحياناً في استخدام هذه البداوة إلى الذوق العام بالنسبة للمتلقين فقد كانت تروقهم هذه اللغة.

---

(١) ينظر:الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٧.
(٢) المصدر نفسـه، ص ٢٤.
(٣) أنظر الرسالة التي تحت عنوان (نسخة الكتاب المنشاء من قصر الجص) في تحقيق محمد يونس عبد العال ص٢١٥.
(٤) ينظر:الشيرازي، **رسائل الشيرازي** ص ١٥٠.
(٥) تمثل الأطلال ابرزمظهرمن مظاهر البيئة البدوية ينظر العاني، ضياء عبد الرزاق، **الصورة البدوية في الشعر العباسي ٣٣٤- ٦٥٦هـ، دار دجلة عمان، ط (١) ٢٠١٠م**، ص٤٠
(٦) الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، (ج٢، ص٣٧٩).

التراكيب

المقصود بالتراكيب هنا: ما يعرف بالتراكيب التعبيرية أي الوحدات اللغوية المؤدية للمعنى في شكل جمل أو أشباه جمل[١]، وتأتي أهمية التراكيب في العمل الأدبي من خلال ترابط الألفاظ مع بعضها في هيئة خاصة يسعى الأديب الفنان إلى توليفها لتكون سياقاً لغوياً يحقق عبر نسيج النص الأدبي فاعلية جمالية[٢].

ولقد أولى النقد القديم أهمية خاصة للتراكيب، فالألفاظ عند الجرجاني" لا تتفاضل من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدة، ولا من حيث هي كلمٌ مفرد " بل " تَثْبتُ لها الفضيلةُ وخلافُها في ملاءمةِ معنى اللفظةِ لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلُّق له بصريحِ اللفظ "[٣]، وفي ضوء هذا ذهب أبو عثمان الجاحظ إلى تمييز الشعر الجيد بقوله " وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان "[٤] كما أكَّد على إرادة النظم أو ما عبر عنه بجودة السبك[٥].

لقد عني الشيرازي بأساليب التعبير وكذلك في صياغة الجمل سواء كانت الجمل القصيرة " تواصل المكاتبة " والمتوسطة " نعمٌ ظَاهَرَ بين آمادها " و الطويلة " أحاط بقضايا العدل "وكذلك الجمل الاسمية " مساعدة القدر "،والفعلية " أحاط بقضايا العدل " وشبه الجملة " لدينا في إفادة الرغائب "، واعتمد الأسلوب الإخباري في رسائله على الأعم الأغلب، ربما يعود هذا التنوع في الكتابة إلى الأحوال المتقلبة، فجاء الفعل مع تغير الأحداث في الأزمنة المتعددة والفعل لا يدل على الثبات كما في الاسم ،فأخذ الزمان دوره في الأفعال في حين كان للاسم دوره في الثبوت والاستمرار.

---

(١) ينظر، وهبة مجدي ، المهندي كامل، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ص٩٦.
(٢) ينظر: الحسن، **الرسائل الأدبية النثرية في القرن الربع الهجري**، ص ٣٨٧.
(٣) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت٤٧١هـ)، **دلائل الأعجاز**، ت د. محمد التنوجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط(١) ١٩٩٥م، ص٣٠.
(٤) الجاحظ ، **البيان والتبين** ،ج١، ص٥٠.
(٥) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر دار الجيل ١٩٩٦، ج٣ ص ١٣٢.

١- الإطناب والإيجاز.

يقصد بالإيجاز: الاقتصاد في ألفاظ العبارة اقتصاراً لا يؤثر في وضوح معناه[١]، والإيجاز مطلب بلاغي في حد ذاته، وعكسه الإطناب الذي يأتي فيه اللفظ زيادة على المعنى إن كان لفائدة وإلا فيصبح تطويلاً لا فائدة منه فخرج بذكر الفائدة التطويل والحشو[٢].

وأشار القلقشندي إلى أن الطول والقصر والمساواة يأتي مناسباً مع غرض الكتابة بقوله: " الإيجاز يحسن من الخليفة إلى من دونه في أوقات الحرب وما يريد الإخبار به مع التورية عنه، أو أن يكون أمراً، أو نهياً، أو وعداً، أووعيداً، أو توبيخاً، ويحسن الإطناب في المناشير والاستنفار والدعوة والجهاد "[٣].

ومن خلال دراسة النماذج المشار إليها من رسائل الشيرازي، نلاحظ أنَّ سمة التوسط هي السمة الغالبة على الجمل، وهذا لا يعني أن الجمل القصيرة والطويلة نادرة، ولكنها قليلةً إذا ما قورنت بالمتوسطة، والمراد بالطويلة تلك التي أسهب كاتب الرسالة بكتابتها حتى يتمَّ المعنى أو يصل إلى ما يريد، ومن ذلك ما كتبه إلى أبي الفتح ابن العميد، بقوله: " وصل كتاب سيدنا الأستاذ – أطال الله بقاءه – فتهَادى به من عادَتِه، وكرم رعايته، والتنبيه على طريق خدمته، بين وثائق عهد، وكرائم عقد، وعقائل عز، وعقائدِ شرفٍ ومجد، وفهمتهُ، فأمّا استظهارُه لعبده في تراخي ما كان مُستَشرِقاً لعِلمِه مِن جهته من أخبارِ حضرةِ مولانا الملك – أطال الله بقاءه – فيم عرس بها من السَّلامَةِ، وألف عليها منَ السَّعادة وما عليه حالهُ في مساورة الإشفاق، ومَسامرة الأفكار، إلى أن يعرف خبر الخيل المنصورة المُصاحِبةِ رِكاب مولانا – أدام الله تأييده في سَلامتها من وَقد تِلك الهَواجر، ووُعورة تلك المسالك، وما تولَّى الله مولانا - أدام اللهُ علوَّهَ - من كفايته وأفاء عليه من ظِلِّ حفظه وحراسته – فقد وقف عليه وكنت طالعتُ حضرته بجملٍ تقرَّ بها العيون ....إلى قوله "وقد عرضت كتابَهُ في المجلس المعمور، فصادف أحَمَدَ مواقع أمثَالِه، وحَلَّ محلَّ أكرم أشباهه، والجوابُ عنهُ يستقبلُ بنفسه، وأنا سامي الطَرف ثلجُ الصَّدر قويٌ الأمل، شديد الأزر بما تُفيدُنيهُ الأيام في الأستاذ من رأيه العالي، والمناجح في ظلّه الوافي، واللهُ يَصِلُ أمدادَ حظِّه من ذلك بحوله وقُوَّتِه "[٤].

---

(١) عطية الله، أسماء عبد الرؤوف ، **الرسائل في العصر العباسي أنواعها وخصائصها الفنية** ، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية ، ٢٠٠٩، ص١٤٨.
(٢) المراغي، علم البلاغة ، البيان والمعاني والبديع ، ص١٦٠.
(٣) أنظر القلقشندي، **صبح الأعشى**، (ج٦، ص ٣١٥- ٣١٦).
(٤) الثامري، **رسائل الشيرازي**، ص١١٠.

إن طريق الإحسان في منثور الكلام يخالف طريق الإحسان في منظومه، لأن أفخر الترسل هو ما وضح معناه، وأعطاك غرضه في أول وهلة سماعه[١]، لذلك كنا نفهم موضوع الرسالة من حسن الابتداء عند الشيرازي، أو حتى من خلال العنوان، إلا انَّه لم يوجز في هذه الرسالة بل أطنبَ واستفاض مع أنه يخاطب أحد وزراء بني بويه، والمفروض بالكاتب أن يوجز، وتوقعنا أن يكون المعنى في الجملة الثانية أو التي تليها، ربما قصد من تكرير العبارات، وتكرير المعنى الواحد في عبارات متتابعة توضيح الفكرة وتفصيل جوانبها.

والمراد بالجمل المتوسطة: تلك التي يستغرق فيها الكاتب سطراً يُفصح عما يُريد، وهذا ما وجدناه في التعازي التي كتبها الشيرازي، على سبيل المثال كتب بتعزية لسيدة من آل عضد الدولة بقوله:" ومن عَرفَ من أحوالِ الدَّهر في تَصرُّف غِيره، وتنقل عبره وتنكر، عرفه، وتكدر صفوه، ما عرف سادتي، لم يحلل بالمصائب – إذا حلت – عرى حزمه تؤده النوائب "[٢]، مطلع الكتاب يوحي بحزنه، وخيوط التعزية قد تجلت، ووضوح المعنى قد بان من أول كلامه، وهذا من أفخر الترسل كما أشار صاحب التذكرة الحمانية[٣].

أمَّا إذا كان في التركيب الواحد ثلاثُ جملٍ فأكثر فهي جمل قصيرة، وفي الغالب تكون هذه الجمل معبرة عن تتابع أحداث كما في كتب الصراع مع الحمدانيين ومنها " وردنا تكريت لتدبير الموصل بمن نجرده إليها ونمُده برأينا، وأمرنا، فأوجب صواب النّظر، واقترابُ الأمد وما تَحملناهُ منَّ الكُلف، وتكاليف السَّفر نهوضنا إليها قبل أن تَثوب بالمخذول ثائبة استقلال، أو تتنفس به مسكة استقرار فاستخرنا الله تعالى فيه معتمدين إعادة العدل إلى هذه الديار التي تداولها آلُ حمدان ظالماً عن ظالم، وقدمنا أبو الوفاءِ أمامنا "[٤].

وكلما طالت الجملة كانت أنسب للتفصيل، وتوسيع الأفكار، وإمدادها بالبراهين، وكلما قصرت كانت أقدرعلى تكثيف الأفكارواختصارها، وأنسب لطلب المحسنات البديعية كما في قول الشيرازي:" أزهي وأنحى، أشر، وأطغى، وأجهل كوضع قدمي"[٥]، وبتوالي الجمل على شكل أفعال كثَّف الفكرة واختصرها وطلب المحسن البديعي وهو التقسيم، وخلاصة القول أن رسائل الشيرازي جاءت بأنواعها الثلاثة، الموجز المختصر، والمتوسط المعتدل، والمطنب المستفيض .

---

(١) ابن حمدون ، **التذكرة الحمدونية** ،(ج٦ ، ص٣٥٧).
(٢) انظر رسائل الشيرازي ص ١٤٨.
(٣) ابن حمدون، **التذكرة الحمدونية** ج٦، ص ٣٥٧.
(٤) أنظر الثامري، **رسائل الشيرازي**، ص١٦٠- ١٦١.
(٥) المصـدر نفســه ، ص ١١٧.

ثانياً: التقديم والتأخير.

تنقسم الجملة في اللغة العربية إلى قسمين الاسمية والفعلية، وترتيبهما يكون على أساس تقديم الفعل على الفاعل والمبتدأ على الخبر، وإن كل تقديم فاعل على الفعل يحّول الجملة الفعلية إلى اسمية عند البصريين ويعطي الفاعل إسماً آخرهو المبتدأ، كما قد يكون التقديم واجباً كتقديم الخبرعلى المبتدأ النكرة غير المخصصة ، ومثل هذا التقديم لا يقصد إلا لغاية بلاغية .

ويرى سيبويه أن العرب تقدم الخبر على المبتدأ والمفعول به على الفعل وهو عربي جيد حيث يقول:" إنما يقدمون الذي ببيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم"[١]، فعندما نقول ذهب زيدُ إلى المدرسة فهذه جملة خبرية تخبر عن ذهاب زيد إلى المدرسة ، لكن أذا قلنا إلى المدرسة ذهب زيد كان الاهتمام في هذه الجملة بالجار والمجرور.

ويعلق الجرجاني عليه قائلاً " هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيدُ الغاية، لا يزالُ يفترُّ لك عن بديعةٍ ويفضي بك إلى لطيفةٍ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدَّم فيه شيءٌ وحول اللفظ عن مكان إلى مكان "[٢].

واتخذ الشيرازي التقديم والتأخير منهجاً أسلوبياً مهماً في كتاباته وبأنواع مختلفة، ففي مقدمة كتاب القبض على أولاد حسنويه، وجد الباحث تقديمين مختلفتين، أحدهما في تقديم الخبر على المبتدأ ،والأخر في تقديم المفعول به على الفعل في قوله " فله الحمدُ دائباً والشكر واصباً، وإياه نسألُ الدوام "[٣]، والأصل في الجملة الأولى " فالحمدُ له "، والثانية "وإياه نسألُ الدَّوام" تقديم المفعول به على الفعل لأنه ضمير نصب منفصل والأصل " نسأله الدوام " .

وهذا ما تكرر في تقديم الشيرازي حين منَّ الله على عضد الدولة بفتح شهرزور في قوله " عليه نتوكل، وإليه نُفوَّض، وبه نستعين " والأصل نتوكل عليه، ونفوض إليه، ونستعين به، قدم الجار والمجرور على المتعلق به لأغراض بلاغية ومنها التوكيد والاهتمام والعناية .

وكذلك في كتاب الهدنة مع الروم وفي التحميدات الطويلة بقوله" فمنه تعالى الابتداء بالنعمة، وبتطوله الهداية للشكر، ومن كرمه التفضل بالمزيد، له الحمد أولاً وآخراً "[٤] وفي هذه

---

(١) سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ، **الكتاب** ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط(٣) مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ج١،ص٣٤

(٢) الجرجاني، **دلائل الأعجاز**، ص٩٦.

(٣) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص ٢٦.

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٩.

الجمل تقديم الخبر على المبتدأ والأصل في الجمل " الابتداء بالنعمة منه " و الهداية للشكر بتطوله " و " التفضل بالمزيد من كرمه " و الحمدُ له أولاً وآخراً "

وربما قصد بالتقديم غايات بلاغية تأتي في مناسبة الغرض، كما في تقديم الخبرعلى المبتدأ في تعزية الشيرازي لأحد أمراء بني بويه وكان قد قصد الاهتمام والتوكيد " وهو القدوة وبه الأسوة الحسنة "[١] والتقدير والأسوة الحسنة به .

وفي كتابه للصاحب في الشوق إليه يقول : " من أين أشكرها ؟ وكيف لي بحقها ؟ "[٢] قدم الأداتين "أين" و "كيف"، وهي من الألفاظ التي تتصدر الكلام، وقد يخرج الاستفهام إلى معان بلاغية أخرى مثل التعجب وهذا ما أراده الكاتب باستخدام أسلوب الاستفهام.

وقد يكون قصد الشيرازي التقديم حرصاً منه على قصره وتعينه وذلك كما في تقديمه المفعول به في " وأياه نستلهم، ونستكفي والحذر "[٣] جمع الشيرازي ما أراده من ألقاب في كتابه هذا مستذكراً ركن الدولة وراثيه بعبارات الحزن والأسى، ولكي يعطي الموضوع أهمية أكبر فإنه يهتم بشخص ركن الدولة قصداً منه إلى تعينه وحرصاً على تنبيهه وصرفاً للوهم عن الذهاب إلى غيره وتمييزاً له، وقد أشار الخليل في تقديم المفعول به في أكثر الكلام " المفعول إنما يتقدم على فعله قاصداً تعينه، وحرص على تبيينه، وصرفاً للوهم عن الذهاب إلى غيره "[٤]، لذلك كان مناسباً أن يهتمَّ الشيرازي بالأمير من خلال قصر الكلام عليه وصرف النظر إليه.

وإن ما جاء من تقديم وتأخير في رسائل الشيرازي يعطي لنا دلالة واضحة على أن القصد من التقديم والتأخير كان لأغراض بلاغية، لأنها تنسجم وسياق الكلام.

---

(١) الشيرازي ، رسائل الشيرازي ، ص ٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ص١١٧.
(٣) المصدر نفسه، ص١٣٢.
(٤) السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد(٥٨١هـ) ، **نتائج الفكر في النحو**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)،١٤١٢ - ١٩٩٢، ص١٥٧.

المبحث الثاني

البديع

أولاً: السجع

هو "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"[١]، وقد زالت علة التحريم به على حد قول الجاحظ في البيان والتبين بقوله " كانوا يحكمون وينفرون بالأسجاع فوقع النهي في ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية... فلما زالت العلة زال التحريم"[٢]، وكذلك تصدى أبن الأثير معللاً عجزهم عن الإتيان به بقوله:" وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجهاً سوى عجزهم عن أن يأتوا به"[٣].

وهو يكسب الكلام رونقاً وموسيقى نجدها في التناسب بين الألفاظ لذلك عده الخفاجي المناسبة بين الألفاظ في الصيغ وهو في الشعر كالقافية في النثر، ويرى أن السجع محموداً إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة [٤]، وذهب غانم صالح رضا إلى أبعد من ذلك عندما يتحدث عن جمال الأداء واتشاح الرسائل الإسلامية بالمحسنات البديعية، حتى غدت ظاهرة السجع ظاهرة مستحدثة عند كبار رجال الطبقة الخاصة، وكان ذلك حافزاً على أظهار صور البلاغة وأساليبها وبخاصة عند طائفة من الكتَّاب الذين لم يابهوا للاعتبار الديني في كراهية السجع[٥].

أما من حيث الإفراط به في القرن الرابع يذكر محمد نبيه حجاب معللاً ذلك بالعامل السياسي أو القومي بقوله: " فإن الأعاجم الذين تداولوا النفوذ طول العصر العباسي كانوا يتجهون بالكتابة ، منذ البداية ، إلى ما كانت عليه أيام الأكاسرة في إيثار اللفظ على المعنى "[٦]، وقد بينا هذه الآراء لنبين أهمية السجع خصوصا أن الكتَاب أكثروا من استخدامه بشكل لافت، منذ أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع للهجرة، حتى غدت هذه الظاهرة هدفاً عند بعض الكتاب " وأصبح في أقلام الكتّاب آله من آلات البلاغة، ومقياساً للبراعة في صناعة الترسل"[٧].

---

(١) ابن الأثير، أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي(ت٦٣٧هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م: (ج ١، ص ١٩٥).

(٢) الجاحظ ، **البيان والتبين**، ج١، ص ١٥٥.

(٣) ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، (ج١، ص ١٩٥).

(٤) ينظر: الخفاجي، أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد ابن سنان (٤٦٦هـ)، **سر الفصاحة**، دار الكتب العلمية، ط(١) ١٤٠٢هـ -١٩٨٢، ص١٧١.

(٥) ينظر الحسن الرسائل الادبية النثرية في القرن الرابع الهجري، ص٣٩٦

(٦) حجاب محمد نبيه، **بلاغة الكتاب في العصر العباسي**، مكتبة الطالب الجامعي،مكة المكرمة، ط (٢)، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ، ص١٦٦.

(٧) الحسن : **الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري**، ص ٣٩٦.

وقد وقف منه كتّاب العصر البويهي ثلاثة مواقف: طائفة إلتزمته كبديع الزمان الهمذاني[١]، وطائفة توسطت بينه وبين الازدواج (كأبي الفضل ابن العميد)، وطائفة حرةٌ في الصياغة الفنية كابن مسكويه[٢]، وكاتبنا الشيرازي قد توسط بين السجع والازدواج ويؤثر الازدواج أحياناً .

وما أورده الشيرازي من سجع لا يمكن أنَّ نعده فطرياً ويمكن أن يقال عنه كأنَّه بدوي يسجع على الفطرة، بل إن تقصده للسجع، يدل على براعته اللغوية، وحنكته الأدبية التي لم يتكلف بها، ومنها في كتابه العبور إلى كلويذان "... قَضقَضَ قواعدَ والخطبُ ساجٍ وقوَّض دعائمَ واللَّيلُ داجٍ، وفتح مَغالِقَ وقد رُكِزَتِ الرّماح، واستفادَ مَصاعبَ وقد أُغمدَتِ الصَّفاح، ولم تُرفَع له نارٌ حتى هَبَّت بكُلَّ قاع وشبَّت على كل يفاع ، فأضحى حديثُهُ مُستفاضاً وشرفه على الدين والدنيا مُفاضاً "[٣]، مما يلزم الكاتب من حروف تضفي على النص سلاسة في اللفظ وجمالاً في الأسلوب، ساعد على إيجاد إيقاع موسيقي بين سجعاته، ونلحظ أن الشيرازي لم يقتصر على حرف الروي، بل أشرك الحرفين الأخرين من الكلمات في الألفاظ " ساج "،و " داجً "،و" الرماح "، و " الصفاح "،و" قاع "، و " يفاع " ومستفاضاً "، و مفاضاً "، ويفضل السجع الصغير على الطويل وهو بهذا يلتقي مع أبي الفضل ابن العميد حيث كان أسلوبه "يقوم على الأسجاع القصيرة الفواصل التي تترادف بين قرينتين قصيرتين أو اكثر"[٤] .

وفي تراكيبه اللغوية حرص على أن تخرج رسائله قطعة محكمة فيبدو أنه لا يبالغ في السجع، بل كانت كل سجعاته موضوعة في تراكيب لغوية تدل على معنى مغاير لمعناها السابق ومن ذلك" نعم ظاهر بين آمادها، وأمدَ بالنصر راياتها، ومدَ في العز غاياتها " و " يعدها معقلاً، ويعتمدها موئلاً " و " ما كان مولاي الأمير مؤيد الدولة – أيده الله – خاطبه، ومزجياً سحائبه، وموضحاً أعلامه ومعالمه ثم ما اشتركنا في شركة تفاوض، وتناصفنا فيه من غير تقايض ولا تعارض " وغير ذلك مما يلتزمه الشيرازي فجاءت عبارته متوازنة، حققت جرساً موسيقياً نابعاً من التآلف والتوافق بين الألفاظ المسجوعة، ولقد خلق هذا التآلف نوعاً من التلاحم بين الكلام ومنه تنبع قيمة السجع التي تنعكس على النص .

---

(١) هو أبو الفضل أحمد بن حسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني أشتهر ببديع الزمان ولد عام ٣٥٨ هـ ومنهم من قال ٣٥٧ هـ ، ينظر بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، (ج٢، ص ١١٢).
(٢) ينظر: مبارك، **النثر الفني يف القرن الرابع الهجري**، ص ٨٣- ٨٥ - ٨٦
(٣) الشيرازي، **رسائل الشيرازي** ص٣.
(٤) الحسن، **الرسائل النثرية في القرن الرابع الهجري**، ص ٣٩٧.

يقول محمد يونس عبد العال عن أسجاع الشيرازي " لم تكن صارمة لازمة في كل عبارة يأتي بها، وعند كل معنى يراد أن يعبر عنه، وأن صنعة السجع كانت تأتيه إذا ما قصد إليها، أنّها غالباً لا تجور على صفاء أفكاره ووضوحها "[1].

ويرى الباحث غير ذلك حيث أن سجعة الشيرازي كانت واضحة جلية فهو في استئمان أصحاب أبي تغلب " نزلناها غانمين ظافرين "، و " عز الأولياء، وذل الأعداء "، وكأنه في هذه الجمل القصيرة المسجوعة والمتضادة يريد أن يهيئ أسماع قارئيه إلى ما يريد قوله، بعد أن يحدث فيهم التأثير المطلوب، فكأن سجعاته جاءت هتافات لتبين قوة عضد الدولة خصوصاً وهو يطلب استئمان أبي تغلب.

ولو قرأنا كتاب التعزية بوفاة ركن الدولة ومنه " وقد كانت النّازلةُ أوهنت عزائم الصبر، وأنست فرائض الشُّكر، وكادت عواديها تغولُ بالحلم، وتلوي بالعزم " نلحظ سجعه من هذه الرسالة يمتاز بالقصر في فقراته وتساويها في عدد الألفاظ، وهذا ما يعد في النثر رنة موسيقية، وقد أراد الكاتب من سجعاته أن يقيم جواً من الحزن والأسى بينه وبين المتلقي من خلال عبارات الفقد والحزن المسجوعة المتناغمة بإيقاع الألم،

وهذا ما يذهب بنا إلى القول أن السجع في الكتب الشخصية كان له المجال الأوسع عن غيره من الكتب الرسمية، ومنها ما كتبه في التهاني، والشكر، والتعزية، والتقريظ، وفي تهنئة بمولد كتب كتاب ومنه " ..وقد منحنا الله بمنه وفضله وسعادة جدَّ الأمير السَيّد – أطال الله بقاءه – ويُمنه ولداً ذاكراً سوياً سليماً، عمر اللهُ به مَعالم أُنسنا ونَظمَ بمولدهِ محاسنَ نعمه عندنا "

ثانياً: الجناس.

الجناس من فنون البديع اللفظية يقول أبو هلال العسكري عن الجناس : " أن يورد المتكلم في الكلام القصير نحو البيت من الشعر، والجزء من الرسالة أو الخطبة – كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها"[2]، وعند ابن الأثير أن يكون اللفظ واحد والمعنى مختلف وسمي هذا النوع من الكلام مجانساً لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد[3]

([1]) عبد العال، **رسائل عبد العزيز بن يوسف** ص ١٣٣.
([2]) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل(ت ٣٩٥هـ)، **كتاب الصناعتين** ، تحقيق :مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨١م ، ص٣٥٣.
([3]) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج١، ص ٢٤٦

ولقد أولى عبد القاهر الجرجاني التجنيس عناية كبيره ولا يحسن إيراده في الكلام إلا إذا طلبه المعنى قال:" فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وسَاق نحوَه، وحتى تَجِده لا تبتغي به بدَلاً، ولا تجِد عنه حِوَلاً"[١]، وهو عند عبد العزيز عتيق اللفظ المشترك باختلاف المعنى وما عداه فليس من التجنيس الحقيقي في شيء[٢].

لقد تجلت فنون البديع في رسائل الشيرازي، وظهرت صورة الجناس في الرسائل الديوانية ومن الأمثلة على ذلك في كتاب الهدنه مع الروم " خاطباً للهُدنَة إلينا، وباذلاً للفِدية على حُكمنا " فقد جانس الشيرازي بين الألفاظ "للهدنة"، و "للفدية " جناساً ناقصاً (غير تام) والأمثلة في كتاب المنشأ للأتراك في العراق " ...ونحن سائرون إليكم، طاوِينَ المنازل، ومُستَوفِزينَ على المناهل، بداراً إلى استصلاحِكم إن وجدنا فيكم مستصلَحاً..."، و " فأنختُم عليه عجالاً وساقيتموه الحرب سِجالاً" فقد جانس بين الألفاظ " المنازل "، و " المناهل " ، و" عجالاً "، و " سجالاً "[٣]، جناساً ناقصاً وقد سماه بعض البلاغيين بالجناس غير التام .

ويبدو أن هذا الجناس في الرسائل الإخوانية لم يكن جناساً غير تام بل جاء الجناس التام في كتابه إلى الصاحب بن عباد " وأنا كالسلوب الرائم تفلتاً إليه وتلفتاً إلى حضي كأنه بقربه، كما كنت أشكر والشمل جميع، ومرتعُ الأمل مَريع، وظلَّ النعيم ظليل، وجنات الأنس مأهول، الأمير مؤيَّد الدولة - أدام الله تأييده - ويُديمُ أيَّامها، ويحرسُ سلطانهما، ويُمتعُ بعضاً ببعض في مزيدٍ من العز، ونما من الملك، وملك الشرق والغرب بمنه وقدرته "[٤].

ومع ما ذكرناه من علاقة قائمة على التحفظ بينهما أي بين الشيرازي والصاحب بن عباد، إلا أنَّه يبين العلاقة الحميمة في كتابه ومن خلال تكرار الألفاظ، إذ إن هذا الإيقاع إنَّما ارتبط بالنفس، ويبدو أن هذه التراكيب المكرورة المتشابهة إنَّما سببها الانفعال، وهو ما حقق إيقاعاً من خلال تكرار اللفظ والجناس الحاصل في " تفلُّتاً إليه، وتلفُّتا إلى، ومرتع ومريع ، وظل النعيم ظليل، أدام ويُديم، وبعضاً ببعض، والملك، ملك " خرج عفوياً لا صنعة تظهر عليه، يحملُ جوانب الإيفاء بالمعنى وذلك من خلال الدوران حول الصيغة ذاتها، وما حققه الشيرازي من نغم موسيقي أضفى إلى الرسالة متعة في قراءتها، وهذا التشابه في الألفاظ قد عبر عن مبتغاه، وإن تشابهت الألفاظ فمعناها مختلف.

---

(١) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهربن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧١هـ) ، **أسرار البلاغة في علم البيان**، تحقيق محمد رشيد رضا، أسامة صلاح الدين منيمنة، دار أحياء العلوم، بيروت ، (ط١) ١٤١٢هـ -١٩٩٢م، ص٢٠

(٢) ينظر: العتيق عبد العزيز، **علم البديع**، دار النهضة العربية، بيروت ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ١٩٥

(٣) ينظر: هذه الأمثلة في رسائل الشيرازي في الكتاب المنشأ إلى الأتراك بالعراق ص ٨٦ و٨٧.

(٤) الثامري، **رسائل الشيرازي**، ص١٥٠.

وظهرالجناس التام في عدد من الرسائل وهذا ما ذهب إليه ابن العتيق بقوله: "أكمل أنواع الجناس إبداعاً وأسماها رتبة[١]، ففي الرسائل الديوانية يعاودنا الكاتب في نص الرسالة التي كتبها إلى عابد بن عابدين بقوله " وأحزم ما تهادته ألسن الُمصطَّنَعين والمُصطنِعين"[٢] وكذلك كتاب إلى عضد الدولة في الصراع مع أبي تغلب بقوله " يُظنُّ أنَّه قد أنحى بأنياب الاصطلام على مولاه وابن مولاه "[٣]و " التنقُّلَ بهم في الرتب على حَسَب الفضل الذي يبدو في الواحد بعد الواحد والخلال المحمُودَة التي تظهَرُ للفاردِ[٤] عقب الفَارد"[٥]. و " عادةً من الله تعالى لدينا في الإعلاء والإظهار، وأخرى على من ألحد من الحدَّ"[٦] فألحدَ الأولى الكفر والحدَّ الثانية تعني الحدود.

وصور الجناس بنوعية في الأبيات التي جاءت في ختام رسالة كتبها إلى أبي إسحاق الصابي بالأبيات الآتية .

إذا مـــــا تناءى منهلٌ عن منهل فأشرِبُهُ غَمراً تغمرتُ أم ثمـــداً

أُسائـــــلُ عمَّن شِمــتُ باقَ ودَّه سعيداً لقينا أم لقينـــا بهِ ســـعدا

ســـــواكَ أبا إسحاق إنك والنَّدى لأوفاهمُ عهداً وأصفاهم عـــقداً

علـــــى أنَّهُ سلم لمن حل بالحمى حمِى الملك المدعو للدولة عضداً [٧]

ولا يخفى علينا ما في الجناس من جمال يكمن في إيقاعه وجرسه الموسيقي الذي يُثير النفس وتطرب له الأذن، هذا ما استنبطاه من الأمثلة التي ذكرناها حتى إن الجناس عند الشيرازي كان يضاهي السجع الذي كان علامة الكُّتاب في القرن الرابع الهجري، وكما يؤدي إلى حركة ذهنية تُثيرالانتباه لما ينطوي عليه من مفاجأة تقوي المعنى وتحرك الذهن ربما تطلبه الموقف، ويزدادُ الجناس جمالاً إذا كان نابعاً من طبيعة المعاني التي يعبر عنها الأديب، ويبدوأنه لم يبالغ في جناسه ولو بالغَ لظهر التَّكلف عليه وهذا ما لم نره، حيث كانت جناساته فطرية ترجع إلى أصل لغوي واحد.

---

(١) وهو ما أتفق فيه اللفظان في اربع أمور الحروف، وأعدادها، وهيئتها الحاصلة من الحركات الساكنة، وترتيبا وفي اختلاف اللفظان في الأمور الأربعة يسمى جناس غير تام . ينظر العتيق، **علم البديع**، ص ١٩٧،وص ٢٠٥

(٢) الشيرازي، رسائل الشيرازي، ص٦٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٨٨.

(٤)جمع فرود الابل المتنحية في المرعى والشرب ينظر: **لسان العرب** مادة (فرد) .

(٥) الشيرازي ، **رسائل الشيرازي** ،ص٨٨.

(٦) المصـدر نفسـه، ص١٦٣.

(٧) المصـدر نفـسه، ص١١٦.

ثالثًا: التكرار:

التكرار لغة هو مصدركرر ويقال كررالشيء تكريراً، وتكراراً، أعادة مرة بعد أخرى[١] والمراد به تكرير المعاني وألالفاظ، وهو دلالة على المعنى مردداً[٢]، وقد أثبت وليد عبد المجيد ابراهيم إن للتكرارعدة دواعي منها، تمكين المعنى في النفس، والتلذذ، والتشويق، والتعظيم التشويع[٣] والتكرار أسلوب أدبي مألوف وشائع في شتى الفنون الأدبية، وهو أحد أساليب التعبير المهمة، والذي يمكن أن يثري المعنى ويغنيه، ويرفعه إلى أعلى درجات التأثير والإمتاع والأصالة[٤].

ويعد التكرار من أهم عناصر تحقيق الإيقاع من خلال تكرار المتشابهات ومعلوم "أن الصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون هناك حركات إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف"[٥]، وذهب بعض النقاد المعاصرين إلى أن "اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام"[٦].

ومن تكرار الشيرازي ما كتبه للصاحب في تكرار الكلمة " ومن شأن مثله منَ التفضُّل إذا جاد به سيدٌ عفواً، وسمحٌ بالمكارم فيه طوعاُ، أن تذلَّ ألسنةُ الشُّكر في بثِّه وإشاعته ولا يوقف منه غايةٍ دون غايةٍ، ولا يُحالُ به على رُتبةٍ من الحق دون رُتبة، إلا أنَّ معلوم الخواطر في زماننا الاعتراف بالعجز، والانقطاع عن حقيقة الشكر حتى ذلك صار كالعادة من الفاضل والمفضول"[٧]فكرر كلمة " غاية" و" رتبة " وهو من التكرار الجميل الذي يزيد المعنى وضوحاً .

وفي كتاب عهد إلى عمر بن نبهان الطائي (صاحب عُمان) كرر الكاتب حرف المصدر(أن) وهو موصول حرفي، خمس مرات بدخولها على الفعل المضارع وفيها لم يستخدم المصدر الصريح، لكي يكون هناك تناسقاً بين فقرات الجمل " وأن تُحافظ على الصلواتِ المفروضات ...، وأن تُفيضَ العدل وتنشر أعلامه....، وأن تَسيرَ في الأجناد والرعايا

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كرر).
(٢) ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج٢،ص١٢٠
(٣) ابراهيم ، وليد عبد المجيد ، **علم المعاني**، مؤسسة الورق، عمان ط(١) ٢٠٠٠م ، ص
(٤) الحسن ، **الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري**، ص٤٣٧
(٥) الجاحظ، **البيان والتبين** ، (ج ٣/ ص٧٧).
(٦) الملائكة نازك، **قضايا الشعر المعاصر**، دار العلم للملاين، بيروت، ط (٥)(د،ت) ص٢٣١.
(٧) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص١٠١.

والمزارعين.....، وأن توكَّلَ همك بتَتَبُّع اثار العائثينَ والمفسدين .....، وأن تتناول الحقوق من وُجُوهها....، وأن تُحافظَ في الدعوة على واجب الحق...[١].

لم يقتصر التكرارعند الشيرازي في الرسائل فقط، بل شمل ذلك ما نظم من أشعار ومن ذلك ما جاء في الكتب التي كتبها إلى الصاحب بن عباد في غرض الشوق إليه.

يُجاذب نحو الصّاحبِ الشَّوقَ مقودي وقد جاذبتني عنهُ أيدي الشّواذبِ

سقى اللهُ ذاك العهدَ عهداً من الحيـــا وتلك السَّجـايا الغُرَّ غرَّ السحائبِ

ولا برحت نعمي من الله ســاحـــــةً أسحَّت بها جّمـاتُ تلك الضرائبِ[٢]

لقد وظف الشيرازي التكرار في كتبه توظيفاً فنياً فجعل منه عنصراً أساسياً من عناصر البناء الموسيقي، وخاصة في توكيد المعنى على الرغم من اختلافاتها وبحسب السياقات التي جاءت بها، وقد أضافت هذه التكرارات على النصوص إيقاعاً موسيقياً منسجماً يزيد من قبول الألفاظ والعبارات في نفس المتلقي، ويؤكد براعته، ومعرفته بأصول الكتابة الفنّية، وأسرارها الجمالية .

رابعاً: الطباق والمقابلة.

ويقال لها أيضاً : التطبيق، والطباق، والتضاد وفي التنزيل" أَلم تَرَوْا كيف خلق الله سَبْعَ سَمَواتٍ طِباقاً "[٣]

والمطابقة:- "هي الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعري كالجمع بين اسمين متضادين مثل الليل والنهار والجمع بين فعلين متضادين يظهر، يبطن وحرفين متضادين " لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت"[٤].

والفرق بين المطابقة والمقابلة أن تكون المطابقة بالأضداد، والمقابلة بالأضداد وغير الأضداد ولكنها بالأضداد تكون أعلى رتبة وأعظم[٥].

---

(١) الشيرازي، رسائل الشيرازي، ص١١٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٤
(٣) سورة نوح: الآية ١٥.
(٤) عبد العزيز عتيق: **علم البديع** ص ٧٦.
(٥) عبد العزيز عتيق، البديع، ص٨٧.

اعتنى بهما النقاد كما اعتنى بها الكتَّاب مع غيرهما من المحسنات البديعية، وقد جعله صاحب البديع الباب الثالث من محاسن الكلام[١]، شاع في جل رسائل القرن الرابع الهجري، وتعود هذا العناية لأن الطباق والمقابلة يحققان إيقاعاً سريعاً فكرياً وذهنياً وفيهما إبراز للمهارة الفكرية والقدرة على صياغة الأفكار ومجالاً لتقليب المعاني سعياً وراء الجديد .

وتظهر صورة الطباق في رسالة العيادة عن مؤيد الدولة وقد ألم به عارض من الحمى بقوله " وتعاقب الليل والنهار..... وتراجع العافية وإقبالها " [٢] فجمع بين الضدين "الليل" و "النهار"، و " تراجع" و" إقبال " وهو تطابق حقيقي في الألفاظ غير مجازي.

ومن الأمثلة على تطابق الألفاظ المجازية ما كتبه في التحميدات قال: " والتصرف على قضية الإخلاص في النزاع إلى خدمتنا قريباً وبعيداً، ودانياً وقاصياً "[٣] فقوله " قريباً " و " بعيداً " و" قاصياً " و" دانياً "، جري مجرى الاستعارة إذ ليس هو بإخلاصه يكون بعيداً ولا قاصياً .

ولا يسعى الشيرازي من وراء استخدام الطباق والمقابلة في رسائله إلى مجرد الزخرفة والتنميق أو التغيير بالألفاظ، بل إن الذي يسعفه خياله الواسع ومخزونه الثقافي ومقدرته على استعمال الألفاظ خاصة في المكاتبات الرسمية، وجاء في ختام رسالة الهدنة مع الروم " ونتحدث بنعمةِ الله فيهما على مَن غابَ وحضَر، والله نسأل أن يُمتِّعنا بسابغ نَعمائه، ويوفّقنا لِلثناء بآلائه، ويزيدنا من فضله وتفضله فيما نُسرُ ونُعلِن، ونظهر ونُبطن إنه عز وعلا ....." [٤]

كما نلمح اطراد الطباق والمقابلة وشيوعهما في كتب الفتح، وقد جاءت بكثرة في هذا النوع من الرسائل، ويبدو أن المتلقين بحاجة إلى وضوح المعنى وهذا من شأن الأضداد فهي توضح وتبين وتجلي كما جاء في كتابه في فتح جرجان، وانهزام عسكر خُراسان واستمالة فخر الدولة إلى قابوس بن وشمكير بقوله " .... والكفران الذي أخذ بسمعه وبصره، حتى استبدل بعز الطَّاعة ذُلَّ العصيان، واعتاض من فُسحه المُضطرب ضِيق الحصار"[٥].

---

(١) ينظر ابن معتز، **البديع**، ص٢٦.
(٢) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص ٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٢.
(٤) المصدر نفسه، ص٣٠.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣١.

وكذلك في المعنى نفسه أورد في نهايتها مجموعة من الألفاظ المتطابقة والمتضادة بقوله " وتَقَطّع الباقونَ شَتى عباديدَ لا يَجتمع لهم شمل، ولا يُرقعُ من أمرهم خرق، وصَفت أعمال طبرستان ونواحيها براً وبحراً، وأقيم بها شعارُ الدَّولة المنصورة قُرباً وبعداً "[١].

وترد صور الطباق أيضاً في عدد من موضوعات الرسائل الاخوانية وأغلب كتب التعزية، ومنها كتاب في وفاة ركن الدولة الذي جاء فيه " وتصرفت عليه من التعزية والتسلية ....وتلقى تلك الممالك والأجناد، والخاص والعام، بأثقب رأي، وأوفى حزم، وأمد باع وأرحب صدر والله من ورائه كالئٌ كاف "[٢].

يرسم لنا الشيرازي صورة لما حدثَ بالوفاة، ويحاول أن يسهل المصيبة بذكر التسلية التي أصابة سيده عضد الدولة، وأن يتلقى أمر تلك الممالك والأجناد بالراي الثاقب الخاص منه والعام ، فالحالة النفسية للكاتب حاضرة في الرسالة، وبيان حزن الكاتب واضح فيها، وتظافر هذا الشعور مع القدرة الفنية واللغوية في خلق إيقاع متميز، والتسابق الفكري والموسيقي خزينة تتناسب والحالة التي عليها الكاتب، لذلك نرى أن قيمة الطباق لا تنحصر في الكشف عن القدرة اللغوية، بل تتعدى إلى إظهار الأبعاد النفسية، المتوترة وتصويرها في أدق حالاتها فالصورة المبنية على الحركة القائمة بين المتناقضات، هي ذات سعة وعمق داخلي، وذلك بما تتيحه اللغة من مترادفات وتضاد وتعاكس.

وزبدة القول أن المطابقات والمقابلات كثيرة في رسائل الشيرازي فهما لم تقل أهميتهما عن السجع والجناس في تجسيم المعنى وإيضاحه، فعمد الشيرازي إلى إتيان الشيء وضده، فإذا أتى شيء في بداية الكلام أتى باضده قبل نهايته أو في نهايته، ليضفي كل منهما رونقاً وجمالاً على رسائله ، ولعل للموضوعات التي ترسل بها الشيرازي الأثر الأكبر في وجود تلك المطابقات والمقابلات

خامساً: التقسيم.

"قَسَمَهُ يَقسِمُهُ، قسماً والمِقسَمُ، والمَقسَمُ : نصِيبُ الإنسان من الشَّيء، يقال قسمت الشَّيء بين الشُّرَكَاء، وأعطيتُ كُلَّ شرِيكٍ قِسمَه ومقَّسَمَهُ "[٣]، وهو الشيء إذا جزَأته.

---

(١) الشيرازي، رسائل الشيرازي، ص ٣٩.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٧.
(٣) **الزبيدي، العروس في الجواهر القاموس**، مادة (قسم).

وهو من فنون البديع المعنوية يقصد به تكرار القوافي الداخلية[١] وله أهمية في استيفاء المعنى، وإشباع الفكرة "والتقسيم الصحيح أن تقسّم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه وهذا أحسن تقسيم"[٢]، فهو مصدر من مصادر الإيقاع، يعمل على توطيد العلاقة، وهذا النوع أقرب إلى طبيعة النثر من الشعر، فهو من السمات الأصيلة في المنثور، ولعله أنتقل منه بعد ذلك إلى الشعر.

وبين أيدينا كتاب الشيرازي في واقعة قصر الجص يعد مثالاً على ذلك فيقول :" ... وأخرجنا الشّريفَ، أبا أحمد – أيده الله – إليها برسائل تضمنت أعذاراً، وتشعبت إنذاراً، وتوطّأت عُرفاً، وتَبطَنت نُكراً، وبدأ بثغر حَرَّان ، فَصَادَفَ من أهلِها والمعتصمينَ بها أنساً، ونفاراً، واستقامةً وازوراراً، فلم يزل بهم بين ذكرٍ ومواعظ، وأوامر، وزواجر، حتى أذعنوا وانقادوا، وذلّوا، واستكانُوا، ولاذ من كان فيها من الجُند بالأمان فقتلوا واثبتوا"[٣].

فهذه التقسيمات والمساواة في الألفاظ موجودة في الرسائل التي بعثها ومما جاء فيها " تضمنت أعذاراً، وتشعبت إنذاراً، وتوطّأت عُرفاً، وتَبطَنت نُكراً "، وكذلك في تقسيم أهلها " أنساً، ونفاراً، واستقامةً، وازوراراً " وتقسيمهم بعد أجواء المعركة " أذعنوا، وانقادوا، وذلّوا، واستكانُوا " أنما هي ترجمةٌ لما يعتملُ في نفس الكاتب في محاولةٍ منه لجذب المتلقي، كي يذوب في جو النص، ولعل طبيعة موضوع الصراع سمحت له بإجراء الاستقصاء فوظف الشيرازي هذه التقسيمات خيرتوظيف لتوضيح المعنى في هذه المقطوعة الفنية.

وقد كتب في الصراع مع التغلبيين وهو يوثق أحداث هذا الصراع وما آل إليه آل تغلب بقوله:" ....ورامُوا الدَّفع عن الحريم، فأُعجلوا عنه طعناً، وضرباً، وقتلاً، وأسراً، ولم يبق منهم إلا من طارَ على فرسه راكباً وجهَهُ لا يدري : أقدَّامُهُ خيرً له أم وراؤه؟ والطلَّب في أثرهم يُلتقطون عن غِياضٍ، وآجام، ورمال، وجبال، وأفاء الله على أولينا وعساكرنا من أموالهم وذخائرهم، وكراعهم ونسوانهم، ما لا حساب يحضره، ولا إحصاء يحده وحصلت نساؤهم، وأولادهم، وولائدُهم، وذراريهم، ورجالهم، وأخبيتهم "[٤].

---

(١) القيرواني، **العمدة**، (ج١، ص٥٩٥).
(٢) ينظر: العسكري، **الصناعتين**، ص٣٥٠.
(٣) الشيرازي ، **رسائل الشيرازي**، ص ١٨.
(٤) المصدر نفسه، ص٤٦.

وفي أسلوب التقسيم تفصيل بعد إجمال كما في النص أعلاه "طعناً، وظرباً، وقتلاً، وأسراً " وكما في طلبهم في المناطق " غِياضٍ[١]، وآجام [٢]، ورمال، وجبال " وقد قسم بحرف التقسيم أم في قوله :" أقدَّامُهُ أم وراؤه ؟ وكذلك تقسيمهم ما اغتنموه من أموال " نساؤهم، وأولادهم، وولائدهم، وذراريهم، ورجالهم، وأخبيتهم "

وها هو يذكر المتعدد ثم يفصل أحواله فيزداد المعنى بذلك فخامةً وتأكيداً، وفيه ترابط في الأسلوب، واتحاد في الأجزاء، فأوله متصل باخره، وفيه تناسق صوتي جميل، فحرص الشيرازي على هذا التناسق والترابط والتلاحم وتفصيل الكلام، فعندما يقول راموا الدفاع عن الحريم، يتلهف السامع لمعرفة ما ينتظرهم فعندها يبدأ بالتفصيل، وتثبت في النفس فقد جاءت بعد شوق وطلب، أمَّا إذا أعطاك المعنى دون طلب وشوق فقد لا تثبت وحينئذٍ فلا جمال أو متعة في الموضوع .

(١) موضع يجتمع فيه ماء فينبت فيه الشجر، ينظر: ابن منظور**لسان العرب**، مادة (غيض).
(٢) الأَجَمَة مَنْبت الشجر كالغَيْضة وهي الآجام والأُجُمُ ، ينظر: ابن منظور **لسان العرب**، مادة (اجم).

المبحث الثالث: الدلالة والتصوير.

المطلب الاول:الدلالة

لكي يكون العمل الأدبي فيه شيءً من الأبداع فلا بد أن توضع الجمل في قوالب تختلف عن بعضها وأن كان معناها متقارباً " فالكلمات ليست علامات بل هي كائنات "[١]، تتفاعل في تركيب يجنحُ إلى التعبير غير المُباشر، حيثُ تدل على معانٍ لا يتمكن المتلقي من الوصول إليها فور تلقيها فهي معان لها خاصية فنية مُتميزة ترتكزعلى"وجود تشابه بين بُنية العمل الفني الدالة وُبينية الشيء الخارجي المدلول"[٢] ومن بين هذه الدلالات التي توقّف عندها البحث.

أولاً: الغلو والمبالغة.

المبالغة لغة: بلغت المكان بلوغاً: وصلت إليه اذا شارفت عليه[٣]، والمبالغة عرفها صاحب الصناعتين بقوله "أن تبلغ أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه"[٤]، وقد عدها ابن وهب الكاتب (ت ٣٣٧هـ) من شأن العرب التي تبالغ في الوصف والذم كما أن من شأنها أن تختصر وتوجز[٥].

وقد استشرى هذا اللون كثيراً في العصر البويهي، وما كثرة الألقاب وتنوعها إلا مبالغة كبيرة نشهدها في جل مخاطباتهم الرسمية، لذا شاعت الصورة القائمة على المبالغة وصولاً إلى التجسيد والتضخيم طمعاً في أن يكون أكثر تأثيراً في النفس وخلوداً في الذاكرة.

وقد اختلف النقاد في النظر إلى هذا المنحى من المبالغة فكانوا فريقين متناقضين، الأول عَده عيباً، والثاني عده من علامات الجودة، لأن في استخدامه تكمن محاولة بلوغ المثل والنهاية في النعت[٦]، ويقسم إلى نوعين : في التضخيم والتعظيم من جانب، والتحقير والتصغير من جانب آخر.

ولقد استخدم الشيرازي كلا النوعين استخداماً أعطى للرسائل نكهة خاصة وأسرف في هذا النوع، وكأنه ضرورةٌ كما في كتب الفتوح، فهو يجمع بين الثنائيات التي تصور ما هو غير

---

(١) تليمة عبد المنعم، **مدخل إلى علم الجمال الأدبي**، دار الثقافة، القاهرة،١٩٧٨م، ص ١١٢.
(٢) فضل، صلاح، **النظرية البنائية في النقد الأدبي**، دار الثقافة، بغداد،ط٣، ١٩٨٧، ص٢٩٥.
(٣) الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط الأولى " ١٩٩٥" مادة بلغ.
(٤) العسكري، **كتاب الصناعتين**، ص ٤٠.
(٥) ابن وهب الكاتب، **البرهان في وجوه البيان**، ص١٢٢
(٦) أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي(ت ٣٣٧هـ)، **نقد الشعر** ، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي دار الكتب العلمية ،بيروت (د،ت) ص٩٤

واقعي، يقول الكاتب في تعظيم جيش عضد الدولة عند فتح جرجان " زَحَفَ مولاي مُؤيَّدُ الدَّولة نحو المخاذِيل، والعزُّ مُشايِعٌ لهُ والنَّصرُ كافلٌ به، وقد عبَّى العَساكرَ المنصُورين، وأغذِياءَ النَّعم المصطَنَعين : قلباً، ومَيامنَ، ومَياسِر، وأيقَنَ المخاذيلُ بيوم عماسٍ[1]، لامُعتذر فيه ولا مُستَعتَب، فثاروا للِّقاء مُغترَّين بحَصانَةِ مَوضِعِهم، مستميتين دُونَ أولادِهم وحُرمهِم، والاولياءُ يساقونهم كؤوس الحِمَام، ويغالبونَهُم على موقع الاقدام، وهمُ يُصابرون المنايا وقد أحاطت بهم يميناً وشمالاً، تنقصُهمُ بشدَّتها، وتقتسِمُهُم بكرَّاتِها إلى أن منح الله النَّصرَ فَولوا أدبارَهم، وقد حيل بينهم وبين الفرار، فحصلوا بأجمعهم بين مأسور ومقتول ومُستأمن يُمتن عليه بالقبُول، وحصل في الاسر أكثر أقرباء المخذول، ووجوه قواده وأعضاده "[2].

نلاحظ أن الكاتب يجسد الفكرة ويبلورها من خلال إستخدامه لمجموعة من الطباقات التي تشترك مع المبالغة وهذ الثنائيات كشفت من خلال التقابل والتقسيم عما يدور في خلجات نفسه عن طريق الموسيقى والابتعاد عن التكلف الممقوت بالمبالغة وصولاً إلى المثل الأعلى .

وفي العودة إلى معجمه لنعقد مقابلة بين طرفين نرى أنَّ الكاتب لم يتوانَ قليلاً في حشد ما يستطيع من ألفاظ في علو شأن جيش عضد الدولة، وفيما يلي بيان ما جاء فيما اقتطفناه من كتاب فتح جرجان في وصف العدو " المخاذيل"، و" وقد أحاطت بهم يميناً وشمالاً" ،و "فَولوا أدبارَهم"، "وقد حيل بينهم وبين الفرار"، و "فحصلوا بأجمعهم بين مأسور"، و"أقرباء المخذول"،و "قد أراه الله عاقبة النكث"،و "ودرعه لباس الخزي".

وفي وصف جيش مؤيد الدولة الذي ينوب عن العضد بالغ الشيرازي بقوله: " وقد عبَّى العَساكرَ المنصُورين، وأغذِياءَ النَّعم المصطَنَعين : قلباً، ومَيامنَ، ومَياسِر، والاولياءُ يساقونهم كؤوس الحِمَام، ويغالبونَهُم على موقع الاقدام، إلى أن منح الله النَّصرَ" قاصداً بذلك تعظيم الفتح.

وفي مشهد للتحقير بالهروب يصف الشيرازي خزي قابوس بن وشمكير بقوله " وأفلت قابوس وحيداً فريداً قد أراه الله عاقبة النكث، ودرعه لباس الخزي والطلب في أثره ولن يفوت قريباً و بعيداً بأذن الله وعونه "[3]، ويبدو أن الكاتب اختط هذا السبيل ليجسد انفعالاته السياسية والعاطفية في صورةٍ بارزة مستندة إلى قوة خيالة من أجل تحفيز مكامن الاثارة والانفعال لدى المتلقي حتى يُبدي رأيه بالقائد المسكين، أي وصفٍ عجيب هذا الذي يصف به الشيرازي أتباع قابوس بن وكشمير، لقد حشد قدراً كبيراً من طاقته حتى يُخرج لنا مشهد الذلِ هذا، حينما يرتقي

([1]) يوم عماس ثالث يوم من أيام القادسية، ينظر تاريخ الطبيري، تايخ الملوك والرسل، (ج٣، ص٥٥٠)
([2]) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص ٣٢.
([3]) المصدر نفسه، ص ٣٢.

الكاتب ذروة الخيال لتصل الرسالة جليَّة ليطمئن بنو بويه من مجدٍ هم بالغوه، ولينذر من تُسولُ له نفسه المساس به.

لم يقتصر الغلو في الألفاظ على كتب تجسيد الفتوح بل كانت المبالغات قد شملت موضوعات أخرى مثل التعزية، فقد بالغ بالتعابير اللفظية في وفاة ركن الدولة فهو عندما يصفها بالفجيعة لا بأس في ذلك، أما أن يكون المتوفى " زعيم الدنيا والدين"[١]، هذا ما لا يقبله عقل ولا يصدقه منطق وغيرها من الإشارات الكثيرة التي بالغ بها الشيرازي في وصفه قادة بني بويه.

ويؤكد تلك المبالغة فيما ذكرناه سابقاً بذكرما ختم به الشيرازي كتاب (فتح حران والرفقة وديار مضر) في الصراع مع بختيار ومن وآلاه من الديلم والأتراك فيقول بعد انتهاء المعركة في سلامه جند العضد : " فما مس أحد منهم قرح، ولا ناله جرح، ولا استشهد منهم أحد، عادة من الله تعالى لنا بإنجاح الموارد والمصادر "[٢]، وهنا مبالغة في وصف سلامه الجنود ربما دفعه ولاؤه الشديد لعضد الدولة، أو ربما ميله لإسماع الثائرين واستمالتهم وهو يصف شجاعتهم .

ثانيا : دلالات الأعلام

لقد ضج ترسل الشيرازي بأسماء الأعلام، حتى أصبحت جزءاً مهماً من معجمه الأدبي والتي وظفها في صور مختلفة:

١- **التوظيف الإخباري للعلم** : تقف الأسماء عند حدود المسمى، فهي تحتفظ بالسياق بدلالتها الذاتية وقلما تتجاوز ذلك، وهذا النوع كثير في رسائله كالأعلام في رسائله مثل " أبا القاسم بن محمد الحاجب، محمود بن سبكتكين، قابوس بن وشمكير، أبي تغلب الغضنفر بن حمدان، والديلم، والجيل، والأتراك من الخارجين عن الدار، والعرب، والأكراد، والزط " فهذه أعلام ليست لها أكثر من إخبار وليس لها إيحاءات في محيطها .

٢- **التوظيف الإيحائي للعلم**: وفي هذا الضرب من التوظيف تُساق الأسماء غالباً للتصوير، "ويختارها الكاتب عادة من قاموسه الثقافي، ولا تكون دلالة هذا النمط من أسماء الأعلام في ذاتها، وإنما يراد بها الرمز، والإيحاء، والإشارة إلى ما هو خارج حدود الاسم"[٣]، فكل ما ذكره، على سبيل المثال من أعلام بني بويه (عضد الدولة ، ركن الدولة ، عز الدولة، معز

---

(١) الثامري، رسائل الشيرازي، ص٣٣.
(٢) المصدر نفسه، ص١٦٥.
(٣) المعاضيدي علاء الدين أبراهيم، **البناء الشعري عند الفرزدق**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٢، ص ٧٣

الدولة، مؤيد الدولة) إنما يدل عل أبعاد أخرى ففي ذكرهم تاريخ وصراع تليد ومجد واعد وقوة ومنعة إلى غير ذلك من دلالات يحددها السياق .

٣- **التوظيف الايحائي لأعلام الأماكن** : لقد وظَّف الكاتب عدداً من أعلام الأماكن التي لها دلالتها الخاصة فهناك أماكن عريقة تذكر على سبيل التخليد لشهرتها بالعلم أو نحو ذلك، غير أن أعلام الأماكن عند الشيرازي جاءت جلها وهي بمثابة دلالات حرب ومنها " أذربيجان ، الأهواز، جرجان، الجبال، حران، الحسنية، رامهرمز، الرقة، سجستان، عسكر مكرم، قرميسين، قصر الجص، قلعة اردمشت، قنطرة أربق، معلثايا، الموصل، ميافارقين " أو لجمالها " فيذكر أرجان هذه المدينة المشهورة في زمنه بجمالها وخضرتها بالإضافة إلى سُلار، وهسوان من أجمل مدن إيران .

٤- **التوظيف الإعلامي لأسماء القبائل** : لم يقتصرعلى أعلام المدن والشخصيات بل وظّف القبائل من منطلق تاريخي فني لدعم النصوص، سواء كانت تلك القبائل مؤيدة لحكم بني بويه أو رافضة " كبني تغلب، وشيبان، والسيفية " فعلى سبيل المثال السيفية التي تعود إلى سيف الدولة الحمداني والذي عرف بشجاعته ومنعته، وبنو تغلب، الذين طلبوا الأمان، وبنو شيبان الذي انكسروا في معركتهم أمام البويهيين .

لذلك يبدو أن ذكر الأعلام عند الشيرازي لم يكن صدفةً، وإنما ذكرها لدلالات وإيحاءات تحمل جوانب عديدة منها، ما هو توثيقي لتثبيت الحوادث بأعلامها، ومنها ما هو جغرافي، حيث نراه قد اعتنى به، ومنها ما هو إعلامي وهو الجانب الأهم، فالشيرازي لسان الأمير عضد الدولة وهو الصحفي في الوقت نفسه، وعليه أن يكسب المعارك، ويثبت الدولة إعلامياً، فذكره لها، فيها ترهيب للعدو، ولمن يفكر أن يكون قومه كبني شيبان، أو بني تغلب، او تكون مدينة كملعاثيا، أو شهروزور أضافة إلى الجانب الأدبي، وهو نيل إعجاب الأمير المرسل إليه أو الكاتب بين يديه، بالمحصلة النهائية سيكتب الكاتب شهرة لنفسه، وسيخلد ذكره بإيراد هذه الأعلام التي بصفتها ستضفي مجداً على بني بويه بضمها تحت حكمهم .

ثالثاً: التوثيق .

عمّت المشرقَ خلال المائة الرابعة أحداثُ ومواجهات بين المسلمين وغيرهم منها ما سجَّله التاريخ ومنها ما أهمله، وتعد حقبة التسلط البويهي من أسوأ الحقب التي غزت العالم الإسلامي، إضافة إلى ما شهدته تلك المرحلة من أحداث تاريخية لها أهميتها السياسية ونتائجها البارزة وعلى مختلف الأصعدة ومنها الأدبي، والذي يهمنا هو الرسائل فكانت تحتوي على

إشارات مهمة تُزيد التاريخ وضوحاً وتفصيلاً وتتدارك أحياناً ما أهمله من حقائق ومعلومات دقيقه، وهذا ما يجعل الرسائل الديوانية من الوثائق التاريخية المهمة في التراث الأدبي، ويجعل وضعها في إعداد الوثائق التاريخية المساعدة أمراً غير قابل للاعتراض، وهنا نقصر القول على الرسائل السياسية فقط.

أ: توثيق الرسالة

حرص الشيرازي في بنائه للرسالة أن يجعل لها عنوانات تتصدر رسائله، لكننا نجد أن هناك عناوين لا تتناسب ومضمون الرسالة ، ويبدو أن ذلك يعود إلى اجتهاد المحققين[١]، ثُمَّ حرصَ بعدها أن يكتب التوقيت الزماني الذي كُتبت فيه على الرغم من وجود عددٍ من الرسائل تفتقد لكتابة التاريخ، ولكن المتأمل في سياقات بعض الرسائل يستطيع أن يستدل على السنة أو الفترة التي كتبت بها مقارنه مع الأحداث التي حوتها تلك الرسائل.

ويقول محمد محمود الدروبي عن أهمية تاريخ الرسالة: " لا يقل إثبات تاريخ إنشاء الرسالة أهمية عن إثبات أسم كاتبها فلهذه التواريخ قيمتها الأدبية والتاريخية فهي شاهد حيٌّ على أحداث تاريخية مهمة إذ نعرف بهذه التواريخ متقدمها من متأخرها "[٢] .

أما عن مطابقة اسم كاتبها فلا شك في أنها صحيحة النسبة إلى الشيرازي وقد كفانا بذلك عبد العال بقوله:" لا يعتور ذلك أدنى شك أو لبس، لأسباب كثيرة، منها ما يتعلق بمضامين الرسالة وما احتوته من أحداث وما صورته من شخصيات ومنها، وهو الأهم، أن فصولاً كثيرة مما اختاره الثعالبي في " يتمية الدهر " أو في سحر البلاغة قد ورد في مجموعة ذلك المخطوط."[٣].

أما التوثيق التاريخي فقد اتخذ الشيرازي طرائق مختلفة في إثباته، فقد حرص الشيرازي في واحدة من رسائله على ذكر التوقيت التاريخي في الشهر والسنة، وهي رسالة العهد لصاحب

---

(١) ينظر رسالة المعنونة بعنوان " الكتاب المنشأ بفتح حران والرقة والرافقة وديار مضر" في التحقيقين لكل من محمد يونس عبد العال ص ٢٣٥، ونفس العنوان عند الثامري ص ١٦٣ وعند قراءة النص كامل تبين أن هناك اختلاف وبعد لقائي مع الثامري إشار إلى أن المخطوط هكذا وجد دون التقديم والتأخير وهذا لا يعني الطعن بتحقيق عبد العال لكن هو أجتهد في تقسيم المخطوط إلى أقسام فقد جعل لوحة "٩٥" تحت عنوان " نسخة الكتاب المنشأ بعقب العبور إلى كلويذان " وهي نفس اللوحة التي جعلها الثامر تحت عنوان " الكتاب المنشأ بفتح حران والرقة والرافقة وديار مضر" ينظر الثامري، **رسائل الشيرازي**،ص١٦٣.

(٢) الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي** ، ص ٥١٥

(٣) عبد العال، **رسائل عبد العزيز بن يوسف الكاتب**، ص ١٦١.

عمان عندما أقام الخطبة وقدم الطاعة لعضد الدولة يقول فيها " وكتبت في شوال سنة تسع وخمسين وثلاثمائة "[١].

أما التوقيت المكاني فاستخدمه في أكثر من موضع فعلى سبيل المثال " كتابنا من ملعاثيا يوم الخميس في الساعة التي نزلناها غانمين ظافرين "، أو يشير إلى المكان والزمان " كتابنا من المعسكر بظاهر الموصل يوم كذا"[٢]، أو يقول: " كتابنا يوم كذا"[٣]، وكذا جرت أغلب النصوص.

وكان لموقع الشيرازي القريب من الصرعات والقضايا السياسية الأثر البالغ لأن يؤهله أن يكون مصدراً مهماً من مصادر التاريخ، ولذا فإنَّ ما نجده من نصوص تحريضية مثل قوله : "ولما كان يوم السبت التاسع من ذي العقدة "، أو قوله " وصبحناهم بكرة يوم الاحد " يمكن النظر على أنه أداء لمهمةٍ نفسيةٍ قيمة، يقصد بها الرفع من الروح المعنوية للأمير، والشعب قبل قيام المعركة وقبل أي قضية سياسية، كما يُمكن أن يُعدَّ إسهاماً استشارياً في صناعة القرار بشد العزائم، وتقوية الآمال واقتحام المعارك .

ب: توثيق الأحداث.

شهدت تلك المرحلة عدداً من الأحداث حرص الشيرازي على توثيقها، فمنها ما جرى بين البويهيين والأتراك سنة (٣٦٤ هـ) عندما استنجد بختيار بركن الدولة وابن عمه عضد الدولة في منازلة الأتراك وفك الحصار، كذلك وثقت وفاة ركن الدولة من خلال كتب التعزية التي أشرنا إليها، وما جرى عليه أمر الممالك من تقسيم بين أولاده الثلاثة، وحروب عضد الدولة مع الحمدانيين في الموصل، والهدنه مع الروم ... وغيرها من الأحداث التي تجلت معظمها في المكاتبات الديوانية .

ومن أهم النماذج على إبداعاته في التوثيق يقول في فتح حران والرقة " وكان عند حلولنا برامهرمز، مورِّين عن سمت قصدنا، ووجه عزمنا في توغّل بلاد الأهواز، وعبور الماء المُطيف بها من كل مجاز، عاملين على رأيٍ أنشأناه ونحن بشيراز، ونهجنا له طريقاً دقَّت عن الأوهام، حتى إطراد واستمرَّ وكمل وستتم، وأخرج أخاه أبا إسحاق إلى معسكر كرم، واشتعب الطريقان شعاب رأيهم، وفرقاً بين أعضادهم وأنصارهم، وبينهما رأيٌ ضلت عنه مقالده، وغالتهم رواصده،

([١]) الشيرازي، **رسائل لشيرازي**، ص١١٣.
([٢]) المصدر نفسه، ص ٣٠، ٦٥، ١٧٧.
([٣]) المصدر نفسه، ص ٣٧، ص ٤٣، ص ١٣٧.

ومكائده، إلى أن وردنا أزن[١]، وهي على الجدد الواضح إلى قنطرة أربق، وعلى سمت عسكر مكرم[٢] المتيامن، وكنَّا أخرجنا من أرجان إلى نواحي الدروق[٣] والفندم[٤] والباسيان[٥]، أبا الوفاء طاهر بن محمد في عسكر كثيف من الرجالة، والزط، وأصناف السيفية، والفرس من الأكراد، والفرسان، وضممنا إليه المعروف بالكارويّ[٦]، وأمرناهم بالظاهر بضبط تلك الحدود والأطراف موهمين أن الغرض تدبير البصرة، وأخذ الأُهب منها ومن مهربان[٧]، ورسمنا لابي الوفاء دونهم جمع المراكب، والسفن، والجنكوليات، والزواريق، والنقالات، ولما كان يوم السبت التاسع من ذي القعدة، زحفنا إليهم بنَّية الحرب، والأدلة من الباطل للحق، فاشتدت وقدة الحر، وثقل على الابدان حمل الحديد، ووجدنا الإناخة بالقرب منهم أحزم، والدلوف إليهم في اليوم الثاني أحوط، واعتصم الأعداء بمجاثم حزبهم، وموارط حينهم، متخمطين صائلين بنزغ الشيطان وإرهاجه[٨] "[٩].

وثق الشيرازي في هذا الكتاب أعلاه الفتوحات لمدن الرقة، وحران، والرفقة، وديار مضر، ويعد ما قاله ذا أهمية كبيرة في كتابة التاريخ، فهي وثائق تحفظ الحدث التاريخي قلما نجده في نوع آخر من المصادر، وما قاله الشيرازي يعد وعاءً لمعلومات لم يُنشئها إلا لكي تنقل حقيقةً معينًة لمن أراد إيصال رسالته إليه لذلك أرى أنها تأتي في مُقدمة المصادر التاريخية من حيث الأهمية.

ولقد وثق الفتح بيومه، وتاريخه، وأشخاصه، ومدنه، وقناطره، ومركباته، وقبائله، وفرسانه، مستخدماً السرد والاسترجاع فيه، واستخدم الفعل بدلالته، وغريب الكلام، ومن هذه الأسباب وتلك يبدو أن الشيرازي قد تقصد تدوين التواريخ لحفظ أمجاد البويهيين .

---

(١) قلعة في جبال همذان، ينظر الحموي، **معجم البلدان** ج١، ص ١٦٩.
(٢) بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء وهو مفعل من الكرامة وهو بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب إلى مكرم بن معزاء الحارث أحد بني جعونة بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة، الحموي، **معجم البلدان** (ج٤، ص ١٢٣).
(٣) دورق بفتح أوله وسكون ثانيه وراء بعدها قاف بلد بخوزستان وهو قصبة كورة سرق يقال لها دورق الفرس الحموي، **معجم البلدان** (ج٢، ص٤٨٣).
(٤) قال ياقوت الحموي الفندم موضع بالأهواز لا أدري ما هو، ينظر: **معجم البلدان** (ج٤، ص ٢٧٨).
(٥) بكسر السين وياء وألف ونون قرية بخوزستان ينظر: الحموي، **معجم البلدان** (ج١،ص٣٢٣).
(٦) الواو ساكنة ثم باء موحدة وآخره نون، ناحية مشتملة على عدة قرى بهمذان ينظر: **معجم البلدان**، (ج٥، ص٢٣٣)
(٧) قال مكسويه " قدم عضد الدولة أمامه أبا الوفاء طاهر بن محمد بن إبراهيم وضم إليه جماعة فيهم المعروف بالكاروى الأهواز مع جيش من رجاله القفص وغيرهم فوردوا الباسيان: ينظر مسكويه، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، (ج٦، ص٤١٥).
(٨) الرهج : الشغب ينظر: أبن منظور : لسان العرب ، مادة (رهج)
(٩) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص١٦٣.

المطلب الثاني.

التصوير

تضع الصورة بصمةً بارزةً في بنية العمل الفني الذي يتألف من مجموعة من الصور المُتصلة ببعضها في بناء يُفضي إلى توصيل الأفكار والعواصف، ولقد تغير مفهوم الصورة والنظر إليها في العمل الأدبي، وحاول النقاد تقسيم الصورة إلى أنماط مختلفة، متكئين على النص الأدبي الذي يحمل عدداً من الصورة التي يبتدعها خيال الأديب، من صور بيانية وبديعية، وصورة ذهنية ورمزية.

ويعد الجاحظ أول من تناول مصطلح الصورة الفنية حيث أشار أليها "...وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن وتخيُّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحَّة الطبع وجَودَة السَّبك فإنما الشعر صناعةٌ وضَرْب من النَّسج وجنسٌ من التَّصوير"[١].

وممن وقف عند موضوع الصورة أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين موضحاً العلاقة بين اللفظ والمعنى يقول : "الألفاظ أجساد والمعاني أرواحٌ وأنما نراها بعيون القلوب فإذا قدمت منها مؤخراً، أو أخرت منها مقدماً أفسدت الصورة وغيرت المعنى" [٢]، فاللفظ صورة والمعنى روحه وأكد العسكري دور الصورة في تجميل المعنى ، فهو يقصد الصورة اللفظية المعبرة عن المعنى، أي تراكيب الألفاظ ونظمها بما يقتضيه المعنى .

وذهب الجرجاني إلى ربط الصورة بأفنان البيان العربي، فذهب إلى أن التشبيه والتمثيل والاستعارة " أصولٌ كثيرة ، كأنَّ جُلَّ محاسن الكلام إن لم نقل : كُلَّها متفرّعة عنها، وراجعة إليها، وكأنها أقطابٌ تدور عليها المعاني في مُتصرَّفَاتها، وأقطارٌ تُحيط بها من جهاتها"[٣].

أمَّا النقاد في العصر الحديث فحسبنا الشايب بتعريفه للصورة بقوله :"هي المادة التي تتركب من اللغة بدلالتها اللغوية والموسيقية ومن الخيال الذي يجمع بين عناصر التشبيه والاستعارة والكناية وحسن التعليل"[٤]، والشايب في تعريفه هنا يجمع الدلالات اللغوية والموسيقية والبيانية.

---

(١) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م، ج٣، ص ١٣٢.
(٢) العسكري، **كتاب الصناعتين**، ص ١٧٩
(٣) الجرجاني ، **أسرار البلاغة في علم البيان**، ص٤١.
(٤) الشايب ، أحمد، **أصول النقد الأدبي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ط(١٠) ١٩٩٤، ص٢٤٩.

وبما أن الكتَّاب في القرن الرابع هم أنفسهم كانوا شعراء أو يكتبون الشعر، لذا جاءت عنايتهم بالتصوير والخيال في رسائلهم حتى تكون قريبة من القصائد الشعرية، لا سيما أن الكتَّاب كانوا هم أنفسهم المادحين والمهنئين والمعزين والشاكرين في رسائلهم بسبب " انحراف اللغة من وظيفتي الأدراك والمعرفة في القصيدة والرسالة إلى وظيفتي التأثير والانفعال"[١].

ويلجأ الشيرازي للخيال من أجل بناء صورته الفنية، فتراه يحشد الصور الجزئية المتمثلة بالتشبيهات، والاستعارات، والكنايات، والمجازات، لتكوين الصورة الكلية والتي تعطي تصوراً أشمل للموضوعات المراد التعبيرعنها، وبالتالي فإنها تفسح المجال لأطلاق العنان للخيال، في أفق واسع، كي يحوَّل الجمادات إلى كائنات حية تنبض بالحياة، ويحول الصورة الغائبة حسياً إلى صورة ذهنية.

أولاً : الصورة التشبيهية

التشبيه: الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ المِثْلُ والجمع أَشْباهٌ وأَشْبَه الشيءُ ماثله[٢] قال تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ)[٣].

ويقول صاحب البرهان ي وجوه البيان في منزلة التشبيه : " أشرف كلام العرب وفيه تكون الفطنة والبراعة "[٤]، ويعرفه السكاكي بقوله : "مستدع طرفين، مشبهاً ومشبهاً به واشتراكاً بينهما من وجه، وافترقاً من آخر، أي يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة، أو بالعكس"[٥]، بينما يؤكد العسكري إلى أهميته كونه يزيد المعنى وضوحاً وتوكيداً ، فقال: "والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيداً "[٦].

فأسلوب التشبيه يمكَّنُ للكاتب أن يظهر أشياء معينة عن طريق اشتراكهما في صفة أو أكثر" لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه "[٧]، وفي صورة تشبهية جميلة يحضر الشيرازي طرفي التشبيه مع ذكر الأداة التي تكسب التشبيه كماله بقوله: " وأنه كالفراش : تدور على حينها ولا تعدوه عدوة طيشها "[٨] وهو يصور أبا تغلب بالفراشة الطائشة التي تدور حول نفسها، من

---

(١)خالد عبد الرؤوف جبر ، **الصورة الفنية في رسائل العصر المملوكي الأول** ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، المجلد (٨) العدد (١) ٢٠١٢ ص ٣٧ .
(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شبه)
(٣) سورة الأنعام : الآية ٩٩
(٤) ابن وهب الكاتب، **البرهان في وجوه البيان**، ص١٠٧.
(٥) السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٣٣٢ .
(٦) العسكري، **كتاب الصناعتين** ، ص٢٦٥.
(٧) القيرواني، **العمدة**، ص٢٨٦
(٨) **الشيرازي، رسائل الشيرازي**، ص ٢٢.

سوء سياسته وتقلبه وأنكاثه للعهود ، فهو أجهل من تلك الفراشة التي تلقي بنفسها إلى النار بعدائه لعضد الدولة ، وقوله فيه تناص مع المثل القائل " أَجْهَلُ مِنْ فَرَاشَةٍ "[1] .

ويحرص الشيرازي على عرض صورة أبي تغلب وهو سائر إلى الحرب بمن يتخبط بنوق عمياء بقوله:" وهو في هذا يخبط العشواء"[2]، وهي أشارة إلى المثل السائر "يَخبِط خَبْطَ عَشْوَاءَ "[3]، يضرب للذي يُعرِض عن الأمر كأنه لم يشعر به، ويضرب للمتهافت في الشيء.

وفي صورة الفتح يشبه الشيرازي جيش عضد الدولة بالبنيان المرصوص بقوله : "واحموا السور بصفوف كأنهم بنيان مرصوص"[4]، وهذا ما يظهر عليه في هذا التشبيه، والذي يصف فيه قوة ومنعه، جيش الأمير وهم كالآلة القوية الضاربة في الهدم والثلم، وهنا تشبيه المفرد بالجمع وهو تشبيه حسي وأطراف التشبيه واضحة وهي، المشبه: جيش الأمير "هم "، والمشبه به " البنيان المرصوص "، والأداة " الكاف"وجه الشبه " القوة والمنعة"، وهو تناص مع الآية القرآنية في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [5]فهو يوظف طاقته الدينية واللغوية ، ويبتغي من ذلك التشبيه تعظيم الفتح وتزين قائده.

وفي كتاب الهدنة مع الروم يقول الشيرازي من ذلك النص النثري عن الطرف المفاوض من قبل الروم: " وورد في صحبته رسول كالوزير لهم "، كي يعطي صورة لقوة المفاوضات بعد أن يشبه المفوض من قبل الروم من هو برتبة وزير، ربما أراد الشيرازي من قدوم المفاوض إلى أرض المسلمين نصراً لهم وهذا ما يؤكده النص عندما يقتبس من القران الكريم من قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢١ ﴾ [6].

وفي صورة جميلة كتب الشيرازي إلى الصاحب في الشوق إليه " كتابي – أطال الله بقاء مولاي – وأنا كالسلوب الرائم تفلتاً إليه وتلفُّتاً إلى حظَّي كأنَّه بقربه، ووحشة لما أفاتتنيه الأيام بعد الإفادة، ونازعتنيه غبَّ الإعادة من مُشاهدةِ حضرته، وإلى الله أشكو البين كما كنتُ أشكرُ

---

(1) الميداني، **مجمع الأمثال**، (ج١، ص١٨٨).
(2) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٢٤.
(3) الميداني، **مجمع الأمثال**، (ج٢، ص٤١٤).
(4) الشيرازي ، **رسائل الشيرازي**، ص٣٥
(5) سورة الصف، الاية : ٤
(6) سورة الحديد الآية ٢١، سورة الجمعة: الآية ٤.

والشَّملُ جميع ومرتع الأمل مريع، وظل النَّعيم ظليل، وجنات الأُنس مأهول"[1]، ويذكر البيت التالي.

ما أقدَرَ الله أن يُدنى على شحط من دارُهُ الحزنُ مَّمن دارُهُ صول

لقد تظافرت أغلب عوامل الصورة في هذه القطعة النثرية فبالإضافة إلى الصيغ البديعية التي وظفها الكاتب من جناس وسجع لكي يضفي على النص صورة من التشبيه الجميل في قوله: " "كالسلوب الرائم " فاسم الناقة واقع على هذه الصفة من الإنسان، والكاف للتشبيه، وإنما يريد في هذه التشبيه أن السلوب إذا ألقت ولدها قبل تمامه فليس الفحل على شيءٍ هو أحرص منه، فحال الشيرازي في الشوق والحنين كحال الناقة، وهذه الصورة تدُل على هوس الكاتب وشغفه بحب الصاحب، وجعل هذا الهوس يظهر في جناسه بين، " تفلّت وتلفت "، وحتى تكتمل الصورة فإنَّه يصَّور لنا مشهداً هو الأجمل، عندما يخيُّل للسامعين أنُّ الصاحب يحظُرُ ويُراقب هذا المشهد المفجع في قوله: " وتلفُتاً إلى حظي كانه بقربه " وهو هنا يؤكد على هذا الحال فجاء بهذه الأداة " حيث التشبيه بكأن أبلغ من التشبيه بالكاف، لما فيه من توكيد، لتركبها من الكاف ، وأن"[2].

ثانياً: الصورة الاستعارية :

الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي، وهي على حد تعريف الجرجاني نقل الكلمة من معناها اللغوي إلى معنى أخر لم تعرف به يقول في تعريفها " اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون اللفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنَّه أختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية "[3].

وقد احتاج العرب إليها لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم، وهذا ما أشار إليه قدامة بن جعفر بقوله :" وأما الاستعارة، فإنما احتيج في كلام العرب لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم، وليس في هذا لسان غير لسانهم، فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة ربما كانت مفرده له، وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره"[4].

([1]) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص١٥٠.
([2])المراغي أحمد مصطفى، **علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع**، المكتبة العصرية، بيروت ، ط(١) ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص١٩٥
([3]) الجرجاني، **أسرار الأعجازفي علم البيان** ، ص ٢٩.
([4]) أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **نقد الشعر**، ص٧١.

وفي القرن الرابع تنبه الأدباء والكتَّاب البلغاء إلى التعبير بالاستعارة، بوصفها وسيلة مهمة من وسائل التصوير الفني، وأداء فاعلة لملكة لخيال ومن هنا استخدموها في مكاتباتهم الأدبية وترسلهم، والشيرازي من الكتَّاب الذين برعوا في استخدام الاستعارة حتى أننا أخذتنا الدهشة عن توظيفها في رسائله ايَّما توظيف.

ومن الباحثين من أعتبر الصورة الاستعارية مرحلة متقدمة على الصورة التشبيهية وهم يرجعون في ذلك إلى أن الاستعارة تتطلب عقلية ناضجة، صقلتها الحضارة، وأمدَّتها الخبرات والتجارب المتراكمة وهو ما لا يتطلبه التشبيه ؛ لأنَّه أطول من الاستعارة وأقلها أثراً[١].

ويرى الباحث أن علاقة الاستعارة بالتشبيه علاقة الأصل بالفرع أو العكس وقد تؤدي الاستعارة أكثر مما يؤديه التشبيه في تشكيل الصورة لانها أكثر قدرة على تخطي الواقع ورسم صورة جديدة بما فيه من دعاء وخيال، ومهما يكن من اختلاف بين التشبيه والاستعارة أو الربط بينهما فإن الاستعارة دخلت في الإطار العام لكلمة الصورة واعتبرت أداة من أدوات بنائها.

ورسائل الشيرازي فيها الكثير من الصور الاستعارية منها البسيطة ومنها المعقدة، ففي فتح البصرة عند بداية النص يرسم لنا صورة في شد العزائم ورفع المعنويات وأبلغها صورة القائد الذي " استقود المصاعب ومتابعة الفتوح واستذلال الخطوب "[٢]، وهنا استعارتان أصليتان مكنيتان[٣]، شبه الشيرازي المصاعب بحيوان أو بقوةٍ ليس من اليسير التحكم بها غير أنَّ القائد تمكن منها فقادها ، فحذف المُشبه به وأبقيت في الكلام لازمة من لوازم تدل عليه باعتبارها قرينة لفظية مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وهي لفظة أستقود، وفي إذلاله للشدائد حيث شبهها بإنسان جبَّار لا يمكن قهره، وبالرغم من ذلك فقد أذله عضد الدولة فحذف المشبه به، وأبقيت في الكلام لازمة من لوازمه تدل عليه باعتبارها قرينة لفظية مانعة من أرادة المعنى الحقيقي، وركنا هذه الصورة هما الجيش والقائد الذي لا ينفك أن يُطرِيهما ففي خياله قائد عظيم وجيش جبار.

وفي مشهد ثان في النص نفسه يحرص الشيرازي على تقديم صورة من الاستعارة المكنيةً بقوله:" حتى لا يتنفس الصبح إلا من غادية نُجح " فقد شبه الصبح بكائن حي يتنفس وهذا

---

(١) موسى، علاء الدين زكي علي، **المظاهر الحضارية في الرسائل الفنية في القرن الرابع الهجري**، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية ٢٠١٢م، ص ٢١٤

(٢) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص٥.

(٣) هي أن يكون المستعار اسم جنس، السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، **مفتاح العلوم** ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه : نعيم زرزور، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٧، ص ٣٨٠ ، **والاستعارة المكنية**: هي التي لم يصرح فيها اللفظ المستعار وإنما يذكر ما يدل عليه، الميداني عبد الرحمن بن حسن ، **البلاغة العربية** ، الناشر دار القلم، دمشق، دار الشامية بيروت، ط١، ١٩٩٦، ج٢، ص ٢٤٣

تناصٌ قرآني إشارة إلى الصبح في قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾[1]، يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية " هو أظهر حيوية ، وأشد أيحاء، والصبح حين يتنفس، أنفاسه النور والحياة والحركة التي تدب في كل كائن حي ، وأكاد أجزم أن اللغة العربية بكل مأثوراتها التعبيرية لا تحتوي نظيراً لهذا التعبير عن الصبح ، ورؤية الفجر تكاد تشعر القلب المتفتح أنه بالفعل يتنفس، ثم يجيء بهذا التعبير فيصور هذه الحقيقة التي يشعر بها القلب المتفتح "[2].

وفي صورة فتح حران، والرقة، والرافقة، وديار مضر، كانت الرسالة عبارة عن لوحة رسمها باستعارات تصريحية قوله " أحاط بهم ريب المنون، ودارت عليهم رحى الحرب الزبون"[3]، وهنا استعارة تصريحية، وظفها الكاتب من التراث في خدمة كتابه، فقد عبر الكاتب بالريب عن الحوادث، والريب الشك، وشبهت الحوادث بالريب أي الشك، لأنها لا تدوم ولا تبقى على حال، وقوله : "ودارت رحى الحرب" استعارة أيضاً في اشتداد الأمر وهي استعارة لعملية الطحن، لأن الحرب لاينتج عنها إلا الدمار والقتل والقرح، فجاء بالزبون ومن الزبون الزبانية وفيه تشبيه الحرب بالناقة الزبون، التي تزين حالبها وتدفعه برجلها[4].

وفي صورة العهد وهي صورة متكررة عن أغلب الكتاب والتي يصفها خالد عبد الرؤوف الجبر هذه الصوربقوله: " بأنها جامدة لا تثير في النفوس ما تثيره صور المعارك" [5]، والسبب يرجع في ذلك من وجهة نظر الباحث إلى الإلتزام الديني في هذه الموضوعات.

وفي رسالة كتبها الشيرازي لصاحب العهد في عُمان نلاحظ صورة دينية إرتدت ثوب الإسلام " وأسعفناك بما التمسته من إقرارك على ولاية عُمان مُحسنين من عهدٍ أحكمته في الوفاء من عقد، وأمرناك أمام ما فوضناه إليك وعزمنا باتباعه عليك ، بالتقوى لله ، فإنها أقوى عُصرة ، وأوقى جنة وعصمة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ال عمـــران ١٠٢ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا

([1]) سورة التكوير: الآية ١٨
([2]) قطب، سيد، **في ظلال القران**، دار الشروق، بيروت، القاهر، ط ١٧، ١٩٩٢، ج٦، ص ٣٨٤٢.
([3]) الشيرازي، رسائل الشيرازي، ص ١٦٤.
([4]) الأصفهاني، أبو على المرزوقي ، **شرح ديوان الحماسة** ، ت غريد الشيخ ، وضع فهارسه العلامة ، إبراهيم شمس الدين ، الناشر : دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ط ١، ٢٠٠٣ م، ص ٣٣.
([5]) خالد، الصورة الفنية في رسائل العصر المملوكي، ص٥٥.

فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة ١٩٧

وان تحافظ على الصلوات المفروضات قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ البقرة ٢٣٨ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت ٤٥ .

ثالثاً: الصورة في الكناية.

الكناية لغة أن تتكلم بشيء، وتريد به غيره وهي مصدر (كنيت) بكذا عن كذا : إذا تركت التصريح به[١]، وكذلك جاءت بمعنى الستر والخفاء[٢].

ويعرفها عبد القاهر الجرجاني بتوضيح أكثر دقة فيقول :" أن يريد المتكلم إثبات معنى الوجود، فيوميء به إليه، ويجعله دليلاً عليه "[٣]، وقد قرنها العسكري بالتعريض[٤].

أما قدامة بن جعفر فقد أطلق عليها الإرداف وعرفها بقوله :" الإرداف أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دل على التابع أبان المتبوع"[٥].

من الباحثين من عرفها بقوله : " هي من عناصر العدول الدلالي الذي يلجأ إليه الأديب للتوسع في كلامه والانزياح به عن الخطاب المباشر، وبهذا يكسب النص أدبيته من خلال كسر العلاقة النمطية بين الدال والمدلول "[٦].

---

(١) المراغي، **علوم البلاغة ،البيان والمعاني والبديع** ، ص٢٥٤ .
(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كنى).
(٣) الجرجاني، **دلائل الأعجاز**، ص٦٦.
(٤) عرفها العسكري بقوله: " الكناية والتعريض أن يكنى عن الشيء يعرض به ولا يصرح، على حساب ما عملوا بالتورية عن الشيء " **العسكري، كتاب الصناعتين**، ص٢٨٦.
(٥) أبو الفرج، **قدامة بن جعفر** ،نقد الشعر، ص١٥٧.
(٦) الكلابي، مكي محي عيدان، والمدني، كريمة نوماس محمد، **البنيات الأسلوبية للكناية في الرسائل المشرقية الفنية إبان القرن الثامن للهجرة**، مجلة جامعة أهل البيت، العدد السادس عشر، ص٢٢١.

وقد شكلت الكناية صورة بيانية بارزة مكنت الشيرازي وغيره من البلغاء والكتَّاب، أن يُعبَّروا عن المعنى الواحد بطرائق مختلفة، فهي أحدى فنون التعبير الفني التي تضفي على الكلام جمالاً وتشويقاً وإبانة ووضوحاً، وهذا ما نجده في كتاب الأمان فقد كانت أحدى أهم دعائمه في بناء الصورة، وذلك للطافة المعنى بها، والدلالة تكون بالتعريض على التصريح ، فيقول في وصف قائد بني تغلب :" هام على وجهه داني الأمل ، منبت الأجل ، يقدمه الذل ، يرهقه الخوف " تعبيراً عن صورة الخائف الذليل ، المستجدي للحياة ، طالب العفو والسماح إن وجد ، فقد دنى أجله وهي كناية عن قرب موته، صورة في غاية الوصف الدقيق التي تعبر عن نهاية حياته، ومنبت الأمل كناية تعبر عن فرصه في الحياة ، فقد اتضحت بانها ضعيفة جداً فهي لازالت بطور النمو، ويقدمه الذل وهي كناية عن كبر حجم الهزيمة ، والذل ضد العز وهو كناية عن الهزيمة فلو تقدمه العز لكان النصر حليفه، ولكنه قد تقدمه الذل وبذلك فالهزيمة هي من كانت تقوده، ويرهقه الخوف كناية عن الرعب والخوف الذي يمر به ، فهذا تصوير دقيق اعتمد فيه الكاتب على التلميح لا التصريح ، بالإضافة الى ذلك فقد قسم الكاتب ووازن في كلامه فكانت له أهمية كبيرة في دعم وبناء الصورة .

كما أن الكناية عند الشيرازي كثيراً ما ترد وهي متوشحة بوشاح الدين يقول:" وأن تفيض بالعدل وتُنشر أعلامه، وتميط الجور، وتبطل أحكامه، وتفتح للرعايا بابك، وتفسح لهم جنابك، وتوطئ لكافتهم أكنافك وتقبض عنهم الأيدي العابثة، وتقصر دونهم الخُطى العائرة "[1].

تدل تلك الصورة على معرفة الشيرازي بعلوم الدين، وحفظه للقرآن الكريم ففي ذكره للآيات القرآنية يوردها متتابعة دون تقديم وتأخير، والذي يهمنا من تلك القطعة النثرية الصورة فقد استخدم الطباق في" تفيض العدل " و"تميط الجور" والمعروف بأن الجور نقيض العدل، وهنا كنايتان في النص " الأيدي العابثة والخطى العاثرة " الأولى عن السراق والمخربين، والثانية عن الفسادين في الأرض، وهو يرسم صورة في الحزم والعزم على أمثال هؤلاء، والصورة التي يجب أن يكون صاحب العهد عليها.

ويستمر على هذا النحو ليؤكد في تناصه على أنَّ الكناية لم تكن من طبعه وإنما كان يتعمدُ في إيتائها، فالذي يبدو أن الشيرازي كان قاصداً لما يكتب وهذا ما نجده في قوله :" أغطش ليلها وأخرج ضحاها " وهي كناية عن شدة الظلمة وهذه مستقاة من كتاب الفتح وهنا يريد أن يشير إلى أن بعد كل ظلمة ضياء، وبعد كل هزيمة نصر، وبعد كل ليل مظلم ضحى، وهذا النصر المتوالي

([1]) الشيرازي، **رسائل الشيرازي**، ص ١١٢.

الذي يربطه الكاتب بالعامل الزمني وهو الليل والضحى إنما يدل على التجدد والاستمرار، فجعلها جديدة تتجدد كل يوم لايملها الناس كما لا تمل الإشراق والمغيب، إنه فعل الكاتب الحذق عبد العزيز بن يوسف الشيرازي.

الخاتمة والنتائج

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن وآلاه، ومن اقتفى أثره واهتدى بهداه وبعد.

من أهم النتائج التي استخلصتها هذه الدراسة، بعد هذه الرحلة في الترسل الفني لكاتب مهم عاشها لفترة طويلة، هي.

١. أن الرسائل الديوانية دخلت الأدب من أوسع أبوابه، لاعتبارات كثيرة أهمها أن منشيئها ومنهم الشيرازي هم صفوة الأدباء في عصرهم، فالخليفة والسلطان لا يختاران لهذه المكانة إلا من برز من الأدباء، علماً، وفناً، وبلاغةً.

٢. تمكن الشيرازي من توظيف الرسائل الديوانية وجعلها الوسيلة الإعلامية الأولى خاصة في الموضوعات الحربية والسياسية، فنفَّذ كل ما تميل إليه سياسة بني بويه .

٣. تمكن الشيرازي من توظيف موضوعات الشعر في النثروخاصة في المكاتبات الشخصية، ورده إلى التاريخ الفارسي الذي وصلنا نثراً، فأصبحت الأغراض الشعرية تكتب نثراً لا سيما في المدائح والمراثي والتهاني والتعازي والشوق والشكوى، وغيرها وفي رسائل موجهة إلى الأحبة والساسة.

٤. تمكن الشيرازي من تغطية جميع الموضوعات والأغراض سواء كان في رسائله الديوانية أو الشخصية، إلا أن مجال حريته في الكتابة جعله يكون أكثر أبداعاً وأوسع مجالاً في إخوانياته.

٥. وكما تفنن الشيرازي في موضوعات الرسائل وأغراضها، فقد أجاد في اللمسات الفنية في مقدمات الرسائل، وخواتيمها، وحسن التخلص إلى الموضوع، حيث لم تكن له طريقة واحدة، بل استخدم أساليب مختلفة في المقدمات والتخلصات والخاتمات .

٦. استخدم البديع بألوانه المختلفة بكثرة ولم يبالغ كما فعل سابقوه في الأسجاع، حيث جاءت أغلبها قصيرة، أما جناساته فكانت فطرية لا يتكلف فيها كثيراً ترجع في أغلبها إلى أصل لغوي واحد، وجعل التكرارعنصراً من عناصر البناء الموسيقي، واستخدم الطباق والمقابلة بكثرة في كتب الفتح، لأنها موجهة إلى الناس عامة ويحتاج في ذلك إلى إظهار المعنى.

٧. لم يستعمل الشيرازي في هذه الحقبة الدخيل من المفردات والتراكيب التي طرأت على العربية من الفارسية إلا نادراً، على الرغم من تحكم العنصر الفارسي أثناء هذه الفترة وكان أغلبها أعلام الشخصيات والمدن .

٨. أظهر قدرته المتميزة في الجانب الفني، فقد اتخذ شكلاً فنياً جديداً يختلف في بعض جزئياته عما إلفناه في رسائل سابقيه، فصارت رسائلهُ على اختلاف موضوعاتها وأغراضها تخلو من الاستفتاح المعروف، وتبدأ بالدعاء للمرسل إليه، أو بالمنظوم من الشعر، أو بالدخول في الموضوع مباشرة أو استخدام الألقاب التي تتناسب ومن يكتب إليه أميراً كان أو وزيراً أو صديقاً.

٩. تميزت رسائل الشيرازي بالوضوح، والسهولة، وهما سمتان تدلان على الذوق والفطرة السليمة، ولا تميل بالغالب إلى الغموض والتعقيد.

١٠. ليست رسائل الشيرازي على مستوى واحد بل كانت متفاوتة من حيث الإيجاز والإطناب، فهي تقصر وتطول حسب موضوع الرسالة، إلا أن سمة الإطناب تكثر في موضوعات الرسائل الديوانية، وعلة ذلك أن أغلبها موجه إلى الشعب عامة.

١١. حرص الشيرازي على الاقتباس من القران الكريم والحديث الشريف، كما حرص على تضمين رسائله الأمثال والحكم، وهذا يدل على معرفته بالعلوم الدينية.

١٢. الصورة الفنية الرائعة التي رسمها من خلال أدوات البيان، مستعيناً بخياله الواسع، وتسنمه ناصية اللغة، جاعلاً من رسائله لوحات فنية.

١٣. من خلال دراسة الرسائل للشيرازي في هذه الحقبة، تبين أن الرسائل من الفنون الأدبية الرائعة التي استطاع أن يمتاز بها الشيرازي، فأتت في أجمل صورها، وكانت لكثرة ما حوته من الألوان البلاغية أفضل مثال من أمثلة النثر الفني.

فالحمدلله على ما أعان ووفق وله الحمد في الأولى والآخرة، وله الثناء الحسن الجميل فهو نـــــعم المـــولى ونعـــم النـــصير..

Abstract
The lettrs Abi al Qasim Abdul Aziz Bin Yuosif al Katib

Athematic
Student
Mones Abbas Abdul-Raheem
Supervised by
Maha Almubaideen

The study "addressed the lettrs at Abi al Qasim Abdul Aziz Bin Yuosif called Al Shiraz , who lived in Buehian Era and he was a writer for tham until he died 338 hijiri.

The study contained a preface and two chapters. The preface addressed letters in language and terminologicaiiy, the emergence of letter, its development from Jahilyya to AI Shirazi period . the second domain addressed the life of rhs writer, the letter at Al shirazi, their types (conquests, vows, security and truces) which are termed Dewani letters (administration letters) and the personal letters (brotherhoods and literature letters) and each is divided to several subtype.

In the second chapter, the study addressed the artistic of Al Shirazi,s letters; including structurs, rhetoric , semantics and figuration. The study concluded that Al Shirazi has written in his Dewan was very important as in it documented several historical events in the Abbasid state. These events were included in his Dewan letters.

Furthermore, Al sh irazi has become the spokesman in wars, in peace and for journeys, his embassador to the different districts. The purposes of lebtters varied for Al shirazi as it exceeded the use of poetry in several occasions. The study highlights the artistic fiqure based on analoqy, metaphor and metonymy, their relationship with the writers background, relationships with figures of speech, the use of Quranic verses, Hadeeth and quoting some Arab poetry and proverbs

قائمة المصادر و المراجع

- **ابـن الأثيـر**، أبـو الفـتح ضـياء الـدين نصـر الله بـن محمـد بـن محمـد بـن عبـد الكـريم الموصـلي،(ت٦٣٧هـ) **المثل السـائر فـي أدب الكاتـب والشـاعر**، تحقيـق: محمـد محـي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.
- **ابن الأثير**، عز الدين بن الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٢٠هـ) ، **الكامل في التـــاريخ** ، تحقيــق: خليــل مــأمون شــيما، دار الكتــاب العربــي، بيــروت، الطبعــة الأولى،٢٠٠٢م
- **الأزهري**، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (ت ٣٧٠هـ)، **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**، تحقيق: محمد جابر الالفي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت،ط (١) ١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م.
- **إبراهيم**، وليد عبد المجيد، **علم المعاني**، مؤسسة الورق، عمان الطبعة، الأولى٢٠٠٠م.
- **أدم ميتز**، أبو ريدة محمد عبد الهادي،**الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، (د، ت)
- **الأصفهاني**، أبوفرج (٣٥٦هـ) ،**الأغاني**، تحقيق: سميرجابر، دارالفكر، بيروت، الطبعة الثانية (د، ت).
- **الباخرزي**، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الطيب(٤٦٧هـ)، **دمية القصر وعصرة أهل العصر**، تحقيق : محمد التونجي، دار الجيل، بيروت١٩٩٣م.
- **البديعي**، يوسف الدمشقي، (ت ١٠٧٣هـ)، **الصبح المنبئ في حثيثة المتنبي**، تحقيق: مصطفى السقا وزميله، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٣٨م.
- **أبو البقاء الكفوي**، أيوب بن موسى الحسيني(١٠٩٤هـ)، **كتاب الكليات**، تحقيق :عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩هـ -١٩٨٩م.
- كاربل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، دار المعارف، القاهرة (ط٥)(د، ت).
- **تليمة** عبد المنعم، **مدخل إلى علم الجمال الأدبي**، دار الثقافة، القاهرة ، ١٩٧٨م.
- **التنوجي** ، محمد ، **المعجم المفصل بالأدب**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.
- **التّنُوخي**، أبو علي الحسن بن علي (ت٣٨٤هـ)، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٥ م.

- **الشيرازي ، رسائل الشيرازي**(٣٨٨هـ)، تحقيق : إحسان ذنون الثامري ، دار صادر، بيروت، الطبعة الاولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- **الثعالبي،** أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري(٤٢٩هـ)، **لباب الآداب،** دار الكتب العلمية، بيروت ، تحقيق: أحمد حسن لبج، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م.
- **الثعالبي،** أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (٤٩هـ)، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،** شرح وتحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٨٣م.
- **الجاحظ،** أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، **البيان والتبين** ، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٦٨م.
- **الجاحظ،** أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، **الحيوان،** تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.
- **الجرجاني،** أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، **دلائل الأعجاز،** تحقيق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- **الجرجاني،** علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ) **تعريفات الجرجاني،** ضبطه وصححه جماعة من العلماء بأشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٨٣م.

- **جرجيس،** محمد صالح رشيد، **المقالة الأدبية في أدب احمد أمين،** أطروحة دكتوراه، ص ١٥٥.
- **الجهيشاري،** أبو عبدالله محمد بن عبدوس(٣٣١هـ) ، **كتاب الوزراء والكتاب** ، تحقيق: مصطفى السقا، أبراهيم البياري، وعلي محمد البجاوي، مطبعة الحلبي، دمشق الطبعة الثالثة١٣٥٧هـ -١٩٣٨م .
- **الجواليقي،** أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، **المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم،** (ت ٥٤٠هـ) ، تحقيق:ف .عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط(١)، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م
- **الجوزي،** جمال الدين أبو فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت (٥٩٧هـ)، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك،** تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى، ١٩٩٢م.

- **حجاب،** محمد نبيه، **بلاغة الكتاب في العصر العباسي** ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ،١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- **ابن حجة الحموي،** تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت ٨٣٧هـ)، **خزانة الأدب وغاية الأرب،** تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م
- **الحسن،** غانم جواد رضا، **الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري،** دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- **ابن حمدون،** أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت٥٦٢هـ) ،**التذكرة الحمدونية،** تحقيق: إحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- **أبو حيان التوحيدي،** علي بن محمد ابن العباس، **الإمتاع والمؤانسة،** تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣ م .
- **الخطيب البغدادي،** أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، (ت٤٦٣هـ)، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام،** تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- **الخفاجي،** أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد ابن سنان (٤٦٦هـ)، **سر الفصاحة،** دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ،١٩٨٢م.
- **ابن خلكان،** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** تحقيق أحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧١م.
- **ابن دريد الأزدي،** أبو بكر (ت : ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة،** تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الاولى ، ١٩٨٧م.
- **الدروبي،** محمد محمود، **الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري،** دار الفكر للطباعة، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- **الرازي،** محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر(٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح،** تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، الطبعة الأولى ، هـ١٤١٥ - ١٩٩٥م.
- **الحراني،** هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ (ت ٤٤٨هـ)، **رسوم دار الخلافة،** تحقيق ميخائيل عواد، دار الرائد العربي – بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

- **الرافعي،** مصطفى صادق، (ت١٣٥٦هـ) **تاريخ آداب العرب،** دار الكتب العربي، لبنان، (ط٤) ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م
- **الرضي،** محمد ابن أبي أحمد الحسين الموسوي العلوي(٤٠٦هـ)، **ديوان الشريف،** شرح وتصحيح: أحمد عباس الأزهري، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان.
- **رومان،** ياكبسون ، **قضايا الشعرية،** ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، (ط١)، ١٩٩٨م.
- **الزركلي،** خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت ١٣٩٦هـ)، **الأعلام،** دار العلم للملاين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م .
- **الزمخشري،** أبو القاسم جارالله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (٥٣٨هـ)، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار،** تحقيق: سليم النعيمي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٩٨٠م.
- **الزهيري،** محمود غناوي، **الأدب في ظل بني بويه،** دار أسامة، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م .
- **السباعي،** بيومي بيك، **تاريخ الأدب العربي، البيان العربي،**١٩٥٢م، (د، ت)
- **السَّراج** محمد علي، **اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب والنحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل،** دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣.
- **السهيلي،** أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن احمد،(ت٥٨١هـ)، **نتائج الفكر في النحو،** دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢.
- **سيبويه** أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ، **الكتاب** ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط(٣) مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- **الشايب**: أحمد، **الأسلوب** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٤١١هـ - ١٩٩٢م .
- **الشايب** ، أحمد، **أصول النقد الأدبي،** مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة ١٩٩٤، ص٢٤٩.
- **الشنطي،** محمد صالح، **فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه** ،دار الأندلس،حائل، الطبعة الخامسة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- **الصاحب بن عباد،** أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد الطّالِقاني الأصفهاني(٣٨٥ هـ)، **المختار من رسائل كافي الكفاة الصاحب بن العباد** (ت٣٨٥هـ) ، تحقيق: إحسان ذنون الثامري، منشورات الجامعة الإسلامية،عمان، ٢٠١٤م .

- **الصّفدي**، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله(٧٦٤هـ)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر، دار إحياء التراث ، بيروت،٢٠٠٠م .
- **صفوت**، أحمد زكي، **جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهية**، دار المطبوعات العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م.
- **الصلابي**، علي محمد، **معاوية بن أبي سفيان (شخصيته وعصره)** دار الأندلس، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- **ضيف ، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**، دار المعارف، القاهرة .
- **ضيف**، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة عشر(د، ت).
- **ضيف**، شوقي، **تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الاولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- **ضيف**، شوقي، **تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الحادي عشر.
- **الطبري**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت٣١٠هـ)، **تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك**، دار التراث، بيروت الطبعة الثانية١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.
- **العاني**، ضياء عبد الرزاق، **الصورة البدوية في الشعر العباسي ٣٣٤- ٦٥٦هـ** ، دار دجلة عمان، الطبعة الاولى، ٢٠١٠م .
- **عبد العال**، محمد يونس، **رسائل عبد العزيز بن يوسف**، دراسة وتحقيق، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهر، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩م .
- **أبو العباس، عبد الله** بن محمد المعتزبالله بن المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد العباسي (ت: ٢٩٦هـ) **البديع في البديع**، دار الجيل، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- **ابن عبد ربِّه**، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي(٣٢٨هـ) ، **العقد الفريد**، شرحه وظبطه وصححه وعنون موضوعاته: أحمد امين، وأحمد الزين، وإبراهيم الابياري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٨٣م.
- **العتيق**، عبد العزيز، **الأدب العربي في الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- **العتيق**، عبد العزيز، **علم البديع**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- **العديم**، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق : سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ،(د،ت)
- **العسكري**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٩٥ هـ)، **ديون المعاني**، الناشر دار الجيل، بيروت (د، ت)
- **العسكري**، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل(ت ٣٩٥هـ) ، **كتاب الصناعتين** ، تحقيق :مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨١م .
- **العسكري**، الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران، (ت ٣٩٥هـ)، **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، مصر، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م
- **عيسى**، فوزي سعد، **فن الترسل في القرن الثالث الهجري**، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١م.
- **الفارابي**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩١هـ)، **الصحاح**، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت .
- **الفراهيدي**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (١٧٤هـ) ، **كتاب العين** تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال(د، ت) .
- **فضل**، صلاح، **النظرية البنائية في النقد الأدبي**، دار الثقافة، بغداد ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧م.
- **أبو الفرج** قدامة بن جعفر البغدادي (ت٣٣٧هـ)، **نقد الشعر**، تحقيق وتعليق: عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية ، بيروت (د،ت).
- **القزويني**، أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م .
- **القلقشندي**، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبدالله بن أحمد (٨٢١هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الأنشاء**، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٣٤٠هـ ١٩٢٢م .
- **القيسي**، فايز عبد النبي فلاح، **أدب الرسائل في الاندلس في القرن الخامس الهجري**، دار البشير، عمان ،الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ،
- **ابن كثير**، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، (د، ت).
- **كحالة**، عمر بن عبد الغني الدمشقي (ت ١٤٠٨هـ) **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، م١٩٩٤.

- **كحالة،** عمر رضا، **معجم المؤلفين،** دار إحياء التراث العربي، بيروت (د، ت)
- **المراغي** أحمد مصطفى، **علوم البلاغة ،البيان والمعاني والبديع** ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط(١) ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م
- **مسكويه،** أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (٤٢١هـ)، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم،** تحقيق: أبو القاسم إمامي الناشر، سروش، طهران، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٠م .
- **مصطفى** إبراهيم، الزيات أحمد، عبد القادر حامد، النجار محمد، **معجم الوسيط،** ت مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- **المقداد،** محمود، **تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية،** دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .
- **المقداد** ، محمود، **تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام** ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م .
- **المقدسي،** أنيس، **تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي،** دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩م.
- الملائكة نازك صادق، **قضايا الشعر المعاصر،** دار العلم للملاين، بيروت،(ط٥)(د،ت)
- **ابن منظور،** أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم علي الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب،** دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- **المؤيد بالله،** يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني(ت ٧٤٥هـ)، **الطراز المتضمن لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،** بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م.
- **نجم،** محمد يوسف، **فن المقالة،** دار الثقافة، الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٩٦م.
- **نصار،** حسين، **نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي،** مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
- **أبو نواس،** الحسن بن هاني(١٩٩هـ) ، **ديوانه،** شرح وتوضيح، محمود أفندي واصف، المطبعة العمومية، مصر، ط ١، ١٨٩٨م.
- **النويري،** شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب،** تحقيق: مفيد قميحة وجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م
- **الميداني،** أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٥٤٤هـ) ، **مجمع الأمثال،** تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان (د، ت) .

- **الهاشمي،** السيد أحمد، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب،** دار بن حزم، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٩هـ-٢٠٠٨ م.
- **ابن وهب الكاتب** : أبو الحسين بن إبراهيم بن سليمان ،**البرهان في وجوه البيان** تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، العراق، الطبعة الأولى ١٩٦٧م.
- **ياقوت،** أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، **معجم البلدان،** دار الفكر، بيروت، (د، ت) .

الرسائل الجامعية.

- **الحارثي،** سعد سعيد عايض، **ديوان الأنشاء في القرن السادس الهجري،** اطروحة دكتوراه ،المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٣م.
- **حماد،** محمد محمود محمد، **فن الرسائل النثرية في القرن الرابع الهجري،** رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإسكندرية، كلية الآداب سنة١٩٨٠م.
- **الزبيدي،** جنان عبدالله يونس، **فنون النثرية في كتاب ابن الجوزي،** رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ٢٠٠٥م.
- **عطية الله،** أسماء عبد الرؤوف، **الرسائل في العصر العباسي أنواعها وخصائصها الفنية** ، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية ،٢٠٠٩م .
- **عماد،** عبد الكريم أحمد، **ضعف المجتمع الإسلامي في ظل الخلافة العباسية أيام السلطنة البويهية ٣٣٧هـ -٤٤٧هـ** ، رسالة دكتوراه ٢٠١٢م، جامعة اليرموك.

الدوريات

- **الحلبوني،** خالد، **الرسائل النثرية الشخصية في العر العباسي،** مجلة جامعة دمشق – المجلد ٢٥ العدد الأول والثاني، ٢٠٠٩ م ، ص ٥٧ .
- **خالد،** عبد الرؤوف جبر، **الصورة الفنية في رسائل العصر المملوكي الأول،** مجلة اللغة العربية وآدابها المجلد الثامن، العدد الاول، ٢٠١٢م .
- **الطالب،** عمر محمد، **مفهوم الرواية السيرية،** مجلة صوت، العدد (١) لـــسنة ١٩٩٧.
- **الكلابي،** مكي محي عيدان، والمدني، كريمة نوماس محمد ، **البنيات الأسلوبية للكناية في الرسائل المشرقية الفنية إبان القرن الثامن للهجرة،** مجلة جامعة أهل البيت، العدد السادس عشر.